

مكتبة  
١٤ ١١ ١٢

# قلب الإخوان محاكم تفتش الجماعة

ثروت الخرباوى

تجربة شخصية

دار الهلال

---

رقم الإيداع  
٢٠١٠/١٣٩١٥

IS.B.N

977-07-1413-5

---

## تقديم

كان هذا الكتاب مفاجأة بالنسبة لنا ، فحين قرأناه أدركنا أننا أمام ثروة من الأسرار الإخوانية المذهلة - ومن ينقلها لنا غير ثروت ؟ - حيث أورد الكاتب حقائق ووقائع من "قلب الإخوان" حقائق غائبة عن جماعة الإخوان غابت عنها فغابت عنا ولم يعرفها الرأي العام ، ووقائع رهيبة تدور حوادثها داخل هذه الجماعة التي تحولت من جماعة دعوية إلى جماعة سياسية ثم انتهت إلى معبد كهنوتي فكان رجال المعبد القطبي - نسبة إلى سيد قطب - كما يقول الكاتب هم السبب الفاعل في "قلب الإخوان" إلى وجهة أخرى لم تكن من أهداف مؤسس الجماعة حسن البنا .

أما المفاجأة الأخرى فكانت في الطريقة التي صاغ بها المؤلف كتابه ، فقد استطاع بحسه الأدبي الراقي أن يحول أحداثا قد تبدو جامدة إلى حياة صاخبة مشوقة ممتعة حتى أن القارئ ليتفاعل معها ومعها في كل حدث مر به أو عليه ، سرد الكاتب تجربته مع الإخوان في صورة أدبية بديعة ومشوقة هي أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية وحول تلك السنوات التي قضاها في جماعة الإخوان إلى نص أدبي وسياسي واجتماعي في آن واحد جمع فيه بين الأدب المتمثل في لغته الراقية وصياغته المحكمة ، كما عرفنا من خلاله ما يدور داخل أروقة أخطر جماعة سياسية مرت على مصر في الحقب الأخيرة ومدى تأثير هذه الجماعة في أفرادها وفي عموم الناس تأثيرا اجتماعيا ودينيا وسياسيا .

والآن نترك القارئ مع الكتاب ليقرأه على مهل ويقرأ سطورره وما بين السطور ويستمتع بلغته الأدبية وأحداثه

المشوقة ونحن على ثقة من أن أي متصفح لهذا الكتاب لن يتركه  
إلا بعد أن يفرغ منه تماما ويتفرس وثائقه ، ولكن هذا الكتاب  
سيعيش طويلا في وجدان القارئ فصاحبه لم يكن يكتب بقدر  
ما كان ينزف من مشاعره ، فنقل لنا بقلبه وقلمه صورة كاملة من  
"قلب الإخوان" ومن ينقلها غيره فقد كان يوما ما في "قلب  
الإخوان" .

الناشر

## إهداء

بما أنه يجب أن يكون لكل كتاب إهداء فإن هذا الكتاب يجب أن أهديه لأحد، وليس هناك بالطبع أغلى من الأهل ولعل نفسي حدثتني بأن أهديه إلى روح أبى رحمه الله أو أهديه إلى أمى أطال الله فى عمرها ومتعتها بالصحة فقد كان لهما الدور الأكبر فيما وصلت إليه، ولعل نفسي حدثتني أيضاً بأن أهديه إلى أشقائى وزوجتى وأولادى مرام ويحىى... كل هذا حسن وأنا بالقطع أهدى لهم جميعاً هذا الكتاب، إلا أن هذا الكتاب الذى هو بضعة من نفسي وقطعة من أيام قضيتها فى جماعة الإخوان المسلمين بطوها ومرها لذلك فإنه من اللائق أن يكون إهدائى لأحد الإخوان، والذى يستحق هذا الإهداء قطعاً هو الشهيد حسن البنا رحمه الله مؤسس هذه الجماعة ولعله إن مد الله فى عمره لأحدث طفرة فى العمل الإسلامى ولكن كل شىء بقدر ومن بعده دخلت جماعة الإخوان فى أزمات وأزمات أجادت وأخفقت وأظن أن البنا لو خرج من قبره الآن لقطب جبينه فى وجه القطبيين الذين أخرجوا الجماعة من سياقها.. إليك يا إمام الإخوان إليك يا حسن البنا رحمك الله أهدى إليك هذا الكتاب.

**المؤلف**



## الفصل الأول

# في البدء كانت كلمة

«عندما ننظر إلى القمر في ليلة اكتماله فإن نوره سيستلب

عيوننا ويخطف أفئدتنا إلا أننا لن ندرك تحت وطأة هذا النور أن القمر ما هو إلا جسم معتم شديد الظلام والوحشة كثير الصخور والحفر» .

لكل شيء بداية ... ولكل شيء نهاية ... الحضارات والأمم والجماعات تبدأ ثم تفنى ... والكائنات تولد ثم تموت .... هذه حقيقة كونية ، وليس من شيء يسير تحت الشمس إلا وله دفقات قوة وعنقوان ... وله خفقات ضعف ومرضى .. هذه سنة الحياة ، والإنسان الفرد الذى يدب على الأرض يحمل فى مِرْوَدِهِ الفجور .. ويكنز فى وعائه التقوى ... هذا هو تقدير الله... أما الأمم أو الجماعات فإنها ليست أوعية فارغة .. إذ فيها بشر تستمد فتوتها وخيريتها منهم .. فإن أحسنوا أحسنت .. وإن شمشخوا شمخت .. أما إذا أساءوا أسأت .. وإذا تدنوا تدنت وعاشت بين الحفر .. سيان كانت تلك الأمة أو الجماعة مسلمة أو غير ذلك ... هذه سنة الله فى كونه قدرها تقديرا .

أما البداية فكانت كلمة .. والكلمة ميراث أبينا آدم لنا .. ألم يتعلم الأسماء كلها من الله سبحانه وتعالى .. ومنه عرفنا وظائف الأشياء وتوارثناها فى كل الحضارات ... سماء... سحبت الشمس الماء من البحر فكانت من السحب ، وكانت سحابة .. واحتوت السحابة على ماء .. وهطل الماء علينا .. فكانت سماء .

أما الكلمة فكانت إخوان .. إخ وان .. دخلت الكلمة قلبى فخلبت لى .. وقعت فى روعى فتمثلتها سحابة ماء تسبح فى سماء الدعوة ... تهطل علينا بالخير .. يكفى أن تقول " إخوان " لكى تدغدغ مشاعرى .. تهبط على روعى كلمة " أخ " كما يهبط الوحي على النبى .. فالأخ هو جبريل أخيه .. ينصحه ويصاحبه ويشد من أزره ولا يظلمه أبدا ... رسمت كلمة " أخ " فى مخيلتى فقرأت حروف المروءة ... الإخوة مروءة ... قرأت كلمة " إخوان " فتراعى لى الأنصار والمهاجرة إذ أخى بينهما النبى صلى الله عليه وسلم ... الأخوة فى الدين غلبت أخوة الدم .

وضعت الكتاب بجانبى ولكنى وضعت الإخوان فى قلبى ، وأخذت أنهل من



معين الكتب كى أستزيد منهم وعنهم .. حبسهم عبد الناصر لخلاف سياسى .. لعن الله السياسة .. عذبهم ... أعدمهم ... بكيت بحرقة وتعاطفت معهم ، وتمنيت أن أعرفهم لأزود عنهم .

فى الجامعة كان اللقاء الأول .. هل تعرف سحر اللحظة الأولى ؟ المرة الأولى دائماً هى أروع وأشجى وأعذب المرات ، حيث يسبقها الغموض وتكتنفها الرهبة ، وتخالطها رغبة جارفة فى المعرفة .

ولعل مشاعر المرة الأولى قد ملكت زمام قلب جدى وسيدى آدم عندما رأى جدتى وسيدتى حواء تسعى بين يديه ، وكاننى آدم عليه السلام اقتحمتنى اللحظة الأولى عندما رأيت عمر التلمسانى وبرفته عبد المتعال الجابرى وتخلت هما أبى وجدى .. فشغفت بهما حبا ... هؤلاء هم " الإخوان المسلمون " دعاة ... فكانت الكلمة .. دعوة .

وعدت إلى الكلمة المسطورة فى الكتاب .. أبحث عن الإخوان المسلمين .. ضحايا .. أبرياء لاشك فى ذلك عندى .. فرية أسمها النظام الخاص والاعتقالات اقترأها رجال الثورة واختلقها النظام الحاكم .. محاولة اغتيال عبد الناصر فى المنشية ... تمثيلية ... ومحاكمات وإعدامات ... بكيت كمدا واحترقت جفونى كربا مما حدث لهم .

أردت المزيد فذهبت لمسجد عين الحياة واستمعت للشيخ عبد الحميد كشك وخرجت من عنده لمسجد الخلفاء الراشدين واستمعت لجمهرة من دعاة الإخوان .. الشيخ الغزالى بهرنى .. الشيخ عبد الستار فتح الله أمتعنى ... الشيخ سيد سابق علمنى ... الشيخ القرضاوى سما بى ... هؤلاء هم " الإخوان المسلمون " ... فقهاء ... فكانت الكلمة ... فقه .

فتحت التلفاز فرأيت شابا من الإخوان - غدا نجما إخوانيا بعد ذاك - اسمه عبد المنعم أبو الفتوح وهو يحاور رئيس الدولة أنور السادات بجرأة فريدة .. فلم يهبه .. ولم يتتبع فى موقف تذلل فيه أعناق الرجال .. ومن بعد رأيت شيخهم ومرشدهم التلمسانى وهو يحاور السادات فيقول له : سأشكوك إلى الله ... هكذا هم الإخوان قوة فى الحق .... فكانت الكلمة ... قوة .. وكانت الكلمة ... حق .

عدت إلى الجامعة وصادقت من ظننت أنهم إخوان .. كنت معهم يدا بيد فى كل الأنشطة إلا أننى كنت حرا طليقا فلم يستوعبنى أحدهم .

فرغت منهم إلى الكلمة وظللت زمنا في دائرتها لم أخرج منها .. كلمة أقرأها .. وكلمة أسمعها ... متيما كنت أنا بالإخوان .

بعد الجامعة عملت بالمحاماة .. ولكن في مكتب أحد السياسيين الوفديين الكبار ... محمد علوان .. سألته عن الإخوان فحدثني عن حسن البناء .. كان قد رآه فقال لى : ( أخلصه في كلمتين .. عبقرية التأثير وعلو الهمة ) .

قلت له ولم لم تدخل الإخوان فقال وهو يجتر الحكمة : ( بسبب القيود التنظيمية التي تضعها الحركة وتسوس بها أفرادها ، وأنا أبحث عن الحرية فلم أقبل أن أكبل نفسي بقيود التنظيمات الحديدية ) فاستغربت كلمة أستاذي عن القيود التنظيمية والتنظيمات الحديدية وتكبييل الأفراد فقلت لنفسى : من لا يعرف الإخوان يبالغ ، فكان نقد الآخرين للإخوان فى عيني مبالغة وكانت الكلمة .. أبرياء .

وبرفقة أستاذي محمد علوان جلست مع التلمسانى فهش فى وجهى وبش .. قال يوم رأيت : ( نحن الإخوان ضد العنف .. ضد الاغتيالات .. كان النظام الخاص كبوة .. ولكل جواد كبوة .. الإخوان لكل الأمة وليست لفريق بعينه .. سيكون الإخوان تيارا جارفا يصب فى نهر الأمة .. وسيخرج الإخوان من ضيق التنظيم إلى سعة الدعوة ) ... هؤلاء هم الإخوان ... حكماء .... فكانت الكلمة ... حكمة .

ذات يوم عاد الشيخ عبد المتعال الجابرى الداعية الإسلامى الزاهد من غربته فى أمريكا فعدته فى المشفى مع رفقة من شباب الإخوان ، فقال له أحدهم وكأنه يطمئنه على ثبات الشباب وغيرتهم على الإخوان : ثلة الغوغاء تهاجم الإخوان وتنتقدهم لو كان الأمر لكم لطلبت منكم أن تحاكموهم .

ابتسم وقال له وقد أخذه الوهن على فراش المرض : على رسلك يا بنى .. ومن نحن حتى نحاكم أو ندين ، وهل نملك أن نتسلط على قلوب العباد ... إنما نحن نذكر وليست لنا سيطرة على أحد .. نحن دعاة ... إنما يحاكم ويحقق ويدين فى الحياة الدنيا من كان همهم الدنيا ، ونحن طلاب آخرة .

هكذا هم الإخوان ... دعاة لا قضاة ... فكانت الكلمة ... رحمة .. وكانت الكلمة دعوة .

فى البدء كانت كلمة .. ثم كلمة .. ثم كلمة .. ثم كلمة .. فتكونت دائرة من الكلمات .. دائرة ذهبية .. بدأت بالدعوة وانتهت بالدعوة ... وبينهما قوة .. حق

.. فقه .. حكمة ... براءة .. رحمة .

وفى نقابة المحامين كانت لنا أيام .. جلستُ مع مختار نوح - الذى كان من نجوم الإخوان وقتها - وقرأت معه القرآن وسمعتُ منه واستمعتُ له ... ومن بعدها صرتُ من الإخوان .

صرت أنا من الإخوان ... وصار الإخوان منى .

وفى الإخوان نزلتُ نفسى .

وللإخوان سكبتُ نفسى .

وفى الإخوان نسيْتُ نفسى ... فتلاشيتُ .. كقطرة ماء تبخرت .

وحين يوم وقعت قطرة الماء من السحابة .. فتألمتُ .. ومن أُلها ستنبت خضرة .

وذاث يوم عرفت قطرة الماء أن الضياء ينير الطريق ولكنه أحيانا يعمى البصر .

### الجموع المستطير

«نحن نتعبد لله بأعمال النظام الخاص للإخوان المسلمين قبل الثورة».

نطقها المستشار مأمون الهضيبى على مهل وبصوته الرفيع الحاد وبنغمة خطابية حماسية مفعمة بالفخر والزهو والخيلاء ، ثم نظر ذات اليمين وذات الشمال ليرى أثر كلماته ووقعها على الشيخ محمد الغزالى والدكتور محمد عمارة .. لحظتُ ضجت القاعة بالتهليل والتكبير والتصفيق .... نظرت إلى الوجوه التى تجاورنى والتفت بوجهى للخلف فوجدت الفرحة قد استولت على مجامع القلوب وسيطرت على مشاعر الحاضرين... ورغم أننى هتفتُ مكبرا بلا وعى منى مع آلاف الإخوان الذين اكتظت بهم القاعة ، وكأن الحالة الشعورية الجمعية التى خيمت على الجميع احتوتنى وامتدت إلى نفسيتى وسحبتنى بداخلها ، إلا أننى استغربت نفسى بعد ذاك وتعجبت من هتافى وكأن الذى هتف وكبر ليس أنا بل شخص غيرى .

وبعد أكثر من ساعتين من الجدل والصخب وبعض من العلم والفقه والفهم انتهت المناظرة التى عقدها معرض القاهرة الدولى للكتاب فى شتاء ١٩٩٢ والتى دار موضوعها عن " مصر بين الدولة المدنية والدولة الدينية " وانصرف الجمهور الذى كان حاضرا بالآلاف إلى شأنه ، إلا أننى مكثت وحيدا بالقرب من القاعة التى شهدت المناظرة أفكر فى وقائعها وأحداثها .. لم يعجبني فكر

فرج فودة أحد أقطاب العلمانيين فى مصر ، إذ كان يبدو متحاملا على تاريخ الإسلام والمسلمين وكأن عينه كيلة لا ترى إلا السيئ ... إلا أن مأمون الهضيبي عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين - وقتئذ - لم يعجبني هو الآخر رغم أنني كنت أحمل له فى قلبى ساعتئذ مشاعر مفعمة بالمحبة والتقدير - ... ففضلا عن كونه عمل بالقضاء لفترات طويلة ... والقضاء يعطى لمن جلس على مقعده نظرة شمولية وحيادية متوازنة ... إلا أن طريقته فى المناظرة كانت تحمل قدرا من التعالى والجفاء ، ومنهجه فى الجدل كان ذاتيا ، وأية ذلك أنه ترك الحديث عن الإسلام كله فلم ينافح عن تاريخه ورجاله ، وكان جل همه أن يدافع عن تاريخ الإخوان المسلمين ورجال النظام الخاص فيه الذين حملوا السلاح قبل الثورة ونفذوا العديد من عمليات الاغتيال !! ... توقف عقلى عند دفاع المستشار مأمون عن رجال النظام الخاص فلم يستسغه .. ولم تقع صيحته المدوية بتعبد الإخوان لله بالاغتيالات موقعا حسنا فى نفسى عندما استدبرت معناها .

وعن بعد رأيت المهندس أسامة الغزاوى الذى كان يشغل فى منتصف الثمانينات من القرن الماضى موقعا قياديا للإخوان المسلمين بمنطقة شرق القاهرة ، وكان يزاملنى فى أسرتى الإخوانية بمنطقة الزيتون ، إلا أنه لسبب لا أعلم تفصيلاته انقطع عن الإخوان ، وتناهى إلى سمعى همسا من بعض الإخوة أنه قطع صلته بالجماعة تماما بعد محاكمة إخوانية تعرض لها .

ويبدو أنه رأى هو الآخر فعبر الطريق إليّ وتوجه ناحية الأريكة الخشبية التى كنت أجلس عليها وهو يبادرنى بالسلام قائلا : السلام عليكم ورحمة الله .. أنت فى المناظرة هنا ؟ ... ثم ضاحكنى مداعبا وهو يقول : الآن عرفت لماذا ارتبك فرج فودة وهو يحاورهم يبدو أنه رآك فعرف أن القضاء قد حم . قلت وأنا أبادله الضحكات : لا .. يبدو أنه رآك أنت فعرف أن رجال النظام الخاص للإخوان لا يزالون على قيد الحياة ويمتلكون مقاليد الأمور ... بالمناسبة أريد أن أسألك سؤالا مهما .

قال وهو يستمر فى مداعبته : سل تعط

- لماذا كان المستشار مأمون يدافع عن الاغتيالات التى نفذها رجال النظام الخاص رغم أنه صاحب عقلية قانونية ... نبت فى بيت قضائى ووهب حياته للقضاء والدعوة !! ؟ .

– يا عزيزى لا يفيل الحديد إلا الحديد .. فرج فودة لا ينفع معه إلا هذا .  
– ولكن "هذه مناظرة لله ثم للتاريخ"  
"وليس من أجل عيون فرج فودة نخالف ما نعتقده"  
"ما قاله المستشار سيصل حتما إلى أجيال قادمة وسيكون مُعبّرا عن رأى  
الإخوان"

"ذات يوم قال حسن البنا عن أفراد النظام الخاص الذين نفنوا عمليات  
اغتيال أنهم ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين"  
"أيأتى اليوم المستشار مأمون ليقول للعالم أجمع أننا نتعبد لله بأعمالهم  
(!)... .. كيف هذا وأيم الله (!)..."

"لقد أثارت كلماته حيرتى وأدخلت الريبة فى نفسى .."  
"أى عبادة تلك التى قتلت مسلمين آمنين على أنفسهم !!..."  
"فى ليلة وضحاها وعلى لسان رجل القضاء الكبير يصبح قتل النقراشى  
رئيس وزراء مصر عبادة !!..."  
"تنقلب المعايير رأسا على عقب فى منطق المستشار ليصير قتل المستشار  
الخاندار عبادة !!..."

"وكمثل الساحر اللبيب الفطن أو الخطيب البليغ ذرب اللسان يقف  
المستشار عضو مكتب إرشاد جماعة الإخوان ليبدل الحقائق ويسحر أعين  
الناس وعقولهم ... فتتحول عملية قتل سيد فايز الإخوانى الذى نشأ فى معية  
الجماعة ثم اختلف مع النظام الخاص إلى عبادة نتقرب بها إلى الله!!"  
"حدثنى يا أسامة .. أهذا هو التاريخ الذى سنعلمه للإخوان وللناس  
أجمعين؟"

"كيف سقط المستشار مأمون هذه السقطة وهو الذى رأيت فيه قيمة فكرية  
ودعوية سامقة ؟ (!)"

"ليست هذه منهجية الإخوان !!... أتبدلت الأفكار ؟ وسكنت أفكارنا التى  
درجنا عليها فى مقابر أمواتنا من السابقين الأولين كالتلمسانى وغيره ؟"  
قال أسامة وهو يبدى دهشته من كلامى المتدفق : هذا كلام كبير يا أستاذ  
.. أنا معك طبعا فى أن هذه عمليات إجرامية وليست تعبدية ولكن للضرورة  
أحكام .

قلت وأنا أبدى امتعاضى : ضرورة ! أى ضرورة ؟ قل لى بربك .. أهل

تؤيد تلك العمليات التي خرجت عن سياق الجماعة وأفكارها المعتدلة؟  
سحب أسامة ابتسامة من داخله ووضعها على وجهه وهو يقول : أنت تعلم  
أنى ضد أى عنف ولو تستر وراء الدين .. ولكنى أقصد أن المستشار مأمون  
له ضروراته التي دفعته إلى هذا القول .

قلت محتدا : ضرورات !! ألا يحتاج هذا التبرير إلى شرح وتوضيح ؟  
أطال أسامة التفكير وتلفت بريبة إلى الناحية الأخرى ثم قال ببطء وكأنا  
يبحث عن الكلمات : سيكون لنا لقاء ... سأنتظرك فى الخميس القادم فى  
شقتى التي تعرفها لأتحدث معك فيما غمض عليك .



يسكن أسامة الغزاوى فى أول شارع طومانباى بحى الزيتون فى أحد  
العقارات القريبة من قسم الشرطة .. وكان قد انضم إلى الإخوان المسلمين  
قبلى بسنوات ونشأت بينه وبين الحاج مصطفى مشهور - نائب المرشد العام  
للإخوان المسلمين وقتها - صلات قوية ، إذ كان الحاج مصطفى هو أول نقيب  
لأسرة ينخرط فيها أسامة عام ١٩٨٠ ( الأسرة هى البناء الإخوانى القاعدى  
.. وتتكون من خمسة أو ستة أفراد يرأسهم شخص يُطلق عليه لقب النقيب ..  
وكل مجموعة أسر تشكل شُعبة ، وكل مجموعة شُعب تشكل منطقة ، وكل  
مجموعة مناطق تشكل محافظة ) وبين بيت أسامة وبيت الحاج مصطفى  
بضع خطوات لا غير ، أما أنا فقد كنت أسكن وقتها فى آخر شارع  
طومانباى من ناحية " ميدان ابن الحكم " القريب من منطقة تجنيد القاهرة  
ولذلك جمعتنى شعبة إخوانية واحدة مع أسامة ثم جمعتنى معه أسرة إخوانية  
واحدة كان هو نقيبها .

كنت قد اعتدت سابقا على الذهاب بشكل دورى إلى أسامة ، فقد كانت  
معظم لقاءات الأسرة تعقد عنده ، وأحيانا كنا نبيت بشقته فى اليوم الذى  
تتعقد فيه الكتيبة الشهرية ( الكتيبة هى لقاء شهرى للشعبة يستمر للفجر  
ويشمل درسا دينيا وصلاة قيام ) ... إلا أن ذهابى إليه انقطع مذ ترددت  
الأنباء عن ترك أسامة للجماعة .... وقتها قام المسئولون فى الشعبة بإعادة  
ترتيب الأسر من جديد وإعادة تصنيف الإخوة وتصنيف درجاتهم التنظيمية (   
أخ - أخ عامل - أخ مجاهد ) خاصة وأن المحاكمة التي تم عقدها لأسامة  
استبان منها - وفقا لما وصل إلينا - أن هناك حركة تمرد اشترك فيها بعض

الإخوة ، وأن حركة التمرد هذه قادها اثنان من أفضل الإخوة هما المهندس أسامة الغزاوي والمهندس عمرو التلاوي ، إلا أن أحدا لم يقل لنا ما هو هذا التمرد وما هي أسبابه !! اللهم إلا أنهما رفضا تنفيذ أمر إداري ... ولم يفصح أحد لنا عن كنه هذا الأمر ... وعندما سألت مسئول الشعبة عن حقيقة ما يتردد عن التمرد وعن الأمر الذي خالفه الأخان ، قال لي وهو يرتدى ثياب الفقيه الحكيم : ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ) ثم أردف قائلا : ثق في القيادة بون أن تسأل !! ... فآثرت الصمت وعدم تكرار السؤال تأدبا مع الرجل ، إلا أن غياب أسامة عن الإخوان أحدث غصة في قلبي .. ودهشة في ضميري .. فقد كان تصوري أن الجماعة ينبغي أن تطلق طاقات الأخ وجهوده وأن توجهها لمسارها الصحيح لا أن تكبلها وتعطلها وتستنزفها في خلافات إدارية .. لم يستوعب قلبي أن أخا يترك الجماعة بسبب اختلافه مع القيادات في قرار ما !! أو رفضه تنفيذ قرار ما مهما كان شأن هذا القرار .. فنحن في دعوة ولسنا في شركة ... ولكن تزداد حيرتي ويخاصم النوم جفوني حينما يتردد في خافقي صدى كلمات سمعتها من بعض الإخوة في كتيبة من الكتائب : ( ينبغي أن يكون الأخ بين يدي مرشده أو نقيبه أو مسئوله كالميت بين يدي من يغسله يقبله كيف يشاء ) .. نعم قد يكون هذا من باب المحبة .. أستوعب هذه المقولة في هذا الإطار وقد قرأتها من قبل لبعض الصوفية .. فهل يتم تطبيقها بشكل تنظيمي جاف !!؟ .. وتزداد حيرتي .. أيهما على خطأ إذن .. الجماعة أم الأخ ؟ .

كان الإخوة عقب ذلك يترحمون على أيام هذين الأخوين وعلى النشاط الدعوى الذي كانا يمارسانه وبيعثان من أجله الحيوية والنشاط في منطقة كانت في السابق تقع تحت سيطرة الجماعة الإسلامية من ناحية ، وسيطرة الجمعية الشرعية من ناحية أخرى ... ولكن يبدو أنه لا كرامة لأخ يترك الجماعة ... فقد كانت تجابهن - حين نذكرهم بفضل هذين الأخين - مقولة صلبة متدثرة بوشائج الإيمان : لا فضل لأخ على الجماعة مهما كان قدره ، فالدعوة تسير بفضل الله بكم أو بغيركم ، ولكن الفضل كل الفضل للجماعة على الأخ !! .

في الموعد المحدد بعد صلاة المغرب كنت أجلس مع المهندس أسامة في حجرة الاستقبال بشقته السكنية متدثرا بمعطف شتوي يقيني قر الشتاء ،

وأرتشف قدح الشأى الساخن وأنا أستعيد معه ذكرى أيام خلت ذهبتُ إلى عالم الذكريات ... وسبقتنا إلى عالم البرزخ ... أو إلى الدار الآخرة .. إلا أنها ما زالت مخبوءة فى نفوسنا وضمائرنا فأصبحت بضعة من شخصياتنا وثقافتنا وأخلاقنا .. استروحت معه نفحات تلك الأوقات التى حفظنا فيها ما تيسر لنا من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتذكرنا سويا دروس المساجد التى كنا نحضرها لعلماء الأمة مثل الشيخ الغزالي والشيخ سيد سابق والشيخ عبد اللطيف مشتهرى والشيخ إبراهيم عزت والدكتور سليمان ربيع .. وكيف أننا كنا لا نُفرِّق فى التلقى بين علماء خرجوا من رحم الإخوان وعلماء وهبوا أنفسهم للأمة بلا تحيز لجماعة عن أخرى .

وهنا تحول الحديث إلى وجهته الأصلية .. انتفضت شرايىنى وسرت قشعريرة فى جسدى واحدودب ظهري وأنا أتحدث إليه بصوت مبجوح لا يكاد يُبين : أنتظر منك الإجابة يا صديقى عن سؤالى الذى طرحته عليك بعد مناظرة معرض الكتاب .. هل تذكره ؟

قال بعد ان ارتسمت على وجهه مخائل الجدية : أذكره ولا أنساه .. ثم تحدث أسامة بما لم أتوقعه وبما هو أغرب من الخيال .

★★★



## الفصل الثانى

### أسامة الغزاوى يتحدث

«مرض الذئبة الحمراء هو مرض يصيب الجسم ينتج عن خلل

في الجهاز المناعي يجعله بدلاً من أن يحمي جسده من البكتيريا والفيروسات فإنه يهاجم الجسم الذي يحميه متصوراً أن هذا الجسم هو العدو الذي يجب أن تتم مواجهته .. يحدث هذا في الإنسان كما يحدث في الجماعات» .

قال أسامة بصوت خافت: حدثني الشيخ عبد المتعال الجابري الذي كان يدرس لنا اللغة العربية في مدرسة ابن خلدون الثانوية بحلمية الزيتون وكان قد قضى أكثر من نصف عمره في السجون بحسب أنه كان من قيادات الإخوان فضلاً عن أنه كان رفيق درب للشيخ عمر التلمساني رحمه الله : ... أنه بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وبعد أن دخل النصف الثاني من نوفمبر مات المستشار حسن الهضيبي مرشد الإخوان.. أفضى إلى ما قدم .. وكل نفس ذائقة الموت .. مات الرجل الذي خلف حسن البنا فكان مرشد المحنة كما يطلقون عليه ، مات الرجل وترك فراغا هائلا في الجماعة .. مات وترك سفينة الإخوان تتلاعب بها الأمواج ولا ربان لها .. كان هذا الرجل يحمل في نفسه شيئا من رجال النظام الخاص فقد كان يعتبر أنهم هم الذين أدخلوا الجماعة في محنة قاصمة باقعة ، وتسببوا برعونتهم وجهلهم في حل جماعة الإخوان الذي أسفر عن مقتل حسن البنا ، لذلك كان أول قراراته التي أبرمها بعد أن تولى الأمر هو حل النظام الخاص وفصل عبد الرحمن السندى مسئول هذا النظام - الذي كان شابا حدثا مضمحل العلم والثقافة - وفصل بعض القادة الآخرين الذين يتبعون هذا الشاب ويأتمرون بأمره ... وقام عقب ذلك بتعيين أحد رجاله مسئولا عن نظام خاص جديد يدين له هو بالولاء والطاعة ، فكان أن وضع على رأس الفريق الجديد " يوسف طلعت " الذي كان من المجاهدين في فلسطين ... وعندما احتدم الخلاف بين النظام الخاص الجديد والنظام القديم قام أحدهم باغتيال سيد فايز الذي كان وقتها أحد المسؤولين الجدد في النظام الخاص بتشكيله الجديد ، وأشارت يد الشك والاحتمال إلى أحد أفراد النظام القديم الذي تم حله ولكن لم تتأكد الظنون .. وحدثت محنة الخلاف الأزلى بين الإخوان وحكومة الثورة ودخل الإخوان السجون ، والتقى في الزنازين أفراد النظام الخاص جديدهم وقديمهم ، ودخل معهم الشيخ سيد

قطب الذى كان قد هجر الشعر والأدب والنقد وتفرغ للكتابة عن الإسلام وتفسير القرآن وأطنب فى ذكر تصوراته عن المجتمع الجاهلى بعقلية الشاعر الأديب لا بعقلية العالم الفقيه .. ثم جاءت فترة منتصف الستينات ودخل الإخوان مرة ثانية إلى السجون فى قضية سيد قطب التى اتهم فيها - مع آخرين - بمحاولة اغتيال عبد الناصر وقلب نظام الحكم .

وفى السجن التقى رجال النظام الخاص بسيد قطب وتلاميذه فكان الاتحاد وكان التلاحم ، بل كان التماهى والتمازج ، فقد كان رجال النظام الخاص يفتقدون إلى المرجعية الدينية التى تؤصل لهم عمليات الاغتيال وتبيحها لهم من الناحية الشرعية ، إذ نفى الشيخ سيد سابق يده منهم وتركهم إلى غير رجعة وأمن أن فى عقول بعضهم آفة ، وبعد أن كانوا يطلقون عليه " مفتى الدماء " تبرأ منهم وقال قولته الشهيرة " نعم أنا أفتى فى دم الحيض " فوجد النظام الخاص بغيته فى الشيخ سيد قطب الذى استمد فكره من الشيخ «أبو الأعلى المودودى» الذى ولد وترعرع فى ولاية حيدر آباد بالهند فى مجتمع تتعدد فيه الديانات ويكثر فيه عبدة البقر والشجر والثعابين .. تأثر الشيخ سيد قطب بأبى الأعلى المودودى أيما تأثر ومنه أخذ فكرة "الحاكمية" حيث اعتبر أن المجتمع المصرى يقوم على أسس جاهلية لعدم احتكامه لله سبحانه وتعالى فى الحكم .. هذه الجاهلية التى تعتدى على سلطان الله فى الأرض فتتحاكم إلى تشريعات وأنظمة وضعها تصور بشرى محض كما فى الآية القرآنية ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ) بالمخالفة للآية القرآنية ( إن الحكم إلا لله ) ومن هنا قام سيد قطب بوضع تصور حركى من خلال تقسيم المجتمع إلى فريقين .. مجتمع المسلمين والمجتمع الجاهلى .. وأوجب على المجتمع المسلم أن يتقوقع على نفسه فى محضن إسلامى ، ويعتزل المجتمع الجاهلى شعوريا وفقا لقاعدة ( واهجرهم هجراً جميلاً ) لكى ينأى بنفسه عن شوائب الجاهلية وخشاشها ، إلى أن يتمكن ويشدد ساعده من ناحية وتصبح عقيدته نقية خالصة من الأدران من ناحية أخرى ، حينها يستطيع المجتمع المسلم المنعزل أن يفرض نفسه ويرفع رايته رغماً عن أنف الجاهليين .

وضع سيد قطب أفكاره هذه فى كتابه معالم فى الطريق وصاغها بطريقته الأدبية البديعة وبألفاظه الشاعرة المرفهة ودون أن يمر بها على عقلية العالم

الفقيه الأريب الفطن .. ومنه انطلقت تلك الأفكار إلى رجال التنظيم الخاص الذين استراحت ضمائرهم وهدأت أفئدتهم لتلك القسمة ... مجتمع جاهلى حتى النخاع ... ومجتمع إسلامى بلا انقطاع .. وبذلك الفكرة تشرعن عمليات الاغتيال التى قاموا بها ، ومن خلالها أصبح اغتيال النقراشى والخازندار مواجهة مع المجتمع الجاهلى الذى يحارب مجتمع الإسلام ، والذى هو فى جاهليته أشد وطأة من تلك الجاهلية التى سبقت الإسلام ، فكان من الطبيعى أن يلوذ رجال النظام الخاص بحياض الأديب الشاعر ويتدثرون بمعطفه .

كانت أفكار سيد قطب منبئة الصلة عن منهج حسن البنا ومسلكه الدعوى .. ففكرة حسن البنا لا تقوم أبداً على جاهلية المجتمع بل تقوم على أن الناس ابتعدوا من خلال التطبيق عن منهج الإسلام وأن هذا الابتعاد لا يمس عقيدتهم ولا يخرجهم من الملة كما أنه لا يدخلهم فى نسق جاهلى ، وكل ما يحتاجون إليه هو الدعوة العلنية المفتوحة التى يجب أن تصل إلى الجميع حتى تستقيم أخلاقيات الناس وتتفاعل سلوكياتهم مع ما يدعو إليه الإسلام فى المعاملات والعبادات دون أن نضع أهمية لضم أحد إلى التنظيم ، فالتنظيم هنا يقوم بدور القائد الذى يدعو ويوجه لا بدور الوعاء الذى يضم ويحتوى .. ولا أخفيك سرا أن الخطأ الذى جر الوبال على إخوان البنا هو إنشاء فرقة النظام الخاص التى كانت بمثابة الجسم الغريب عن الجماعة ، وقد حكى لى الأستاذ فريد عبد الخالق أن حسن البنا تقابل معه بالقرب من كوبرى قصر النيل قبل اغتياله وقال له مقولته الشهيرة " لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أنشأت النظام الخاص " .

أما فكرة سيد قطب من حيث الوسيلة فتقوم على الانتقاء والتجديد والتجيش وذلك عن طريق استثمار الدعوة العلنية من أجل تكوين تنظيم سرى شديد الإحكام عن طريق جذب الأنصار وضمهم لـ " ماكينة الدعوة " حتى تقوى تروسها وتصبح قادرة ذات يوم على مواجهة المجتمع الجاهلى .. وبهذا نستعيد بعضاً من قبس جيل الصحابة ذلك الجيل القرانى الفريد .. فإذا دعونا الناس وتركناهم فى المجتمع الجاهلى ينهلون منه فسوف تذروهم رياح الجاهلية ويصبحون وقتها دماً يتدفق فى شرايين تلك الجاهلية العرجاء ، ونفت معييتهم مع الجاهليين فى عضد المجتمع المسلم ... كانت هذه هى

الأفكار التى أتف حولها الجمع الفريد وبها قام الحلف المقدس بين النظام الخاص وتلاميذ سيد قطب .... كان هؤلاء هم " إخوان سيد قطب " .

مات حسن الهضيبى عليه رحمة الله الذى كان قد أدرك خطورة هذا الحلف المقدس ، وكان التلمسانى وغيره قد نبهوا الهضيبى بخطورة هذه الأفكار ودقوا له ناقوس الخطر.. فالتقى الهضيبى ذات يوم وهو فى مشفى السجن بسيد قطب فكان أن سأل : هل تكفر المسلمين يا شيخ سيد .... فنفى سيد قطب هذا الأمر وقال إنه غير مسئول عن فهم الناس لأفكاره على غير محلها وعلى غير مقصدها .. فلم يجد الهضيبى أمامه من بد إلا كتابة كتابه الوحيد " دعاة لا قضاة " لمواجهة حلف فريق النظام الخاص والقطبيين .. ولكن يبدو أن هذا الحلف سيشتد عوده ويقوى بنيانه فيما بعد.

وفى ليلة التحفت بظلام الأيام الأخيرة من شهر فبراير البارد من عام ١٩٧٥ وبعد صلاة العشاء اجتمع فريق من النظام الخاص فى بيت أحد سدة هذا النظام وحراسه وهو الحاج أحمد حسانين فى قلوب البلد ، وكان صاحب الدار قد خرج من السجن منذ أسابيع خلت قبل هذا الاجتماع التاريخى مع آخر دفعة نالت الإفراج من الإخوان ، بدأ اللقاء وكأن الجمع يحتفلون بخروج ثلة ليس لها نظير من أركان التنظيم من سجنهم الذى احتضنهم ما يقرب من العشرين عاما .

وفى حجرة فقيرة فى أثاثها ومحتوياتها تطل شرفتها على أرض زراعية شاسعة ، جلس كل من مصطفى مشهور وكمال السنانيى وأحمد الملط وحسنى عبد الباقي وخامسهم صاحب الدار أحمد حسانين وهم يستدبرون تاريخهم مع الجماعة ورحلتهم فى السجون وخطط المستقبل الذى يجب أن يكون .

كان قد مضى على وفاة المرشد الثانى حسن الهضيبى عام وعدة أشهر ، وما زالت الجماعة بلا مرشد جديد إذ مات الهضيبى - الأب - دون أن يعيد تشكيل التنظيم ويحدد آلياته ، اللهم إلا أنه التقى فى الحج قبل وفاته ببعض المهاجرين من الإخوان وأخذ منهم البيعة .... وبعث النشاط فى أرواحهم ، وتعاهدوا معه على إعادة تشكيل حركة الإخوان فى البلاد التى يعملون فيها . وبعد عودته إلى مصر انشغل الرجل بجمع الشمل مع من اختلف معهم من قبل مثل الشيخ محمد الغزالى الذى كان قد هاجم الهضيبى هجوما ضاريا

فى بداية الخمسينات واتهمه بأنه من عتاة الماسونيين !! وتعكر الماء بين الاثنين وتم فصل الشيخ الغزالى من جماعة الإخوان إلى غير رجعة وأخيرا تداعى العالمان العلمان للتسامح والتغافر وتم الصلح بينهما .  
لم يمهل القدر حسن الهضيبى حتى يقوم بإعادة بناء الجماعة التى كانت قد تفككت وانمحت وتاه رجالها فى البلاد يبحثون عن معاشهم ، فعاجله الموت الذى هو نهاية كل حى .

كان الحاج مصطفى مشهور أكثر الجميع حماسة وحيوية فى اجتماع قلوب الخطير ، فقد اقترح أن يتم تعيين مكتب جديد للإرشاد من الحاضرين فى الاجتماع ... وأن يتم اختيار مرشد جديد خلفا للمستشار حسن الهضيبى .. وهنا أصر الحاج أحمد حسنين على مبايعة الحاج مصطفى كى يكون مرشدا للإخوان إلا أن الحاج مصطفى رفض هذا الأمر تماما واقترح أن يتم اختيار شخصية أخرى ... شخصية لا يعرفها أحد ولكن يسهل من خلالها إعادة تشكيل الجماعة وفقا لرؤية هذا الفريق ، شخصية سينساها التاريخ ولن يعرف ملامحها ... وكأن من ألف السرية واعتادها لا يتألف إلا مع شخصية سرية !! .

### **مفاجآت مذهلة**

توقف أسامة الغزوالى عن الحديث ، إذ كانت صلاة العشاء قد دخل وقتها ، فخرجنا سويا كى نصلى فى مسجد العزيز بالله وهو من المساجد الشهيرة فى المنطقة التى وقعت تحت سيطرة التيار السلفى ... وبعد الصلاة أخذنا نتجول على مهل بطول شارع طومانباى حيث استطرد أسامة قائلا :  
" هل تعرف أسماء من تولى موقع المرشد العام للإخوان المسلمين وجلس متربعا على سدة القيادة فيها ؟ ستقول لى وأنت تقطب جبينك استنكارا من السؤال : طبعاً أعرفهم .. فهم الشهيد حسن البنا والمستشار حسن الهضيبى ثم الأستاذ عمر التلمسانى وأخيرا الأستاذ حامد أبو النصر .. لا يا عزيزى لقد تسرعت فى الإجابة فأخفقت فيها ... هناك مرشد آخر لا تعرفه ولا يعرفه أحد .. " .

" غالبية الناس وغالبية الإخوان المسلمين لا يعرفون أنه بعد وفاة المستشار حسن الهضيبى بعام وفى هذا الاجتماع الذى حدثتكم عن طرف منه وقع اختيار الحاضرين على المهندس حلمى عبد المجيد - الذى كان الساعد الأيمن

للمقاول الشهير عثمان احمد عثمان وكان من الرعيل الأول للإخوان - ليكون مرشدا للجماعة .

وبعد يومين ذهب هؤلاء القوم إلى من وقع عليه الاختيار فى بيته بالدقى وعرضوا عليه الأمر برمته ، وقالوا له إن مسئولية الدعوة بل مسئولية الإسلام أصبحت معلقة فى رقبته ، وأنهم لا يقبلون بغيره بدلا ، فوافق الرجل إلا أنه اشترط شرطين لذلك أولهما أن تصدر موافقة بتنصيبه فى هذا الموقع من الأعضاء الباقين على قيد الحياة من الهيئة التأسيسية من الإخوان وكان عددهم يزيد على الثلاثين بقليل ، أما الشرط الثانى فهو أن يكون مرشدا سرى لا يفصح عن اسمه أحد ، على أن يظل قائما بمهامه إلى حين إعادة تشكيل التنظيم ثم يترك موقعه لغيره ... ولم يتحقق الشرط الأول بشكل كامل إذ لم تصدر بيعة أو موافقة إلا من عدد يزيد على عشرة أفراد بقليل فلم يحصل الرجل على شرعية ، إلا أنه قبل على مضض أن يقوم بدوره المرسوم له حتى حين .

وبعد عام تقريبا من هذا اليوم قام بعض الإخوان فى المملكة السعودية بتوزيع بيان على كل الإخوان فى الأقطار العربية كان عنوانه (المرشد السرى المجهول يقود الجماعة إلى المجهول ) وظل هذا البيان التحريضى يجوب الأقطار العربية ويقع تحت يد الإخوان فى كل البلاد بلا ملل ولا كلل فيحدث فى نفوسهم مساحة من الامتعاض... وقد أورد المفكر الإخوانى السابق عبد الله النفيسى خبر هذا البيان بحذافيره فى كتابه الشهير " أوراق فى النقد الذاتى " وقد تسبب هذا البيان فى حالة قلق لأفراد النظام الخاص الذين يعرفون أن معظم الإخوان لا يرحبون بهم ، فأسرعوا فى نهايات عام ١٩٧٦ إلى رجل حى دمث الخلق عف اللسان من الذين شربوا الدعوة من حسن البنا هو عمر التلمسانى وعرضوا عليه أن يتولى موقع المرشد وأن يعيد تشكيل مكتب الإرشاد من جديد ، وكان التلمسانى شخصية شديدة المرونة ، وقد سمحت له مرونته أن يرتبط مع جميع الأطياف الإخوانية من أفراد النظام العام أو أفراد النظام الخاص بروابط قوية ووشائج متينة من المودة ... فظنوا من فرط دماثة خلقه أنه رجل مهيز الجناح ضعيف التأثير وأنه سيكون مجرد واجهة ، فى حين سيتحركون هم من خلف الستار حيث سيتحكمون فى مقاليد الأمور .

★★★

أعجزتني رواية أسامة الغزاوي عن النطق والتعقيب ... يا لها من مفاجأة مذهلة.. أيعقل هذا ؟ مرشد سرى ولا يعرف عنه أحد شيئاً ؟ !! ... وى كائننى اكتشفت فى هذا اليوم اكتشافاً مذهلاً تتحير منه الألباب وتتيه منه العقول .

استكمل أسامة روايته المدهشة قائلاً :

"لعلك تعرف الأستاذ فريد عبد الخالق الذى كان من المقربين من حسن البنا ، ولكن لعلك لا تعرف أن أفراد النظام الخاص كانوا من أحرص الناس على استبعاده من قيادة التنظيم هو والدكتور توفيق الشاوى القانونى الشهير والأستاذ عبد المتعال الجابرى ... أما الأول فقد جلس على ضفاف الجماعة يحضر فى مناسباتها العامة دون أن تكون له صلة بالشأن الداخلى للجماعة ، والثانى هجر الكل وسافر إلى المملكة السعودية وتفرغ لتأسيس مدارس إسلامية وكتابة مؤلفات عميقة فى القانون والاقتصاد الإسلامى والشورى فى الإسلام ، أما الثالث فقد سافر إلى أمريكا حيث فر من رجال النظام الخاص ونذر نفسه للدعوة العلنية المفتوحة هناك فى إحدى الولايات بأمريكا يرافقه فى ذلك الدكتور حسان حتحوت الذى كان من التلاميذ النجباء لحسن البنا .

سادت فترة صمت طويلة بيننا إذ كنا مازلنا نسير فى الشارع الطويل فى حين كان الليل قد دخل إلى نصفه الثانى دون أن نشعر بتوغله ، وكنا قد اقتربنا من سيارتى فجلسنا فيها كى نحتفى بها من لسعة البرد وبعض قطرات من المطر غشيتنا.. وبعد أن أحكمنا إغلاق نوافذ السيارة أكمل الغزاوي :

كنت أجلس عند الأستاذ فريد عبد الخالق وسمعتة وهو يدلى بحوار لأحد الصحفيين ، فقال من ضمن ما قال : " ظن رجال النظام الخاص أنهم أحكموا السيطرة على الجماعة وبالفعل اشتكى لى الأستاذ عمر التلمسانى من أنه أصدر أمراً ذات يوم ، إلا أن هذا الأمر لم يتم تبليغه لأحد فاحتد الأستاذ عمر على المسئول عن التبليغ وهو الأستاذ كمال السنانيىرى أحد رجال النظام الخاص الأقوياء وأحد رجال مصطفى مشهور الأمانء ، وسأله عن الأسباب التى دعتة إلى عدم تبليغ القرار ، فقال السنانيىرى : لأن قيادة الإخوان لم توافق على قرارك ... فتعجب التلمسانى وقال : وهل من قيادة غيرى ؟ .. فقال السنانيىرى : نعم ... نحن القادة ... مصطفى مشهور واحمد



حسانين وحسنى عبد الباقي وأنا ... ثم قام السنانيرى بدعوة أحد العاملين فى مقر الدعوة وسأله أمام التلمسانى قائلا : لو أمرتك أمرا وأمرك بغيره المرشد فلمن ستطيع ؟ فقال الرجل : لك طيعا .

وهنا أيقن التلمسانى أنه يجب أن يدفع فى الجماعة دفقة من الشباب يؤمنون به وبأفكاره فكان عبد المنعم أبو الفتوح وأبو العلا ماضى وعصام العريان ومختار نوح وغيرهم . ومن خلال هؤلاء الطلبة - وقتها - دخل جيل الشباب بالآلاف إلى مدينة الإخوان فكان هذا هو الإحياء الثانى للتنظيم ، بيد أن أطياف الجماعة المختلفة اقتسمتهم فيما بينهم ، فمنهم من تتلمذ على يد أفراد النظام الخاص وانصوى تحت راية أفكارهم ، ومنهم من تتلمذ على يد التلمسانى والمدنيين من شيوخ الجماعة وأمن بفكرهم وطريقتهم .. فريق مع عسكرة التنظيم وفريق مع مدنية الجماعة .

يقول الأستاذ فريد عبد الخالق : وقد طلب منى التلمسانى أن أكون بجواره إلا أننى لم أستطع العمل مع هؤلاء .... من أجل ذلك قام التلمسانى بفتح منافذ الجماعة لكل أفراد التيار الإسلامى ... ومن أجل ذلك أيضا قام باستدعاء بعض الطيور المهاجرة من الإخوان فأعاد إلى مصر فى النصف الأول من الثمانينات المستشار مأمون الهضيبي رجل القانون المتمرس وابن المرشد الثانى وكان يعمل آنذاك مستشارا قانونيا لوزير الداخلية السعودى ، فأسند إليه إدارة بعض الملفات السياسية رغم اعتراض أفراد النظام الخاص عليه ، فقد ظل الهضيبي الابن بعيدا عن الإخوان مدة عشر سنوات كاملة بعد أن صدر ضده قرار بالفصل من الجماعة بعد مشكلة تنظيمية كبرى نشبت بينه والشيخ مناع القطان مسئول الإخوان بالمملكة والأب الروحى لهم هناك !!

كاد الهزيع المتبقى من الليل أن يلتقط أنفاسه الأخيرة ويحمل ظلامه ويرحل ، وكانت قطرات المطر الخفيف قد انقطعت وكأنها تتأدب مع المصلين الذين سيبرحون دورهم عند الفجر للصلاة فى المساجد فغادرنا السيارة لنذهب مترجلين إلى أحد المساجد استعدادا للصلاة... وغمرتني حينذاك رعشة برودة وأنا أحدث نفسى : ها هي المفاجأة الثانية التى لا يمكن أن يتوقعها أحد !! المستشار مأمون الهضيبي ابن المرشد الأسبق حسن الهضيبي تم فصله من الإخوان فتركهم لمدة عشر سنوات !! ليت شعرى

أحقيقة هذه أم نحن فى عالم العجائب الإخوانية؟.

أخذت أستزيد أسامة الغزاوى بشغف فقال :

كانت هذه هى القصة التى سمعتها من الأستاذ عبد المتعال الجابرى كما قلت لك ، وسمعت طرفها الآخر من الأستاذ فريد عبد الخالق ، وقد حاولت الاستيثاق من الحاج مصطفى ذات يوم عن صحة خبر المرشد السرى فلم يجبنى وقال لى هذا علم لا ينفع .. لا تتحدث إلا فيما يعينك .. إلا أننى كنت أتحرق شوقا لاستجلاء غموض هذه القصة التى أخفتها القيادات عن الجميع وكأنها عورة ينبغي طمسها أو ذكرى بائدة يجب أن تكون نسيا منسيا !!!..".

" ذهبت إلى أختينا الدمث الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عضو مكتب الإرشاد الذى تعرفه فقال لى : كنت حاضرا فى هذه الأيام ولكن المرشد السرى لم يكن المهندس حلمى عبد المجيد بل كان الشيخ زكى وهو من شيوخ الإخوان الكبار وقتها ، وتم اختياره ليدبر دفة الجماعة إلى أن يتم اختيار مرشد جديد .. وردد مثل ذلك الدكتور السيد عبد الستار المليجى " .

" وذكر أخونا الدكتور عصام العريان نجم الإخوان البازخ المثقف فى لقاء خاص جمعه ببعض الإخوة أن المرشد السرى لم يكن حلمى عبد المجيد .. بل كان الشيخ حسنى عبد الباقي أحد سدة التنظيم وأحد أهم قيادات النظام الخاص .. " .

" بيد أن كبار الإخوة أجمعوا على أن أبو الفتوح والعريان والمليجى كانوا وقتها من صغار الشباب ولم يكن يسمح لهم بالإطلاع على تلکم الشئون ، وأن المرشد السرى كان هو حلمى عبد المجيد الذى خرج بعد ذلك من زمرة الجماعة ولم يظهر فى أى مناسبة من مناسباتها " .

دارت رأسى من تلك القصة الغريبة التى جعلتنى عندما استمعت لها ما بين مندهش ومتعجب ، إلا أن الحرارة التى كان يتحدث بها أسامة والاسترسال الذى حرك لسانه جعلنا صدقه عندى لا مرأى فيه .

كانت رسل الفجر قد بدأت فى التجلى وظهر بعض المصلين وهم يغادرون دورهم فى طريقهم إلى المساجد انتظارا لأذان الفجر ، وكنا قد قطعنا الشارع مرة أخرى وحديث الغزاوى المشوق لا ينتهى وكأن جعبته لا تنفذ من الأسرار .

تدخلت فى الحوار مستفهما : نعود مرة أخرى إلى سؤالى الذى جرننا إلى

هذه القصة العجيبة .. تلك القصة التي لا أظن أن أحدا من شباب الإخوان يعرف تفاصيلها أو يدرك مراميها ومغزاها والتي قطعاً تحتاج إلى بحث وتنقيب للوصول إلى كنهها ... ولكن يظل سؤالى حائرا .. لماذا يا أخى قال المستشار مأمون الهضيبي فى معرض الكتاب عبارته المؤلة التي أظن أن فكره يرفضها ؟ لماذا قال " نحن نتعبد لله بأعمال التنظيم الخاص قبل الثورة " !! .

قال الغزاوى وقد أخذه التعب وظهر على صوته الإرهاق : عندما وضع المستشار مأمون الهضيبي قدمه على أرض الإخوان فى مصر أدرك أن رجال التنظيم الخاص يسيطرون .. ولكنه وضع يده فى يد بعض رجال الأستاذ عمر التلمسانى ووثق صلته بالأستاذ صلاح شادى رحمه الله وكوّن معه لجنة سياسية ضموا إليها عددا من المفكرين من غير الإخوان ، وبعد أن مات الأستاذ التلمسانى وجاء الأستاذ حامد أبو النصر أدرك الهضيبي الابن أن مقاليد الأمور ألت كلها إلى رجال التنظيم الخاص وأنه لن تكون له مكانة إلا إذا صانعهم ومالأهم فبدأ يتقرب إلى كبيرهم الحاج مصطفى مشهور ، أما هم فقد نظروا إليه فوجدوه مستشارا كبيرا مرهوب الجانب مكث سنوات من عمره قريبا من الحكام والملوك إذ كان كما قلت لك مستشارا لوزير سعودى من آل سعود فسعدوا بصحبته واستناموا له خاصة وأنه أخذ يدافع عن أعمالهم قبل الثورة ... ومن هنا فإن المستشار مأمون كان يفسح لنفسه مجالا داخل الجماعة من خلال كلماته فى معرض الكتاب عنهم ليسحب منهم أهم ملفات التنظيم كى يديرها بعقلية مدنية بعيدا عن الطريقة العسكرية الآلية التي أتقنوها ولم يعرفوا غيرها ... وعن قريب سيصل هذا الرجل إلى بغيته إذ من السهل عليه أن يسيطر عليهم ويسوسهم بذكائه وحنكته ودهائه .

ولك أن تعلم أن المرشد السابق الأستاذ التلمسانى وضع المستشار مأمون فى لجنة سياسية بالإخوان هدفها وضع تصور لحزب مدنى وكان معه فى هذه اللجنة الأستاذ صلاح شادى ولكن يبدو أن المستشار مأمون عدل عن هذه الفكرة حاليا وتوقف عن المضى فيها بعد أن وجد أن رجال النظام الخاص يمتقنونها ويبغضون من يطرحها وكأنه قتل أباهم لأنه فى مخيلتهم لا تستقيم الجماعة فى وجود حزب ولا يصلح الحزب مع جماعة ... وقد قال لنا الحاج مصطفى مشهور ذات يوم ونحن نناقشه فى جدوى عمل حزب سياسى

أن حسن البنا قال: إن الأحزاب مخالفة للشرع !! .  
وبعد وفاة الأستاذ التلمسانى تم مناقشة فكرة الحزب فى مكتب الإرشاد وقتها قال الحاج مصطفى : إن فكرة الأحزاب السياسية تخالف الإسلام وتدعو إلى التفرق وقد انبثقت الأحزاب من ثقافة الغرب الملحد ولن ندخل معهم جحر الضب ولكننا سنعيش فى طهارة الجماعة ( يقصد لن نستدرج لعمل حزب سياسى ) ومن بعدها وضع المستشار مأمون برامج الأحزاب - التى تم إعدادها - فى سلة مهملات الجماعة حتى يكسب رضاء رجال النظام الخاص .

لا أعرف لماذا وقع فى خلدى عندما استمعت إلى التبرير الذى ساقه الغزاوى قصة " تاييس " التى كتبها الروائى الفرنسى " أناتول فرانس " عن تاييس والراهب بافنوس.. ذهب بافنوس إلى تاييس كى يسحبها إلى دائرة الإيمان فخرج هو من دائرة الإيمان ... فهل تتكرر القصة ؟ .

أذن الفجر فى نهاية الكلمة الأخيرة لأسامة وكنا على باب مسجد عاطف السادات ذلك المسجد الكبير الضخم القابع فى الثلث الأخير من شارع طومانباى والذى كان فى يوم من الأيام مجرد زاوية مقتطعة من مركز شباب طومانباى ثم أصبح بعد حرب ١٩٧٣ مسجدا ضخما وقد امتد إليه نفوذ التجمعات السلفية دون أن يكون لجماعة الإخوان أى وجود فى أنشطته وبذلك سيطر السلفيون على الجامعين الكبيرين بالمنطقة كلها ... مسجد العزيز بالله ومسجد عاطف السادات .

وبعد أن صلينا الفجر دعانا البعض إلى الجلوس فى مقراًة متخصصة فى تعليم أحكام تلاوة القرآن ولكننا اعتذرنا للإجهاد الذى سيطر علينا وانصرفنا وأقدامنا لا تكاد تحملنا إلا أن عقلى كان فى أوج نشاطه وتوجهه ، ومن حالة الشبق المعرفى التى اعترتنى قلت لأسامة الغزاوى ونحن فى الطريق إلى بيته حيث تقف سيارتى : هل لك أن تخبرنى عن سبب ترك الإخوان ... أو بالأحرى فصلك منها ؟ .

قال والأسى يمتزج بابتسامته : جاء لنا أمر من مسئول المنطقة بخصوص انتخابات مجلس شورى الجماعة بوجوب أن يختار الأخ أسماء معينة بذاتها دون غيرها وكان من ضمن هذه الأسماء الحاج مصطفى مشهور ... والله يا أخى لو تركوا الأمر دون توجيه لاخترت هذه الأسماء ، ولكننى أنا وآخرين

رفضنا تلك الشورى الزائفة وقلنا لبعض : رغم حبنا للحاج مصطفى إلا أننا لن نختاره ، ولن نختار الأسماء التي أعطوها لنا ، ولكن أحد الإخوة سامحه الله أفشى أمرى أنا وعمر التلاوى فتم التحقيق معنا ثم تم وقفنا لمدة عام ... وإذ رفضنا هذا الظلم صدر قرار بفصلنا من الجماعة .

★★★

لم أستطع أن أخلد إلى النوم رغم تلك السهرة التاريخية ، من بعد المغرب إلى ما بعد الفجر وحتى تباشير الصباح ونحن نستدعى ذلك التاريخ القريب للإخوان ، وعندما أويت إلى فراشى تداعت الأفكار وتفاعلت فى فؤادى فأقضت مضجعى ومنعتنى من النوم .. ينبغى أن أسير فى الجماعة وأنا أحمل مصباح ديوجين فيلسوف أثينا الشهير الذى كان يحمل مصباحه فى وضوح النهار يبحث به عن الحقيقة ، ينبغى أن أحتفظ بعقلي لا أسلمه لأحد مهما كان قدره ، فلم تصب الإنسانية بأفة كافة تسليم العقول يعيث بها من يشاء ، لقد أدركت من خلال ذاكرة أسامة الغزاوى أن الجماعة عندما تشعر أنها مهددة بالزوال فإنها تدافع عن نفسها عبر عدة وسائل ، إذ تسعى أولاً إلى وأد أى حركات تجديدية داخلية ومحاربتها بشتى الطرق ، كما أنها تسعى فى ذات الوقت إلى الانكماش والتقوقع على ذاتها كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس بحيث تبقى بمعزل عن البناء الحضارى للمجتمع ... أما طبيعتى فهى ضد العزلة والتقوقع والانعزال .. أنا مع الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ... وما التنظيم إلا وسيلة فإن خاب فى مسعاه فليذهب إلى ذمة التاريخ ولتكن الدعوة إلى أن يشاء الله .

بعد عصر يوم الجمعة الذى جاء ردف تلك السهرة الليلية المدهشة من بدايات عام ١٩٩٢ قررت أن أدون فى مفكرتى كل ما يمر بى فى الجماعة من أحداث ، وأن أدون أيضا تلك الأحداث التى مرت بالجماعة وكنت قريباً منها أو التى مرت بمن سبقونى فى الإخوان ... وكان أول ما كتبته عن أيام الإخوان المسلمين فى نقابة المحامين من بداية التجربة إلى تلك اللحظة التى أمسكت فيها بالقلم - ثم ما بعد ذلك مع توالى الأحداث - .. تلك الأيام التى كانت ماثلة بين أيدينا والتى كنا نرتع فيها فى أقدم نقابة مهنية ليس فى مصر فحسب ولكن فى العالم العربى كله .. أيام الإخوان فى تلك النقابة العلمانية الليبرالية الصلدة.. ويا لها من أيام .



## الفصل الثالث

## سفر التكوين

«عندما يتسلق الإنسان بدأب وإصرار الجبل ليصل إلى القمة فإنه سيصل حتماً ولكن ينبغي عليه أن يعلم أن الغيوم والسحب تحيط بالقمة من كل جانب» .

هامش : كتبت هذه السطور في مفكرتى بدءاً من عام ١٩٩٢ ، وبعد هذا التاريخ حدثت الكثير من الأحداث والوقائع وتبدلت أحوال البعض ، ولذلك قمت بكتابة إضافات سأجعلها في موقعها المناسب ولكننى سأضعها بين قوسين لتمييزها عن النص الأصلي ، إلا أننى اختصرت الذى دونته فى مفكرتى وتجاوزت أحداثاً هامة حتى لا أستدرج القارئ إلى تفريعات ليس هنا مجال ذكرها .

كان ذلك قبل أن أدخل إلى الإخوان أو أنخرط فى تنظيمهم ، لم أكن أعرف - بحسب أننى كنت أنظر إلى جسم الإخوان من الخارج - حقيقة ما يدور داخل التنظيم ، أما الآن فإننى أكاد أقسم أن الأستاذ عمر التلمسانى رحمه الله لم يكن يتصور أنه عندما أطلق شرارة بدء حركة الإخوان المسلمين فى نقابة المحامين أن يؤول الأمر إلى ما وصل إليه الحال فيما بعد .

فى بداية عام ١٩٨٣ حينما أصبح الشتاء فى عنفوانه ، قام الأستاذ عمر التلمسانى مرشد الإخوان آنذاك بدعوة عدد من أبناء الحركة الإسلامية من العاملين بالمحاماة كي يستأنس برأيهم فى شأن وضع حجر الأساس للحركة الإسلامية بعمومها فى نقابة المحامين ، كان من بين الحضور عدد من قيادات الإخوان من غير المحامين وكان من بينهم أيضاً بعض شيوخ المحامين الذين انتسبوا للإخوان بشكل أو بآخر .

وبعد أن صلى الجميع الظهر خلف إمامهم وقائد دعوتهم ومرشدهم عمر التلمسانى ، تحلق الجمع حوله وقد توسطهم فى الحجرة الرئيسية بمقر الدعوة - الإخوان - بالتوفيقية وأخذ الرجل - وهو الحامى الأريب - يستمع إلى الشباب والشيوخ .. يتفرس وجوههم ويبحث فى قلوبهم ويقرأ تصوراتهم الحركية فى الشأن الذى دعاهم إليه ، إلا أنه أعرض بامتعاض عن كل ما استمع إليه إذ كان المتكلمون يتحدثون وكأنهم من أهل الكهف لا يدرون عن واقعهم شيئاً .

وعندما انتهى الجميع قام من آخر الصف شاب فى نهاية العقد الثالث من عمره يطلب الكلمة ... وعندما أذن له المرشد تكلم واحتد وشرح كل ما فى



عقله وكانت كلماته تحمل قدرا من اللوم على جيل فشل فى وضع أقدام الحركة الإسلامية فى نقابة المحامين حتى أصبحت هذه النقابة قلعة من قلاع الأيديولوجيات الليبرالية واليسارية التى تقف فى موقع المنافسة مع ما أطلق عليه الباحثون " الإسلام السياسى " ، أثار كلام هذا الشاب سخط الكبار وإعجاب الشباب حتى أن المرشد التلمسانى انتهره وطلب منه الجلوس ، إلا أنه عند انصراف الجميع همس المرشد فى أذن الشاب مختار نوح قائلا : مر عليّ فى الغد .

لم تكن هذه اللفتة لتمر بسلام وبين الجالسين الحاج أحمد حسانين والدكتور أحمد الملط والشيخ حسنى عبد الباقي أبناء النظام الخاص الذين استشعروا أن المرشد يسعى قدما نحو اجتذاب شباب الإخوان إلى دائرته الخاصة التى تنشئ الدعوة ، بعيدا عن عيونهم ورقابتهم ، وإلا ما الداعى أن يهمس فى أذن هذا الشاب وهو يبتسم ابتسامة نافذة ، فأوجسوا فى أنفسهم خيفة وأضمرها فى ضمائرهم شيئا .

( صدرت تعليمات بعد ذلك إلى مسئولى المحافظات بعدم تنفيذ أى أمر يصدر بخصوص مختار نوح إلا بعد الحصول على موافقة من أحد هؤلاء ، إلا أن المرشد التلمسانى كان لهم بالمرصاد ومن بعد استطاع نوح التغلب على تلك المعوقات من خلال صلته الوطيدة بالمستشار مأمون الهضيبى إلى أن تغيرت الأحوال وسبحان من له الدوام ) .

فى اليوم التالى كان التلمسانى يستمع من مختار نوح إلى تصور حركى واستراتيجى كامل يسمح للحركة الإسلامية بعمومها - وليس الإخوان فحسب - بالولوج إلى نقابة المحامين تلك النقابة التى كانت الحلم للحركة الإسلامية ... والأمل للإخوان المسلمين إلا أنها كانت عصية عليهم .

قال نوح للمرشد وهو ينظر تأدبا إلى الأرض : أرى يا فضيلة المرشد أنه ينبغى أن نقوم بتكوين صف واحد فى نقابة المحامين ينصوى تحت رايته كل التيار الإسلامى .. الإخوان وغير الإخوان .. يمتد جغرافيا إلى كل القطر بحيث يرتبط الجميع برباط عضوى ، كما لا بد أن نقدم عملا إسلاميا واضحا ونعلن عن طموحاتنا وأنفسنا وشعاراتنا بلا موارد إن لم نجن من الموارد التى كان السابقون يحرسون عليها إلا الفشل ... ثم مد نوح يده للمرشد بوضع ورقات تحتوى على تصور حركى ومنهجى ثم استطرد : هذه الورقات

تحتوى على تصورى أقدمها لفضيلتكم حتى أحصل على رأيكم وتوجيهكم بشأنها .

مما لاشك فيه أن المرشد المستبصر تنفس الصعداء ثم ربت على كتف نوح وهو يقول له :

" أوافق على هذا التصور ، إلا أننى أطلب منك أن يكون صفك باحثاً عن مصالح المحامين قبل غيرهم ولو كان غيرهم هم الإخوان " .

" أنت الآن مسئول عن تنفيذ تصوراتك وأفكارك وسأساعدك ما وسعنى الجهد " .

" أعلم أنه ستقابلك العديد من المشاكل والصعوبات الجمة ، لن تكون الصعوبات أو المشاكل التى أعنيها من المنافسين الذين ينتمون لتوجهات سياسية منافسة فهذه مقدور عليها، ولكن ستقوم عليك الحروب من أبناء جلدتك الفكرية .. أبناء مرجعيتك فاحذر منهم " .

"إذا أردت أن تسلك طريقاً فى الحركة ووجدت معارضة من أحد من الإخوان هدفها توقيفك وإحباطك فاضرب الصفح عنهم وقل لمن يعارضك: إنما أفعل ما أمرنى به التلمسانى " .

كان المرشد على يقين من أن مشروعه الفكرى الرامى إلى تحويل الجماعة إلى تيار دافق يسرى فى أوصال المجتمع ويضم كل أبناء الحركة الإسلامية سواء من انضم منهم للتنظيم أو من لم ينضم ، لا فارق بينهما إلا بمقدار الإيمان والعمل سوف يلقى معارضة أكيدة من فريق يسعى بقضيه وقضيضه نحو إحكام قبضته على عنق الجماعة ، إذ كان هذا الفريق قد نشأ بعضه فى حضن النظام الخاص وتحت رعاية عبد الرحمن السندى ، وشرب بعضه الآخر من معين سيد قطب وكانوا سدة معبده الفكرى وأتباعه فى قضية ١٩٦٥ ، من أجل هذا كان المرشد حريصاً على تحذير نوح من أولاء بكلمات تحمل تلميحا وتخفى تصريحاً أو تبطن أكثر مما تظهر .

★★★

لم ينصرم عام ١٩٨٣ حتى جمع مختار نوح حوله من جيله عددا من المحامين الذين يحملون عاطفة دينية مشبوبة... لم يكن منهم من ينتمى إلى الإخوان المسلمين إلا ستة نفر خمسة من المحامين أما السادس فقد كان طالبا فى كلية الحقوق ( سيكون هؤلاء صاحب دور مؤثر فى مسار

جماعة الإخوان فى نقابة المحامين فى مستقبل الأيام ) ، أما عن هؤلاء الستة فهم جمال تاج الدين ( الذى أصبح نقابيا بارزا فيما بعد كما أصبح صاحب مكانة إخوانية إلا أن مكانته ارتبطت - مدا أو جزرا - بمن هم على مقاعد الإدارة الإخوانية العليا ، كما أن شخصيته الصدامية عطلته عن الترقى فى مدارج الإخوان وأوقفت رحلة صعوده حتى حين ) ، وجمال فايز ( الذى اختفى من الأحداث بعد ذلك بسنوات وترك جماعة الإخوان رغم النسب الذى ربطه بأحد كبار الإخوان الأوائل - الراحل محمد المسمارى - والصلة العميقة التى كانت بينه وبين المرشد التلمسانى ) ، ومحمد غريب ( الذى دخل الإخوان عن طريق بوابة نوح وما لبث أن خط لنفسه طريقه فى الإخوان وتراوحت رحلته الإخوانية ما بين الصعود والركود ) ، ومصطفى زهران ( الذى كان راقصا فى فرقة رضا للفنون الشعبية وكان من المتوقع أن يكون له الشأن الأكبر فى تلك الفرقة الفنية التليدة وإذا به يغير مساره عندما التقى بنوح حيث ترك الفرقة الفنية ودخل إلى الفرقة الدينية - الإخوان المسلمين - وأصبح بعد ذلك من علامات البداية للإخوان فى نقابة المحامين إلا أن الحال لا يدوم فسرعان ما تراجعت مكانته الإخوانية وتعرض لكثير من المشاكل داخل المحضن الإخوانى حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من ترك الجماعة إلى أن تم تسكينه فى أسرة إخوانية تضم المشكوك فى ولائهم فأصبح على الهامش بعد أن كان من القلب ) ، وأحمد ربيع ( أحد أوائل من انضم من محافظة الجيزة للإخوان المسلمين وكانت تربطه بالحاج مصطفى مشهور رابطة قوية حيث دخل الإخوان عن طريقه فى نهاية السبعينات ثم انقطع الحبل السرى الذى كان يربطه بالحاج مصطفى بعد أن استوى عوده ... وقد ترقى أحمد داخل الإخوان وأصبح فى فترة من فتراته مسئولا عن نشاط الأشبال فى الإخوان وتمازج أحمد مع نوح وشرب منه وتعلم الكثير على يديه وبعد محنة نوح التى دخل فيها السجن عام ١٩٩٩ ستصيب أحمد لعنة الإخوان بسبب قربه من نوح وسيتم تنحيته من كل مواقعه الإخوانية وسيصبح خالى الوفاض وأثرا بعد عين ) .

ثم طالب الحقوق وقتها سيد عبد العزيز الذى كان أحد شباب الإخوان فى منطقة الزيتون وكان مقربا من نوح حيث ظل منافحا عنه وسندا له (إلا أن السفر خارج البلاد للبحث عن الرزق أبعده لسنوات عن الجمع وعندما عاد من

سفره عاد بغير القلب الذى ذهب به ) ، ثم انضم إليهم بعد ذلك خالد بدوى الداعية الذى عُرف عنه أنه رقيق الحاشية دمث الخلق بشوش مبتسم يمتلك وهو يقرأ القرآن صوتا خاشعا مؤثرا يهز الأفئدة (وأصبح بعد ذلك من مختار نوح كهارون من موسى عليه السلام ومن بعد صار خالد عضوا شهيرا بمجلس نقابة المحامين وتم حبسه مع نوح فى قضية عبد الحارث مدنى عام ١٩٩٤ ثم فى قضية النقابيين عام ١٩٩٩ وبذلك أصبح رفيقا لمختار فى سجنه كما كان رفيقا له فى العمل النقابى) .

وبهذا العدد بدأ مختار نوح فى تأسيس الصف الإسلامى حيث قام بالطواف فى المحافظات والقرى كى يجمع أنصارا من المحامين يعرض عليهم فكرته وتصوراته الإسلامية والحركية التى كان نبعها هو فكر الإخوان ... وبدأ العدد فى التكاثر من حوله رغم المواقف العديدة التى وضعها أمامه من أشار عليهم التلمسانى .

كانت المشاكل تترى ، والبيروقراطية تقف حائلا دون انطلاقات هذا الشاب ولكائما الذين يعوقونه ينتمون إلى جماعة أخرى وتنظيم آخر ... ولم يكن نوح يستطيع فى كثير من الأحيان التغلب على تلك البيروقراطية إلا بالاتصال بالمرشد التلمسانى حتى يأمر بك تلك الطلاسم التنظيمية .

ورغم كل ذلك فقد كانت البداية برآقة لامعة تخطف الأبصار، وقد ساهم فى الزخم الذى صاحب البداية تلك الحالة المصرية الفريدة التى لم تتكرر كثيرا فقد كانت مصر - المتدنية أصلا - آنذاك فى حالة شعورية فريدة من التدين والإقبال على الحركة الإسلامية التى اكتسبت ثقة الشارع بسبب حكمة وحصافة التلمسانى ، وبسبب العلماء والدعاة الذين انتشروا قبلها فى مصر من خلال مساجدها ومنابرها وجامعاتها يصنعون مساحة تأثير غير مسبقة ويمهدون الطريق لمن يجنى الثمار.

لكل هذا ولغيره تكون فى نقابة المحامين صف من المحامين يحملون خليطا فكريا وحركيا متناثرا إلا أنه تجمعهم مرجعية واحدة وعاطفة دينية مشبوبة ، انتمى معظمهم إلى الإخوان المسلمين عن طريق نوح وظل البعض الآخر بغير انتماء تنظيمى .

كانت المشكلة الأساسية التى واجهت نوح ومجموعته هى تحت أى غطاء نقابى يعملون ؟ إذ لم يكن التلمسانى يحبذ لهم العمل فى النقابة تحت راية

الإخوان بشكل فج ، وإن لم يمانع بطبيعة الحال من أن تكون الراية التى يلتف من حولها المحامون هى راية إسلامية ذات شعارات إسلامية واضحة ، كما أنهم يذكرون تلك الليلة التى اجتمعوا فيها مع القطب الإخوانى الشهير الأستاذ فريد عبد الخالق فى بيته حينها قال لهم بكلمات واضحة رقراقة : ينبغي وأنتم تمارسون عملكم النقابى أن تقطعوا الحبل السرى بينكم وبين الإخوان ، بل وينبغي أن تنتهى فترة فطامكم الإخوانى .. أنتم من المحامين وينبغي أن يكون عملكم لمصلحة المحامين قبل أى مصلحة أخرى ... ولا ريب أن مثل هذه الأفكار قد ألفت بالأستاذ فريد عبد الخالق بعيدا عن المواقع القيادية فى الجماعة رغم تاريخه الذى يضرب بجذوره فى تربة الإخوان وصلته القوية بالمرشد التلمسانى ... وعلى نفس النهج نصحهم المفكر الإسلامى والقانونى العملاق الدكتور توفيق الشاوى ( رحمه الله ) الذى كان قد أبحر بعيدا عن التنظيم منذ أمد .

( ولعل لجوء نوح إلى أولاء الرجال يطلب منهم المشورة جعل فريق النظام الخاص يضع تحت اسمه ورسمه خطأ أحمرأ ظل يصاحبه كظله فيما بعد ) . تعددت مصادر الشورى وتنوعت وكان من رأى الأستاذ محمد هلال (وهو من كبار المحامين بالإخوان وأحد أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سنا وتولى موقع المرشد المؤقت عقب وفاة المرشد السابق مأمون الهضيبي وسيكون له دور مهم فى الأحداث بالنسبة لى فيما بعد ) أن يكون العمل تحت مظلة لجنة أو رابطة يطلقون عليها الصوت الإخوانى أو ما شابه .. مما جعلهم يغوصون فى حيرتهم .. تحت أى مظلة فى نقابة المحامين نعمل ؟.. هل تحت مظلة لجنة الحريات ، أم تحت مظلة لجنة الشئون العربية أم أم أم ؟ ولكن سرعان ما سينطلق ركب الإخوان إلى لجنة الشريعة الإسلامية التى ستصبح الناطق الرسمى للإخوان فى النقابة ... إلا أن الوصول إلى هذه اللجنة كان أشبه بالوصول إلى قمة إفرست ، كنا نتصور لجنة الشريعة لقمة سائغة ولكن تصورنا هذا كان مستغرقا فى السذاجة ... فقد كانت المفاجآت تنتظرنا .

★★★

كان أحمد الخواجة هو أول من أدرك فى نقابة المحامين ملكات مختار نوح وقدراته الانتخابية التى من الممكن أن تفسح المجال للإخوان المسلمين فى نقابة تتأبى على السيطرة الحزبية . فقبيل انتخابات المجلس التى أجريت فى

مايو من عام ١٩٨٥ - عام المواجهة - توفى الأستاذ محمد المسمارى المحامى وعضو مجلس نقابة المحامين المنصرم والذي ينتسب بصلة تماس أو انتساب - لجماعة الإخوان المسلمين فضلا عن أنه كان من المقربين للنقيب الداهية أحمد الخواجة وللمرشد التلمسانى فى ذات الآن - وفى سرادق العزاء المهيّب تقابل أحمد الخواجة مع مختار نوح وانتحى به جانبا ثم بدأ يسر فى أذنه كلمات: أنت شاب رائع وسيكون لك مستقبل إلا أنك تحفر نهايتك ونهاية جماعتك فى النقابة بنفسك كان من المفترض أن تتعلم من المرحوم المسمارى أهمية عدم رفع شعاراتكم الدينية.

قال له نوح وهو يمتطى جواد الثقة : المسمارى رحمه الله أستاذى ولكن لكل مرحلة متطلباتها وقد أن أن نُعبّر عن أنفسنا وعن فكرنا ونحن نثق فى ضمير المحامين .

فبادره الخواجة : اعلم يا مختار يا ابنى أن الشعار الذى رفعته والذى تقولون فيه نعم نريدها إسلامية من شأنه أن يسقطك فى الانتخابات ، فنقابة المحامين نقابة علمانية وسوف يقف ضدك الناصريون والشيعيون والمسيحيون والوفديون .. سيقف ضدك الجميع وسوف يكون هذا كفيلا بإسقاطك أنت وجماعتك .

إلا أن نوح أجابه بثقة وهو يتسربل بعباءة الجدية : أعلم هذا يا معالى النقيب ولكن لا تقلق فسوف أنجح نجاحا غير مسبوق

فقاطعه الخواجة فى هدوء امتزج بقليل الحدة : السنة الماضية يا مختار لم يستطع الإخوان إعلان شعارهم فى انتخابات مجلس الشعب بل إنهم تحالفوا مع الوفد ودخلوا البرلمان من خلال معطف غير معطفهم وشعار غير شعارهم ... صدقنى فقد كنت حاضرا للتحالف من أوله لآخره وأنا الذى ذلت الصعاب التى واجهت هذا التحالف ... أنا أحبكم يا بنى وأحبك أنت على وجه الخصوص وأرى فيك شبابى .. ارجع للأستاذ التلمسانى وقل له الخواجة نصحنى بذلك وهو سيفهم قصدى .. فقد كان معى منذ لحظات يقدم واجب العزاء ، ويا ليتك حضرت مبكرا ولحقت به حتى يكون كلامى هذا على مرمى حجر من أذنه .

قال مختار وهو يستمر فى ثقته : هذا أمر محسوم يا معالى النقيب ولا مجال للجدال فيه .

وكأنما لم ييأس .. وبحميمية تميز بها الخواجة أمسك بيد نوح واقترب من أذنه هامسا وكأنه سيدلى له بسر خطير : مصر يا مختار لا تتحمل فى هذه الأيام شعارات دينية ... مصر ما صدقت أنها خرجت من دوامة التطرف ..... أرجوكم لا تعيدوا هذه الأيام....لو لم تنتبهوا فسيحدث فى المستقبل القريب صدام لا محالة بينكم وبين النظام .. بل ستصطدمون بمؤسسات الدولة المدنية كلها ... وإذا فعل الإخوان فعلتك وأصروا على المواجهة والمغالبة بالشعار والأسلوب ستكون هذه هى بداية النهاية للإخوان ككل .. الأمر يحتاج إلى فطنة لا إلى شجاعة .

لم يأخذ أحد بنصيحة الخواجة فقد اعتبرناها مناورة - وقد تكون كذلك - إلا أننا لم نفكر حتى فى طرحها للنقاش ، ولكننا فقط تناقلنا خبرها بزهو وانتشاء ، فالخواجة بجلالة قدره يخشانا ويحاول أن يستقطبنا وكأننا المجهول المخيف ، وقد زاد من شعورنا بالفخر تلك النتيجة التى أسفرت عنها الانتخابات .... فعلى غير ما توقعت القوى السياسية فى مصر فاز مختار نوح بالمقعد الأول للشباب مزاحما الكبار فى عدد الأصوات ومتفوقا بثلاثة أضعاف تقريبا على سامح عاشور الابن الروحى لأحمد الخواجة الذى فاز بالمقعد الثانى ، وكان هذا الفوز هو قمة المفاجآت التى أذهلت أحمد الخواجة ومجلسه ، ولكن يبدو أن الخواجة لم يستسلم ... فقد دبر أمرا وأجرى اتفاقا مع مجلسه سيكون هو الضربة الأولى للإخوان .

★★★

كان نوح قد جاب المحافظات والمراكز فى جولاته الانتخابية وقد ساعدته هذه الجولات على اكتساب مزيد من الأنصار بل كانت هذه الجولات هى العامل الرئيسى فى تكوين الصف الإخوانى الكبير فى نقابة المحامين فقد دخل إلى الإخوان من خلالها العشرات من المحامين واقترب من الإخوان بضع مئات يتحلقون حول نوح الذى ظهر كقائد منتصر استطاع فتح تلك النقابة الليبرالية التى كانت ذات يوم بعيدة المنال عن الحلم الإخوانى .

وبدخول مختار نوح صاحب الثوب الإخوانى للمجلس بدأت حقبة جديدة فى نقابة المحامين وظهرت أمام نوح مظلة شرعية يعمل هو ومجموعته تحتها ومن خلالها هى مظلة لجنة الشريعة الإسلامية وهى إحدى لجان العمل النقابى فى نقابة المحامين كان من ضمن أهدافها الرئيسية التى أنشئت من

أجلها تقنين الشريعة الإسلامية وعمل أبحاث شرعية وقانونية لهذا الغرض .  
وبعد أن أقمنا الأفراح ابتهاجا بهذا النجاح الذى اعتبرناه أسطورة من  
الأساطير ، حتى أن النوم خاصم جفوننا أياما من فرط السعادة - ولم لا  
تعتبرنا الفرحة ؟ وقد أصبح نوح هو الفارس الأول من فرسان الإخوان الذين  
ولجوا بالتنظيم إلى داخل النقابة كما يلج الجمل فى سم الخياط -  
أخذ بعضنا يتردد بشكل مستمر على مقر الإخوان المسلمين بالتوفيقية  
محاولا لفت الأنظار إليه وكأنه يقول لكبار الإخوان : انظروا .. نحن جيل  
الفتح ... نحن الذين فتحنا نقابة المحامين .

ووقع فى قلوبنا الظن أن النقابة قد حيزت لنا بلجانها ورجالها .. إلا أننا  
أفقنا من أحلامنا البلهنية عندما بدأ النقيب الخواجة فى تنفيذ الأمر الذى  
دبره مع أعضاء مجلسه ... فقد بدأ فى دعم سامح عاشور بكل ما يملك من  
قوة .. فى الوقت الذى أبعد فيه مختار نوح عن كل لجان النقابة بما فيها  
لجنة الشريعة الإسلامية !! وقتها أدركنا أن قوسنا لم يخرج من كبده بعد  
وأنا مازلنا فى بداية الطريق ولم تستو شجرتنا على سوقها .

وبدأت المواجهة بين تيار الليبرالية المصرية الذى ضم تحت معطفه كل  
التيارات السياسية .. والإخوان المسلمين الذين رفعوا شعار نعم نريدها  
إسلامية ... وشعار من أجل نقابة يمنحها الإسلام صدق الوعود وتعيش  
بالإسلام ثبات الموقف .. صراع من أجل مساحة تبتغيها جماعة الإخوان  
ومحاولة عنيدة من القوى الليبرالية بإغلاق الباب أمامهم وإقصائهم .. إلا أن  
الرياح أتت بما لم تشته السفن .

### **عودة الشيخ إلى التوفيقية**

كانت الصورة توحى بمعركة ... مجلس نقابة يرفض بكامله إعطاء نوح  
مساحة يمارس من خلالها أنشطته ... يرفض تسليمه لجنة الشريعة  
الإسلامية ... ونوح يعلن على المحامين كافة أنه هو مقرر ومسئول تلك اللجنة  
النقابية .. والصراع يحتدم .

وفى وسط هذه الأجواء عاد الحاج مصطفى مشهور من غربته التى قضى  
فيها خمس سنوات ، كانت حاسته الثاقبة وفراسته الصائبة قد أرشدته إلى  
أن الرئيس السادات سيقوم بالقبض على النخب من كافة الأطياف السياسية  
فغادر البلاد قبل اعتقالات سبتمبر الشهيرة عام ١٩٨١ ، أخذ الحاج مصطفى



يجوب بلاد الله ويتقابل مع خلق الله حيث استضافته المراكز الإسلامية في أمريكا ولندن وشرع وقتها في إقامة التنظيم الدولي للإخوان ثم عاد قبل أن يردد إلينا طرفنا - أو يردد إليه طرفه - وكأنه لبث يوما أو بعض يوم ، عاد إلينا بعرش التنظيم الدولي الذي أنشأ بنيانه - أو أعاده للوجود - وأنشأ لائحته .

عاد عندما وجد أن الجو السياسى فى مصر قد استطاب لأهلها من الإخوان وأمن كل واحد منهم على نفسه وماله ، عاد الرجل من غربته ليجد المرشد التلمسانى حرضاً فى نزعه الأخير ، فأخذ يُقَلِّبُ ملفات الإخوان التنظيمية وأوراقها ويبسط نفوذه هنا وهناك ، وكان أن وجد الإخوان قد قطعوا مسافة فى النقابات المهنية وتوطدت أركانهم فى الأطباء والمهندسين وبدأوا يظهرون فى المحامين ، فأوجس فى نفسه خيفة أن يكون المرشد التلمسانى قد جرى بهؤلاء بعيدا عن سطوة التنظيم ، فأسرهما فى نفسه ولم يبدها إلا لرجاله العتاة الأقوياء .

وكان لابد أن تجرى المقادير بما قدره الله فقد مات الأستاذ عمر التلمسانى وأفضى إلى ما قدّم وبكاه من بكاه من الإخوان ومن غير الإخوان ، واستراح لموته من استراح من الإخوان ومن غير الإخوان ، وكأنى سمعتُ وقتها - الأستاذ فريد عبد الخالق الصديق الحميم للمرشد التلمسانى وهو يقول لأحدهم مصطبرا بصوت غلفته رعشة الحزن : إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت المقادير وأنت مأزور .

وكأنى سمعته أيضا وهو يقول : إن أخشى ما أخشاه على الجماعة أن تقع فى يد من لا يحسن تدبير أمرها فيقذف بها بعيدا عن منهج حسن البنا والتلمسانى .

ولكنى سمعتُ أيضا آخرا وهو يقول لآخر وقد دان لهم موقع المرشد : «والله لنتلقفها كما نتلقف الكرة ولن ندعها تقع من بين أيدينا أبدا» .

وأصبح الأستاذ حامد أبو النصر هو المرشد الرابع للإخوان المسلمين . فى أحد الأيام من شتاء ١٩٨٧ انتحى الحاج مصطفى مشهور - بعد أن أصبح نائبا للمرشد أبو النصر - بمختار نوح وأحمد ربيع فى حجرته المواجهة لصالة الاستقبال بمقر الإخوان بالتوفيقية ( تلك الحجرة العتيقة التى شهدت أحداثا جمة وكان المستشار مأمون الهضيبي يزامله فيها أحيانا ) ... كانت

الحجرة بسيطة المحتويات وكان الحاج مصطفى بصورته المعتادة التي لم تغيرها الأحداث ولحيته الخفيفة غير المنتظمة وطاقيه رأسه البيضاء ... يرتدى كعادته - صيفا أو شتاءً - حُلّة صيفية رمادية اللون إلا أنه لبرودة الجو كان يرتدى تحتها رداءً من الصوف يقيه قر الشتاء ويحميه من نزلات الكحة الصدرية .

تنحج الحاج مصطفى وقال وكأنه ينصح زائريه بصيغة أبوية أمره: ينبغي أن تكون حركتكم فى نقابة المحامين خالصة للجماعة وحدها دون غيرها .

وقبل أن يرد عليه نوح أو يعقب استطرد الحاج مصطفى : ليس الأمر مجرد كلام ولكن أين العمل للدعوة ؟ أين المقارئ التي ينبغي أن تكون هي حجر الأساس ؟ أين المعسكرات الإسلامية ؟ هذه هي النبتة التي منها ستنتطق الدعوة ... ومن خلالها سيدخل إلى الإخوان الآلاف من المحامين وسيكون الفتح إن شاء الله .

قاطعه نوح وكأنه يستفهم : ولكن أين دور العمل النقابى المتمثل فى الارتقاء بالمهنة وتقديم الخدمات للمحامين وإنشاء المشروعات النقابية ؟

قال مصطفى مشهور وهو يخترق وجه نوح بنظراته النافذة : يستطيع أى واحد تقديم مثل هذه الأعمال النقابية لكن لن يستطيع غيركم تقديم العمل الإسلامى ... أنتم رسل الدعوة فى النقابة ، ولذلك فليضع كل واحد منكم أمامه هذا الشعار لا تغادروه أبدا ... فى سبيل الله قمنا نبتغى رفع اللواء... لا لحزب قد عملنا نحن للدين فداء... فليدع للدين مجده أو ترق فيه الدماء .

أكد أقسم أن مختار نوح تأثر بهذه الأفكار وقتها ، فقد أيقن أن فتح نقابة المحامين لن يكون إلا من خلال العمل الدعوى ولن تكون الدعوة إلا من خلال الإخوان وحدهم دون غيرهم ولن يكون الإخوان إلا بتنظيم محكم .. ولن يقبل الإخوان وجود أى حركة إسلامية منافسة مهما كان قدرها .. وعلى غير المتوقع ظهرت فى سماء نقابة المحامين حركة إسلامية منافسة أثارت قلق الإخوان .

( ولكن التجربة أعطت لنوح بعد ذلك بُعدا فكريا مختلفا ، بُعدا واسع الأفق عظيم الامتداد ، ولكن لم يمهله أحد فقد تعرض نوح فى مستقبل الأيام بسبب أفكاره لإقصاء وتجميد ) .

## مناظرة بين الإخوة الأعداء

ذات صبح لأحد أيام عام ١٩٨٨ انتشرت فى حجرات المحامين بالمحاكم إعلانات عن تأسيس رابطة أطلقت على نفسها جماعة المحامين الإسلاميين ، كان أفراد هذه الرابطة ممن ينتمون إلى تجمعات إسلامية مختلفة مثل الجهاد والجماعة الإسلامية ، وكان بعضهم جذوره سلفية إلا أنهم كلهم يقفون موقف الاختلاف مع الإخوان المسلمين ، وبدأت أنشطة تلك الرابطة تنهض وتظهر بصورة توحى وكأنها المنافس الإسلامى للجنة الشريعة الإسلامية ... أو على وجه الدقة للإخوان المسلمين .. وظهر على رأس هذه الرابطة منتصر الزيات الذى كان قد بدأ خطواته الأولى فى المحاماة بعد خروجه من السجن ، ومحمود عبد الشافى وهو شخصية إسلامية معروفة بين المحامين ولها حضورها ، وقمر موسى الذى كان أميرا للجماعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة فى السبعينات ... وغيرهم .

أثارت هذه الرابطة قلق الإخوان وخوفهم ... فأولئك المحامون ينتمون فى الأصل إلى تجمعات حركية انتهجت العنف ودخل قادتهم السجن بعد اغتيال السادات وقد تصم تلك الرابطة بتاريخها المعروف كل التجمعات الإسلامية فى النقابة - بما فيها الإخوان - بالعنف الذى كان قد استعدى ضده نفسية المصريين .. وغير هذا فإن تلك الرابطة بدت وفقا لحركة رجالها وحضور بعضهم كمنافس صلب لجماعة الإخوان بالنقابة ، فبعد أن كان الإخوان هم وحدهم أصحاب هذه البضاعة ورجالها فى نقابة المحامين، إذا ببعضهم يظهر ويقول لهم ونحن أيضا نملك مثل بضاعتكم وسنرفع مثل شعاراتكم ... لا تثريب علينا إن فعلنا ذلك ، فلستم الوكلاء الحصريين للإسلام ، ولن تكونوا .

ولذلك بدأت الحرب الخفية المستترة بين الأشقاء ، وكانت الحرب تستعر نارها علنا فى بعض الأحيان أمام الغادى والرائع من عامة المحامين .. إلا أن الغلبة كانت دائما لفريق الإخوان ، فقد كان فريق منتصر الزيات وقمر موسى يفتقد الحنكة السياسية والقدرة على إدارة المعارك إذ كان كل همهم فى المحاكم وبين المحامين انتقاد جماعة الإخوان والخط من قدرهم وتسفيه أحلامهم ، ومن ناحية أخرى كان مختار نوح قد قطع شوطا كبيرا فى دعم حركته وتجنيد الأنصار لجماعته فى كل المحافظات فلم تُجد انتقادات المحامين الإسلاميين ولم تفت فى عضد الإخوان الذين ردوا على الهجوم

بهجوم وشكوكا فى نوايا المحامين الإسلاميين وأثاروا الشبهات حولهم .  
وعندما اشتد أوار الصراع الإسلامى واحتدمت المنافسة بدأ الوسطاء  
الطيبون من أصحاب النوايا الحسنة فى التدخل للتوفيق بينهما ، فتم تحديد  
موعد للقاء قد يسفر عن مصالحة وقد ينتهى بقطيعة .

كان شتاء عام ١٩٨٨ قد حمل متاعه واستعد للرحيل وهو يلفظ أنفاسه  
الأخيرة ، وقبل أن يهل الربيع استعد مقر جماعة الإخوان بشارع جول جمال  
بمنطقة الألف مسكن القابعة على أطراف شرق القاهرة لاستقبال ضيوف غير  
عاديين ، كان عم خليل فرأش المقر قد جهّز المقرمشات وشرائح متنوعة من  
المخبوزات وأدوات الشاى والينسون والقرفة ثم غادر المقر تنفيذا للتعليمات  
التي تلقاها ، وقبليل صلاة العشاء بلحظات بدأ بعض أفراد يتوافهون على  
المقر ، كان مختار نوح ومعه خالد بدوى وجمال تاج أول الحاضرين ، ودخلت  
إلى المقر عقبهم مباشرة ومعى عبد السلام دياب ( أحد المقربين من الإخوان  
وقتها ) وسيد عبد العزيز فوجدناهم قد أقاموا صلاة العشاء فدخلنا فى  
الجماعة ومن خلفنا اصطف عدد آخر كان قد دخل بعدنا ، وبعد التسليم من  
الصلاة نظرنا خلفنا لنرى منتصر الزيات ومحمود عبد الشافى وقمر موسى  
وقد دخلوا معنا فى صلاة الجماعة ومعهم بعض نفر من المحامين المنتمين  
لجماعتهم .

وبعد عبارات الترحيب والمودة الظاهرة التي كانت تخفى ترقباً بدأ مختار  
نوح الحديث قائلاً : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن  
يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن  
محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً  
... اليوم نجتمع لنضع حدا فاصلا للانقسام الذى لا ينبغى أن يكون أبدا  
بيننا ... وقبل أن يكمل حديثه قاطعه خالد بدوى وهو يقطب جبينه : لو  
سمحت يا أخ مختار أنا معترض على ما تقول .

فقال مختار مندهشا : ولكنى لم أقل شيئا بعد .

بادره خالد : أنت قلت " انقسام بيننا " وليس بيننا انقسام فالإخوة من  
الجماعة الإسلامية من أحب الناس إلى قلوبنا ، وأنا أشهد الله سبحانه  
وتعالى وأشهد الحاضرين أن أخى منتصر وأخى محمود وأخى قمر والإخوة

كلهم هم أحب الناس إلى قلبي .. ثم أشرق خالد إلى الأرض وقال وهو يكاد يهيمس : ألم يقل الله سبحانه وتعالى (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ )

أبتسم مختار وهو يقول : صدقت يا أخ خالد ... ثم استدار للإخوة الحاضرين قائلاً وكأنه يشرح لهم : أخى خالد دائماً ما يذكرنا بالله .. ثم استطرد : نعم .. لا يستطيع أحد أن ينكر أن الحب فى الله جمعنا وأخى بيننا ولكننى أتحدث عن اختلاف العقول والأفهام وليس عن خلاف القلوب والأرواح .... أكمل مختار نوح حديثه : أنا أدعوكم للانضمام إلى لجنة الشريعة الإسلامية ... لو انضمامنا إلينا سيشكل جمعنا قوة لا يستهان بها . وهنا قال محمود عبد الشافى : يا أخ مختار .. يا أخ خالد .. أنا معكم فيما تقولون .. لو أصبحنا كيانا واحدا لأصبحنا قوة لا يستهان بها .. ولكن لماذا لا تنضمون أنتم لنا ؟

وقبل أن يرد مختار نوح تدخل منتصر الزيات قائلاً : نحن واحد يا أخ مختار وأنت صاحب فضل علينا فلا ننسى دفاعك عنا وعن إخواننا فى قضايا الجهاد والجماعة الإسلامية ومرافعاتك التى تعلمنا منها الكثير ... لكن مسألة انضمامنا لكم مسألة فيها نظر فأنتم تتبعون الإخوان ولكم قيادات إخوانية ومرشد وتنظيم .. جميعهم على رأسنا من فوق ولكن نحن لا نتبعهم .. فإذا صدرت أوامر لكم منهم فأنتم ستلتزمون بها حتما .. ولكننا قد نرى عكس هذه الأوامر فلا نتبعها وهنا سننتشرذم وسنختلف ... ولذلك فالأولى أن تنضموا أنتم لنا وسنعطى لك يا مختار القيادة لو أردت.

فرد مختار وكأنه يتعجب : ولكن ما عندنا عندكم .. فأنتم لكم قيادات من غير المحامين

وهنا تدخل قمر موسى منفعلًا : لا يا أخ مختار هذا ليس صحيحًا .. لا يوجد لنا قيادات من خارجنا لا داعى للمغالطة .

وقبل أن يحتدم الجدل دخل سيد عبد العزيز وهو يحمل الشاى والمقرمشات وشرائح الخبز المتنوعة وقال بطريقته التى يختلط فيها الجد بالهزل : «صلى على النبى أنت وهو وهو وهو وأحضرت لكم طعاما لم تروه فى حياتكم من باب اطعم الفم تستحى العين وصلوا على النبى» .

ضحك الجميع وانشغلوا بالشاى ... وبعد أن رشف خالد بدوى رشفة من

كوبه قال موجها كلامه لمنتصر الزيات : على فكرة يا أخ منتصر كنت أتمنى أن تكون إمامنا فى صلاة العشاء اليوم ولكنك حضرت متأخرا بعد أن أقمنا الصلاة .

فقال سيد عبد العزيز ضاحكا : بسيطة يا عم خالد نصلّى العشاء مرة أخرى .. ها .. عندكم مانع أرفع الأذان والإقامة ... ضحك منتصر الزيات ومحمود عبد الشافى من تعقيب سيد ، ثم قال منتصر موجها الحديث لخالد بدوى : يا مولانا لقد استمتعنا بصوتك الشجى وتلاوتك المؤثرة التى أبكتنا والله أتمنى أن أصلى وراءك العمر كله .

فقال خالد وكأنه يستدرجه : هل كان من الممكن يا أخى الحبيب أن تدخل فتجدنا فى صلاة الجماعة فتركنا أنت ومن معك وتقيموا صلاة جماعة مستقلة وهناك جماعة قائمة ؟

فأشار منتصر لقمر موسى ومحمود عبد الشافى وقال : يا عم خالد أنا ليس لى فى الفقه عندك قمر موسى له صولات فقهية .

وهنا قال قمر موسى : ماذا تقصد يا أخ خالد ؟

حينئذ أوشكت على التدخل فى الحوار إلا أننى أحجمت وفضلت التريث ، فالصورة التى كانت تخط ملامحها أمامى هى صورة جديرة بالتأمل والفحص والتدقيق ، لا المداخلة والتعقيب ، فها هم أبناء الحركة الإسلامية يجتمعون وقد غلّفهم الخلاف يبحثون أيهم يجلس فى موضع الرئاسة ، وأيهم يكون صاحب الاسم والشعار ، ولكأنما كل حزب منهم بما لديهم فرحون ، لا يقبل أحدهم أن يتنازل من أجل فكرته !! وكيف يتنازل والتنظيم عندنا جميعنا مقدم على الفكرة !! . شردت بأفكارى بعيدا عن الجلسة ثم انتبهت على قول خالد بدوى وهو يفصح عن غرضه من السؤال : الحقيقة نحن وأنتم نتعبد لله بهذا العمل ونحن جماعة بداننا هذا العمل التعبدى قبلكم لذلك فمن الواجب أن تنضموا لجماعتنا لأنه لا يجوز شرعا إقامة جماعة وهناك جماعة قائمة .

فبادره محمود عبد الشافى قائلا : هذا قياس مع الفارق يا مولانا ... فتدخل قمر موسى قائلا بحدة : بل هو قياس فاسد ... وإذا كان قياسك صحيحا فإن جماعة الإخوان يكون وجودها مخالفا للشرع لأن الجمعية الشرعية بدأت قبلها وأنصار السنة بدأت قبلها أيضا .... وقبل أن يستكمل كلامه نظر فوجد عبد السلام دياب يشعل سيجارة ، وكان دياب يدخن

بشراة ولم تمنعه صلته بالإخوان من التوقف عن التدخين . وعندما أشعل سيجارته استنكرها قمر موسى وقال بصوت حازم ولهجة توحى بأنه يتهم الإخوان بالترخص فيما لا يجوز الترخّص فيه : لو سمحتم من أراد أن يشرب سجائر فليشربها خارج هذه الحجرة فهي حرامٌ حرامٌ .. وأنا لا أطيقها فضلا عن أن محمود عبد الشافى عنده حساسية بالصدر .

بهت عبد السلام دياب من كلمات قمر موسى وبان الإخراج الممتزج بالغضب على محياه وكادت الجلسة أن تنقلب لمعركة كلامية فقد خرج فريق المحامين الإسلاميين بها - ومعهم بعضنا - من سياق الفكرة والتنظيم والأولويات وجاسوا حول الدخان وتساهل الإخوان بصده وشرب الكثير من الإخوان له بما فيهم التلمساني - رحمه الله - ، وانتهت المناوشات بأن غادر دياب الحجرة مُغضبا فلم أرد تركه وحده بالخارج فخرجت معه وخرج معى سيد عبد العزيز وبعد دقائق انضم إلينا جمال تاج .. وأخذنا فى الخارج نتجاذب أطراف الحديث نداعب بها عبد السلام ونتضاحك سويا من حكايات وقفشات سيد عبد العزيز الذى كنا نطلق عليه "سيد عبد العزيز صاحب الفقه اللذيذ" .

استمرت الجلسة بالداخل لأكثر من ساعة ثم فوجئنا بفريق الجماعة الإسلامية يخرجون وقد ارتسمت على وجوههم علامات الغضب وانصرفوا لا يلوون على شيء بعد أن ألقوا السلام بعبارات سريعة مقتضبة عابسة فعلمنا أن اللقاء قد فشل وأن الانقسام هو قدر التجمعات الإسلامية . وبعد هذا اللقاء بعام تقريبا جرت وقائع اتحاد غريب الشأن بين هذين الفصيلين المختلفين ... اتحاد واتفاق لم يحدث بعد ذلك أبدا .

## الزلال

أفة القديم - من جيل الأساتذة - أنه لا يتواصل مع الجديد ، وأفة الجديد - من جيل التلاميذ - أنه منبت الصلة عن القديم ، فلا هذا أعطى لذاك ، ولا ذاك أخذ من هذا .. ولكن أستاذية النقيب الخوجة كانت تختلف عن غيرها .. فهي أستاذية من يريد أن يمتد عبر الزمن ، ويخلد فى التاريخ ، والإنسان يمتد بعلمه أو بعمله أو بتلاميذه ، وقد امتد أبو حنيفة عبر الزمن بعلمه وفقهه وتلاميذه ، أما الليث بن سعد فقد انقطع رغم علمه وفقهه لأن تلاميذه لم يعتنوا بنقل علمه ، والذى يؤثر عن الخوجة أنه كان مدرسة تصنع كل يوم

زعيمًا سياسيًا أو نقابيًا فارها أو محاميا حازقا ، كان هذا دأبه ودينه وعلى امتداد عمره أخرجت مدرسته العشرات الذين أصبحوا بعد هذا أساتذة إلا أنهم لم ينهجوا منهج أستاذهم واقتصروا فقط على صناعة أنفسهم . ورغم أستاذية الخواجة وانتماء تلاميذه له إلا أن هذه الأستاذية لم تكن له وجاء من الخلافات التي لم تشهد نقابة المحامين مثيلا لها.. فقد اشتد الصراع بين رجال حزب الوفد في مجلس النقابة ، حيث وقف البعض في جانب الخواجة وهو يمارس سطوته النقابية تجاه الفريق الذي اختلف معه ، ووقف البعض الآخر في جانب الفريق المختلف ... ومع تتابع الأحداث استطاع أحمد الخواجة بعقليته التكتيكية اجتذاب معظم أعضاء المجلس لصفه بمن فيهم الشاب الحركي الناصري سامح عاشور ، إلا أن مختار نوح الإخواني مكث غير بعيد يترقب الأحداث ويراقب الموقف دون أن ينحاز لطرف على حساب الطرف الآخر إذ أدرك أن الانحياز لأى من الطرفين فيه خسارة لا محالة .

وعلى حين غرة من فريق الخواجة استطاع الفريق المنافس أن يعقد جمعية عمومية سحبت الثقة من المجلس والنقيب ، ومن الغريب أن الخواجة لم يعر هذه الجمعية اهتماما رغم خطورتها !! .

وما إن بدأ فصل الربيع من عام ١٩٨٩ يخط خطوطه الأولى ويبسط نفوذه على الكرة الأرضية ، حتى أعلن أحمد الخواجة قراره بفتح باب الترشيح لدورة جديدة لمجلس النقابة قد تكون - فى ظنه - دورة القضاء على المشاكل وأصحابها .

ثم كانت المفاجأة .... كان عدد من المحامين أعضاء جماعة المحامين الإسلاميين قد قدموا أوراق ترشيحهم فى هذه الانتخابات ، وعندما تسارعت الأحداث إذا بوفد منهم يتجه صوب مكتب مختار نوح بحلمية الزيتون يطلبون منه النصيحة فى شأن الانسحاب من الانتخابات أو الاستمرار فيها !! فكان للحاسة الانتخابية لمختار نوح الكلمة الفاصلة فى هذا الشأن إذ قادتة إلى تغليب قرار الانسحاب من هذه الانتخابات هو والمحامون الإسلاميون لشبهة البطلان التى أحاطتها بسبب سحب الثقة الذى حدث لهذا المجلس . وكان هذا هو العمل الوحيد الذى اتفق فيه الصديقان اللودان .. الإخوان والجماعة الإسلامية .



وأجريت الانتخابات بالفعل فى منتصف العام وفيها نجح الخواجة كنعيب ونجح الألفة سامح عاشور كعضو فى انتخابات شهد الجميع بالتزوير الفادح الذى تم فيها .

وبعد ثلاث سنوات عجاف غاب فيها الإخوان عن مجلس نقابة المحامين كتبت صحيفة هيرالد تريبيون عنوانا رئيسيا " زلزال الإخوان يصيب مصر "



«هذا الولد قفزاته واسعة ويبدو أنه فخور بنجوميته وزعامته ويجب أن يتم تحجيمه » كانت هذه هى كلمات الأستاذ محمد هلال عضو مكتب الإرشاد ( وأحد أكبر الإخوان سنا فى الوقت الحالى " توفى الأستاذ هلال فيما بعد ) ، أما الولد الذى كان يقصده فهو مختار نوح .

كان عام ١٩٩١ يوشك على الرحيل ، وكان بعض من قيادات الإخوان قد بدأوا فى تضيق الخناق على نوح وتكبير حركته ، وظهر هذا التكبير والتلجيم عندما سعى الحاج مصطفى مشهور ، والدكتور محمود عزت (عضو مكتب الإرشاد ومن تلاميذ سيد قطب وكهنة معبد النظام الخاص وأحد أخطر قيادات الإخوان حاليا ) والدكتور محمد حبيب ( نائب المرشد فى الوقت الحالى وهو المرشح الأول ليكون المرشد القادم وكان له الدور الأكبر مع آخرين فى أحداث مذهلة حدثت فيما بعد ) والأستاذ محمد هلال إلى استصدار قرار من مكتب الإرشاد يتضمن تشكيل لجنة برئاسة محام مجهول من جيل كبار الإخوان اسمه محمد كمال كان يعمل فى السابق محاميا بأحد المكاتب بدولة الكويت ليكون مسئولا عن نشاط الإخوان فى نقابة المحامين ورئيسا لهذه اللجنة التى كان من المقدر لها أن تدير هذا النشاط وتُصَرِّف أموره ، وصدر القرار بالفعل إلا أنهم جعلوا من نوح أحد أعضاء هذه اللجنة .. كان الكل يعلم أن الأستاذ محمد كمال لا خبرة له على الإطلاق فى أى أمر يخص نقابة المحامين ولا حتى المحاماة فى مصر ، كان الرجل لا يعرف السباحة ولكنهم ألقوا به فى بحر لجى إلا أنهم حذروه من الانسياق لمختار نوح أو الاستجابة لأفكاره ، بيد أن هبوب ريح انتخابات ١٩٩٢ جعلت محمد كمال رحمه الله يسند - تحت إشرافه - أمور الانتخابات لهذا الشاب الذى حير خصومه ونال لأسباب تنظيمية نقمة نفر من قياداته

فكان بين شقى الرحى ... وليس من شك أن الباحث فى شئون جماعة الإخوان سيدرك دون مشقة فى البحث والتنقيب أنه بعد رحيل التلمسانى بدأت الخطوب تنهادر على مهل على نوح .

★★★

قبل فتح باب الترشيح لانتخابات نقابة المحامين والتي تمت فى سبتمبر ١٩٩٢ انعقد اجتماع هام لقيادات الإخوان المسلمين على أعلى مستوى فى مدينة الإسكندرية وقد ضم هذا الاجتماع قيادات قسم المهنيين للنظر فى أمر هذه الانتخابات ، وفى هذا الاجتماع العاصف اقترح مختار نوح أن يخوض الإخوان الانتخابات بقائمة لا يزيد عدد أفرادها على ستة أفراد لا غير وكانت حجته فى ذلك أن نقابة المحامين قلعة من قلاع الليبرالية فى مصر تختلف فى تكوينها الفكرى وجذورها التاريخية عن نقابتي الأطباء والمهندسين ، وأن خوض الانتخابات بقائمة متخمة بالإخوان من شأنه أن يهدم المعبد على رؤوس الجميع .. إلا أن الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح المشرف وقتها على قسم المهنيين بالإخوان ومعه المهندس أبو العلا ماضى رفضا هذا الرأى وأصرأ على أن الفرصة مواتية لتحقيق نجاح ضخم فى نقابة أغلقت أبوابها زمنا فى وجه الإخوان المسلمين .

أما الأسماء التى طرحتها قيادات الإخوان لى تترشح فى نقابة المحامين ممثلة لهذه الحركة الإسلامية فقد كانت غريبة عجيبة ، أولها أحمد سيف الإسلام حسن البنا الذى كان يحظى بتأييد مطلق من كل من الحاج أحمد حسنين رحمه الله والأستاذ محمد هلال ، ورغم أن سيف الإسلام لم يكن يعمل بالمحاماة وكان يمارس التجارة وكل مؤهلاته أنه ابن مؤسس الجماعة ، إلا أن ترشيحه فى نقابة المحامين كان أمرا حتميا عند البعض حيث أن هذا الرجل كان كثيرا ما يسبب مشاكل جمة لقيادات الإخوان فأرادوا أن يبعده عن أى موقع قيادى أو تنظيمى فى الجماعة فأدخلوه إلى نقابة المحامين ليأمنوا جانبه بعد أن أبعدوه عن عضوية مكتب الإرشاد ... وقد كان الترشيح لعضوية مجلس نقابة المحامين وسيلة لاسترضائه !!

أما الثانى فقد كان مؤيدا من قسم المهنيين وهو محمد طوسون ( الذى كان لا يعمل أيضا بشكل حقيقى فى المحاماة حيث كان يدير مع شقيقه معرضا للسيارات فى مدينة المنيا .. إلا أنه كان فى السابق ضابط مباحث فى

أحد مراكز المنيا حتى تم فصله من عمله وحبسه عشرة أشهر تقريبا من منتصف عام ١٩٨٢ إلى قبيل منتصف عام ١٩٨٣ وكان ذلك بسبب علاقته بالجماعة الإسلامية وبعد خروجه من السجن تنقل بين أكثر من تنظيم إسلامي حتى انتظم في سلك الإخوان في غضون عام ١٩٨٦ ، ولأنه ينتمى إلى عائلة كبيرة في المنيا فقد دفعه الإخوان لانتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٧ فأصبح عضوا بالبرلمان ثم تم دفعه إلى انتخابات مجلس نقابة المحامين لكي يكون اللجام الذي يكبح جماح نوح إذا ما اندفع بعيدا عن توجهات التنظيم وسيظهر لطوسون شأن فيما بعد ) .

وهكذا توالى الأسماء .. ( والعجيب أن هذه الأسماء تم طرحها على اجتماع للجمعية العمومية لمحامى الإخوان فى اجتماع لاحق بمقر الإخوان بشارع جول جمال بمنطقة الألف مسكن بالقاهرة إلا أنها لم تحظ بأى تأييد على الإطلاق حتى أن أحمد سيف الإسلام حسن البنا حصل على صوت واحد من مائتى صوت ولكن لم يلتفت أحد لرأى محامى الإخوان وكان السبب الذى ارتكنوا إليه فى هذا الالتفات هو ما زعمه البعض - خاصة أحمد سيف الإسلام - أن مختار نوح قام بتوجيه الأصوات الإخوانية وفقا لما يشاء هو اه ولذلك فقد أصبحت نتيجة التصويت ليست محل اعتبار ) ، وتمت الانتخابات وفقا لرؤية قسم المهنيين وبقائمة تضم عددا لا علاقة له بالمحاماة . ولأسباب كثيرة - ليس هنا مجال ذكرها - نجحت قائمة الإخوان بشكل أصاب العالم بذهول ، فكان هذا هو الزلزال الذى أصاب القوى السياسية والنقابية التى تربعت زمتنا على رأس العمل السياسى والنقابى .

كان هذا هو زلزال سبتمبر الذى جاء من بعده الزلزال الحقيقى فى أكتوبر من نفس العام ... ( وفى الحقيقة كان هذا النجاح هو أول بداية انهيار جبل الجليد الإخوانى فى نقابة المحامين )

★★★

### حلف الفضول

هل كان نوح مثل بروتشيوس الإغريقى الذى أنشد نشيد النجاة قائلا : سأعيش رغم ضراوة الأعداء كالنسر فوق القمة الشماء .. أما أنه كان مثل سيزيف فى الأسطورة الإغريقية ، حيث كان عقابه أن يرفع صخرة من القاع حتى قمة جبل شاهق، وقبل أن يصل بقليل تسقط منه لأسفل ، فيعود ليبدأ

من جديد ، بلا نهاية !! فلتعلم أن مختار نوح مازال يحمل الصخرة على كتفيه بإصرار غريب ليصعد بها إلى أعلى الجبل .. ولنعد إليه فى عام ١٩٩٦ حينما بدأ فى حمل صخرة الجهاد ضد الحراسة التى مقتها المحامون وأنكروا الجرم الذى اقترفه الشانئون فى حق نقابتهم .

كان بعض المحامين قد أحكموا أمرهم وخططوا ودبروا ثم أقاموا دعوى حراسة على النقابة وكان هدفهم إبعاد مختار نوح وفريقه عن مقاعدهم كأعضاء بالمجلس ... وكان لهم ما أرادوا فقد تم فرض الحراسة على نقابة المحامين أقدم وأعرق نقابة مهنية فى مصر .

حينها جمع نوح حوله نفرا من أصدقائه من الإخوان ومن خارج الإخوان ليزيح الحراسة عن كاهل النقابة ... استخدم نوح كل الوسائل السياسية والقانونية والنقابية لتحقيق ما يريد ، فقام - مثلا - بطبع وتوزيع مجلة نقابية أطلقنا عليها اسم "المحروسة" فضح فيها الحراسة وأسبابها ، كما قام بتشكيل لجنة نقابية وسياسية أطلقنا عليها " لجنة المائة " تضم رموز المهنة وكان فى مقدمتهم الأساتذة أحمد نبيل الهلالى وعبد المحسن شاشة - رحمهما الله - وهما من رموز اليسار المصرى .. وكان فى اللجنة أيضا محمد علوان مساعد رئيس حزب الوفد وجمهرة من الرموز لها قيمتها ومؤهلاتها الفكرية والحركية ، ومن عجب أن رموز المحامين الذين ينتمون للإخوان غابوا عن هذا النشاط ولم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل .. فلم نر محمد طوسون أو بهاء عبد الرحمن أو أسامة محمود أو أحمد سيف الإسلام حسن البنا أو جلال سعد أو غيرهم من أعضاء مجلس النقابة العامة من الإخوان ... كما لم نر جمال تاج أو محمد غريب أو صبحى صالح ( وهم من الرموز الإخوانية التى بدأت العمل فى النقابة مع نوح ) !! ... وكانت من الأفكار التى وضعناها موضع التنفيذ إقامة دعوى قضائية بطلب إنهاء الحراسة إلا أننا وضعنا اسم محامية ناصرية هى الأستاذة فاطمة ربيع على صحيفة الدعوى كى نعطى الانطباع بأن كل القوى السياسية تناهض الحراسة .

وفى غمرة انهماكنا بمشكلة الحراسة توفى الأستاذ أحمد الخواجة نقيب المحامين رحمه الله .. توفى فى العشر الأخير من شهر ديسمبر من عام ١٩٩٦ وكأنه يترك النقابة فى شهر البرد رهنا للتجميد لتزيد البرودة فى أوصالها المتييسة .

لم يكن أمامنا بعد وفاة النقيب إلا البحث عن بديل يملك بعض مقوماته - فقد كنا نوقن أن هذا الرجل لن يتم تعويضه في سنوات مقبلة - وفي رحلة البحث عن البديل تراءى لنا من بعيد أحد نجوم المحاماة وأحد أساطينها الأفاضل .. ظهر لنا في الأفق الأستاذ رجائي عطية الذي خطب ودنا فذهبنا إليه نعرض بضاعتنا ويعرض بضاعته ... ولربما كان هذا اللقاء هو لقاء الأحلام أو لقاء السحاب .. فقد كنا نحلم بإنهاء الحراسة وعودة الشرعية عن طريق صلاته السياسية وعلاقته الحميمة بالنخبة الحاكمة .. وكان رجائي يحلم - بعد وفاة الخوجة - بتوسد كرسى النقيب ليجمع بين المجد المهني والمجد النقابي .

وقبل أن يرفع شهر مايو من عام ١٩٩٦ راية الاستسلام ويفسح الطريق لشهر يونيو جلسنا مع الأستاذ رجائي في لقاء حفته المودة حيث عرض ما لديه ووعدناه إن هو فعل فحتمًا سنؤيده كنقيب للمحامين .. وفي اللقاء الثاني نقل لنا رسالة طمأنة من القيادة السياسية بأن الحراسة سيتم رفعها عن كاهل النقابة .. وبدأ رجائي في المفاوضة معنا على لسان الحكومة - أو دائرة منها - وكان نوح بطبيعة الحال يعرض أمر هذه المفاوضات على مرشد الإخوان ومكتب الإرشاد وقد وجد صعوبة كبيرة في إقناع قيادات الجماعة بقبول تأييدنا لرجائي في مقابل صدور قرار من الجهات المختصة في الحكومة بإنهاء حالة الحراسة ، ومن عجب وقف محمد طوسون وجمال تاج ضد تأييدنا لرجائي عطية إلا أننا دافعنا بكل قوة عن هذا الاختيار وكان لنا في النهاية ما أردنا ووافق الإخوان على الدخول في تحالف مع رجائي عطية .. تحالف نرفع فيه شعار "المشاركة لا المغالبة" .

لا ريب أن الأستاذ رجائي أبدى فرحته بقرار الإخوان .. وأظن أنه أضمّر في مكنون نفسه دهشته حين قال له خالد بدوي وهو يطرق إلى الأرض : وما هو الضمان الذي ستقدمه لنا يا أستاذنا .. كيف نضمن أنه لن يتم القبض علينا وحسبنا بعد انتهاء الحراسة ؟

نظر إليه رجائي شذرا وهو يقول : ضمان ! أي ضمان ! ثم استرسل في لهجة حائرة : هل تريد أن أكتب لك شيكا مثلا !!

استمر خالد في إطراره للأرض وحينها قال أحمد ربيع : بالطبع لا .. ولكننا نريد أن نُقسم معاً إن تم القبض علينا أو على أحدنا قبل الانتخابات أن تعلن انسحابك من هذه الانتخابات .. وبعد كلمات أحمد ربيع وضعنا

أيدينا على يد الأستاذ رجائي الذي أقسم بما طالبناه به ، ثم قال خالد بدوى بعد القسم " الله على ما نقول وكيل " فردد الجميع خلفه " الله على ما نقول وكيل " . تكررت وعود الأستاذ رجائي بقرب إنهاء الحراسة إلا أن وعوده لم تتحقق رغم أننا عقدنا مؤتمرا ألفيا له فى فندق هيلتون رمسيس حضره أكثر من ألف محام وجلس على المنصة رموز من رجالات الدولة بجوار مختار نوح ورجائي عطية وأعلن نوح تأييد الإخوان لرجائي على منصب النقيب واعترف بخطأ الإخوان فى الاستحواذ والسيطرة على مقاليد الأمور فى النقابة وإقصاء القوى السياسية الأخرى ، ورفع لأول مرة أمام الرأى العام شعار " المشاركة لا المغالبة " ... ووعد رجائي بأن الحراسة أن لها أن تذهب أدراج الرياح وتحدث الجميع عن قرب تحقيق الحلم .. ولم يتحقق الحلم عن طريق رجائي ولا عن طريق صلاته السياسية ولم تتحقق وعوده المتكررة !! .

وبعد عامين صدر حكم - فى القضية التى أقمناها باسم فاطمة ربيع - من إحدى المحاكم العليا بإنهاء الحراسة المفروضة على نقابة المحامين ... ولم يكن رجائي صاحب الفضل ، ولكنما أراد الله أن ينسب الفضل لأصحابه أولئك الذين جاهدوا وبذلوا وقدموا .

بعد صدور الحكم النهائى بأيام كنت أجلس فى بيتى صباح يوم الجمعة الثالثة من شهر أغسطس عام ١٩٩٩ منشغلا بقراءة الصحف وإذا برنين الهاتف يقتحم خلوتي .. كان المتحدث هو الصديق عاطف عواد أحد أفراد الإخوان من المحامين وأحد المقربين من مختار نوح .. كان صوته مرتبكا مضطربا ثم ساق لى خبرا مزعجا : تعرض مختار نوح لحادث مروع على طريق السويس وقد مات سائقه فى الحادث وتحطمت سيارته تماما .. أما مختار فقد تم نقله لإحدى مستشفيات مصر الجديدة فى حالة حرجة .

الفصل الرابع  
بوابة الأحران

«عندما أغلقوا عليه الزنزانة اشتد صوت الألم

بداخله ، فرفع صوته حتى لا يسمعه .. وظل يرفعه ويرفعه حتى تمزقت خلائاه .. وحين ظن الناس أنه يتأوه من زنزانة صخرية الجدران أو من سجان صاحب سحنة غليظة أشار بيده إلي أخيه الذي جلس يأكل لحمه ويقتات علي سيرته» .

كراستي

هل يستطيع المرء أن يلخص أياما مشحونة بالأحداث والوقائع في بضع سطور دون أن يترك شاردة أو واردة ؟ هل في مكنة الإنسان أن يذكر كل وقائع أيامه بلا اختصار مخل أو تطويل ممل ؟ لا ريب عندي أن هذا هو عين المشقة التي تنوء بحملها فصاحة الفصحاء .. وهاهي كراستي أمامي .. تلك الكراسية التي دونت فيها كل شاردة وواردة مرت علينا في تلك الأيام البغيضة فهل أستطيع نقلها بكاملها .. إن أنا فعلت فسأجور على وقائع أخرى ، وإن لم أفعل سأكون قد ظلمت نفسي وظلمت رجالا أفذاذا تركوا حياتهم وبيوتهم ومكاتبهم من أجل نصرة إخوان لهم شاء قدرهم أن يحبسوا في تهمة سياسية .. هاهي كراستي تعيد لي ذكرى أيام مضت .. أيام لم نفكر فيها - أنا وبعض إخواني - في دنيا نصيبها أو تقدير يديه لنا مرشد أو مسئول إخواني كبير، ولكن انصرف جل همنا لهؤلاء الذين يذهبون ضحية الخلاف السياسي الذي اشتد قيظه وحمى وطيسه بين الإخوان والنظام .. من يستخلصهم من محبسهم ؟ من يعيدهم إلى أهاليهم ؟ .

تتكسد عشرات الكراسيات في خزانتي .. تلك الكراسيات التي كانت وما زالت الصديق الوفي الذي أهرع إليه وأبثته أشجاني وأحزاني وأزف إليه أفراحي .. أكتب في حناياه ما مر بي وما مررت به .. وفي كل حين أعود إلى كراستي فأجدها مستودعا لسرى لم تبح به لأحد .. في أحد أجزاء كراستي وجدت الصفحات التالية فرأيت أن أنقلها هنا دون أن أبتسر أو أختصر منها أو أضيف لها لعلها تلقى الضوء على الأحداث التي عشتها وعشت فيها وقتئذ .

(( ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت ... ثم ضاقت مرة أخرى ... يبدو



أن هذا هو حال الدنيا تضيق الأمور علينا ثم تُفرج ثم تضيق .. ولودامت الدنيا على شيء ما بقى فيها شيء ... قالها مختار نوح وهو يدارى شهقة ألم أصابته ثم تقطعت أنفاسه وهو يقول : لم نكد نحصل على حكم بإنهاء الحراسة وقلنا كلنا فرجت وكنا نظنها لا تفرج حتى عاجلتني هذه الحادثة المؤلمة .. هل تصدق .. مات السائق إلى رحمة الله .. فى طريق العين السخنة داهمتنا مقطورة ضخمة فحطمت السيارة وأصابت ضلوعى وساقى بالذى تراه الآن .. كل هذا يهون وتهون السيارة ولكن أن يموت السائق المسكين .. إياه .. رحمة الله عليه .

بادرته قائلاً وأنا أرتكز فى وقفتى على كتف عاطف عواد الذى كان جالسا بجوار سرير مختار فى غرفته بمستشفى بدر : هون عليك فهذا هو قدر الله ، الحمد لله فى السراء والضراء .. أتذكر يوم أن كنت تلقى خاطرة منذ سنوات عن الآية الكريمة ( إن مع العسر يسرا ) فقد لفت نظرنا إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يقل : إن بعد العسر يسرا .. ولكن معه .. يأتى العسر ويرافقه اليسر .. يسير فى ركابه ولكننا قد لا نرى اليسر لأن العسر يعمى بصائرنا .

زفر نوح وهو يقول فى توافق لفظى مع عاطف عواد : الحمد لله . عاد نوح إلى الكلام مرة أخرى بعد أن طرد إحساس الألم من داخله : عرفت أن وزير العدل طعن على حكم إنهاء الحراسة أمام محكمة النقض وأظن أن الجلسة ستكون فى غضون شهر سبتمبر القادم ويجب أن نستعد للجلسة بكل قوتنا .

قاطععه عاطف : لا تقلق فنحن لها يا عزيزى .. لا تشغل بالك . نظر نوح إلينا نظرة امتنان وظهرت على وجهه ابتسامة ثم قال : عرفت الجهات الأمنية أننا وراء قضية إنهاء الحراسة .. أرسلت محاميا من مكنتى ليتابع الجلسة الأخيرة من بعيد ونبهت عليه بعدم الحضور إلا أن الحماس دفعه إلى الحضور أمام هيئة المحكمة وإثبات اسمى فى محضر الجلسة .. وطبعاً عرف الأمن .

رفعت كتفى علامة اللامبالاة وقلت بعدم اكتراث : لا يهم .. كانوا سيعلمون حتماً .. وأظن أنهم يعلمون قبل ذلك .. فالعصافير من حولنا فى النقابة لا هم لها إلا تجميع الأخبار .

استكمل نوح وهو ينظر إلينا نظرة إصرار : المهم أن نكون على أهبة الاستعداد ومن الممكن أن تتفق مع الأستاذ رجائي عطية كى يحضر جلسة النقض ويجب عليه أن يجرى مفاوضات مع الحكومة من أجل تنفيذ الحكم فقد وضعنا فى موقف حرج عندما عجز عن إنهاء الحراسة بقرار سياسى .. أن له الآن أن يذهب لوزير العدل وينهى هذا الأمر .. ومن باب أولى يجب عليه أن يحضر فى جلسة النقض .

اطمئن سنذهب إليه وستتفق معه على حضور الجلسة معنا : قالها عاطف وهو يشير لى كى تنتهى الزيارة حتى لا ننقل على الرجل .. وقبل أن نغادر غرفته التى ازدحمت بباقات الزهور قال وقد أغمض عينيه : أشعر أن هذه المحنة سيعقبها محن أخرى فقد رأى أحدهم رؤية لى كان تأويلها أنه ستمر بى ثلاث محن أدعو الله أن يثبتنى فيها جميعا .

اللهم آمين : قلناها أنا وعاطف ثم أردفت قائلا : لا تجزع فكل أمر المسلم خير .. لا تفكر فى أمر المستقبل فهو بيد الله ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج ..

وبعد أن ودعناه خرجنا إلى الطريق ولسعات حر أغسطس تلفح وجوهنا . أطوى صفحات كراستى ولكننى لا أستطيع أن أطوى تلك الأيام وأضعها فى غيابة الجب ، فما زالت أحداث جمة من تلك الأحداث التى واجهتني حينها ماثلة حتى الآن أمام ناظرى شاخصة أمام فؤادى ، بل إن هذه الأحداث خلّفت أحداثا وأحداثا وأحدثت أثرا كبيرا فى حياتى .. أثرا فارقا لم يتصور خيالى أن أصل إليه ، ولربما يضيق الخيال على اتساعه ورحابته وتفاجئنا النوازل بما لم يرد فى الحسابان أو الخيال .. وحين أعود مرة أخرى إلى كراستى أجد فى موضع آخر منها الصفحات التالية تتحدث معى وكأنها تحاورنى وتذكرنى بما حاولت أن أنساه .

(( كان يوم الخميس الرابع عشر من أكتوبر من عام ألف وتسعمائة تسع وتسعين كئيبا من أوله ، فلغير سبب ظاهر أصابتنى حالة وجوم هى أقرب ما تكون إلى الاكتئاب رغم أنه لم يكن هناك ما يستدعى ضيق الصدر أو الوجوم بل إن الأسابيع الماضية كانت تحمل تباشير الخير .... فقد كللت محكمة النقض جهودنا بالنجاح وأصدرت منذ أيام معدودات حكما نهائيا قضى بوجوب إنهاء الحراسة المفروضة على نقابة المحامين ورفضت طعن الحكومة

بعد جلسة عاصفة حضرناها وحضر معنا فيها رجائي عطية ، وبات تنفيذ الحكم مسألة وقت لا أكثر ، ومن ناحية أخرى بدأنا فى إعداد العدة من أجل الترتيب للانتخابات القادمة وكانت جهود الأستاذ رجائي عطية تمثلت فى المفاوضة معنا بلسان الحكومة عن العدد الذى يجب أن نخوض الانتخابات به .. فالحكومة - وفقا للأستاذ رجائي - تطالبنا بـألا يزيد عدد المرشحين من الإخوان عن أربعة ونحن نحاول معه كى يصل العدد إلى ستة أو سبعة على أكثر تقدير .. ولم تكن المفاوضات قد أغلقت صفحاتها بعد .

مر نهار الرابع عشر من أكتوبر أو كاد وقبل الغروب بلحظات تصاعدت نغمات الهاتف المحمول لتخبرنى أن إبراهيم بكري يطلبنى وحين فتحت الخط جاء صوته مضطربا : إلحق يا أستاذ ثروت .. تم القبض على مختار نوح وخالد بدوى وإبراهيم الرشيدى وآخرين من الإخوان قبل عصر اليوم . أصابتنى رعدة وجفل قلبى وأنا أقول فى ذهول : نعم .. أين ؟ .. ولم ؟ .. وكيف ؟ .

- لا أعرف التفاصيل ولكن اتصلت بى منذ دقائق زوجة الأخ خالد بدوى لتخبرنى بهذا الخبر .. حاولت هى الاتصال بك منذ لحظات ولكن يبدو أن هاتفك كان مغلقا .

قلت له وأنا لا أكاد أبين : هل تم القبض عليهم من بيوتهم ؟  
- لا .. كانوا فى المعادى فى لقاء .

بح صوتى وأنا أقول : وما الذى أوجد إبراهيم الرشيدى معهما ألم يكن مسافرا ؟؟ أليس يعمل فى الخارج الآن(١).

عاد صوت إبراهيم بكري الأجش يفتح أذنى مرة أخرى : هو فى أجازة الآن .. كان من المفروض أن أكون معهم فى لقاء سأحكى لك عنه عندما أقابلك ولكن الظروف منعتنى من حضور هذا اللقاء .. أنا الآن ذاهب إلى بيت الأستاذ خالد بمدينة نصر .

قلت وأنا أتعجل إنهاء المكالمة : سأسبقك إلى هناك .

وعندما كانت سيارتى تسابق الطريق وتتحدى الزمن غير أبهة بشيء

---

١- كان إبراهيم الرشيدى عضواً بمجلس نقابة المحامين بالسويس ممثلاً للإخوان المسلمين وعندما ضاقت به سبل المعيشة سافر للعمل فى إحدى دول الخليج وقد كان ذات يوم أحد الشخصيات التى ساعدت مختار نوح فى تأسيس لجنة الشريعة الإسلامية بثوبها الإخوانى.

تأرجحتُ بين المشاعر والأفكار مع تأرجح السيارة أثناء قفزها فى الطريق .. كانت مشاعرى تلطم قلبى وتزلزل كيانى وتحيلنى إلى قطعة ملتهبة من الثورة والغضب والحزن والكمد والكرب .. ولكأنما تجمعت الخطوب على فؤادى فأحالته أثرا بعد عين ، ولبت الأمر كان وقفا على مشاعر بشرية مشروعة بثها الله فى أفئدتنا حتى نواجه بها نوازل الأيام ، إذ اقتحمتنى أفكار أدخلتنى إلى أتون من الحيرة .. كيف تم القبض على مختار وخالد وإبراهيم ؟ وأين ؟ ولماذا ؟ ولم لم يكن إبراهيم بكري معهم آنذاك ؟ وما هى الظروف التى منعتها فجأة من حضور لقاء يتصادف القبض على مختار فيه؟! ... يا الله أيعقل هذا ؟ (٢).

وفى بيت خالد بدوى عرفت القصة .. أخبرتنى زوجته أنه ذهب برفقة مختار وإبراهيم الرشيدى إلى اجتماع فى ضاحية المعادى .. اجتماع لقسم المهنيين فى الإخوان المسلمين .. وكان قد تم الاتفاق على عقد هذا الاجتماع فى مقر اتحاد المنظمات الهندسية للدول الإسلامية والتى يخضع مقرها فى مصر لإشراف نقابة المهندسين .

وعند حضور إبراهيم بكري عرفنا منه أنه كان من المقرر أن يذهب معهم لهذا الاجتماع الذى كان سيناقش بعض الأمور التنظيمية الخاصة بانتخابات نقابة المحامين ورفع الحراسة عن باقى النقابات المهنية . خرجت من بيت خالد وقد غامت الدنيا أمام ناظرى ، أغالب دفقة من البكاء خرجت من مكنون ذاتى وأرادت أن تجهش وتعلن عن نفسها إلا أننى كتمتها حتى حين ، وحين دخلت مسجد موسى بن نصير انفردت بربى وأجهشت بالبكاء )) .

### محنة السجن

ويح قلبى مازال يخفق حين تمر من أمامه تلك اللحظات الشجية ، وكأنه يلح عليّ من فرط خفقانه أن أتوقف الآن عن النقل من كراستى ، فليس فى طوق خافقى الذى محت الحرق أثره أن يستمر فى استعادة تلك المشاعر الغضة

---

٢- إبراهيم بكري كان تلميذاً لمختار نوح عمل فى مكتبه ثم انضم عن طريقه للإخوان المسلمين وكان إبراهيم لفترة طويلة لا يغادر مختار نوح فى ليل أو نهار وكان يتنقل معه فى كل المحافطات ويحضر معه كل الاجتماعات حتى أن الإخوان أطلقوا عليهما «مختار نوح وتابعه بكري» .

المشحونة بالشحن التي غرقت في لجتها آنذاك ، إذ عندما أستعيد هذه الأيام تنساب الدموع برفق من عيني رغما عني .

وإذ أخرج من لجة المشاعر أجدني أمام صفحات أخرى من كراستى تتحدث عن سبب الاجتماع التنظيمى الذى تم القبض عليهم فيه ، فقد كان من المقرر أن يناقش هذا الاجتماع خطة الانتخابات والتحالفات التى أعدناها ووافقنا عليها فى القسم .. وهاهو ما تضمنته تلك الصفحات من كراستى .

(( كانت محاور الخطة التى أعدناها والتى كان سيدور النقاش بشأنها فى هذا الاجتماع تتلخص فى عدد من المرشحين لا يزيد على ستة .. أما من حيث التحالفات فقد كانت تدور حول إفساح الطريق للقوى الوطنية المختلفة للتعبير عن نفسها عن طريق تحقيق شعار المشاركة لا المغالبة بشكل حقيقى لا يقف عند حد الشعار ولكن ينزل إلى أرض الواقع .

لم تكن هذه الخطة بطبيعة الحال ترضى الكثير من الإخوان ، وكان أحمد سيف الإسلام حسن البنا من أكثر المعارضين عليها إذ أنها من الممكن أن تطيح بفرصه فى الترشيح - بل إنها كانت ستطيح به بالفعل - ، كما كان جمال تاج من أوائل الواقفين فى صفوف المعارضة ضدها ، وكان محمد طوسون بطبيعته المباحثة - كضابط مباحث سابق - يقف ضد هذه الخطة من طرف خفى إذ من الممكن فى حال تطبيقها أن تطيح به هو الآخر وتمنعه من الترشيح لعضوية المجلس ... كان أحدهم يرغب فى تدمير هذه الخطة ووأدها .. ولم يكن فى طوق أحد وقتها الوقوف ضد مختار نوح فى إصراره على تنفيذ خطتنا وهو الذى يحظى بالتأييد المطلق من المستشار مأمون الهضيبي نائب المرشد - وقتها - وكانت مسألة عرض الخطة على قسم المهنيين مسألة شكلية فقد تم الحوار مسبقا مع معظم أفراد قسم المهنيين وتهيئتهم لقبول الخطة وقبول أسماء المرشحين من الإخوان وكان أبرزهم بطبيعة الحال مختار نوح وخالد بدوى ولم يكن فيهم أحمد سيف الإسلام حسن البنا ابن المرشد الأول حسن البنا ... وفى أثناء عرض مختار لخطة القسم قامت قوة من جهاز أمن الدولة بمداهمة الاجتماع والقبض على كل الإخوة .. والغريب أن جهاز أمن الدولة قام بالقبض على بعض الإخوة الذين كانوا قد غادروا الاجتماع مبكرا وإخوة لم يحضروا الاجتماع أصلا .. إلا أنه أيضا أغفل القبض على إخوة آخرين غادروا المكان منذ لحظات قليلة قبيل المداهمة وكانوا

تحت بصر الأمن !! ))

حتما أعود إلى حديث المشاعر فصفحات كراستى مشحونة بها ، وقد لا أدرى أقوم الآن بالنقل من كراسة أم أقوم بالنقل من فؤاد جهل بعضهم بعض ما فيه ؟ وأنكروا البعض الآخر !! يقول الشعراء إن المتنبى مات حتف أنفه بسبب بيت من الشعر كتبه فى الفخر ، فحين لقى عدوا له هم بالفرار فقال له عدوه أتفر وأنت الذى قلت : الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم .. فعاد إليه المتنبى فقاتله فقتل .. أما مشاعرى فهى التى أحييتنى فيما بعد ، فإذا كان الفخر فى غير موضع يقتل حيناً فإن القلب ومشاعره فى موضعها تحى فى أحيان أخرى ... وهأنذا أنقل من كراستى أحداثاً حاطتها المشاعر وتداخلت فيها .

(( لكل إنسان نفسية تحب وتبغض .. ترضى وتسخط .. تستبشر وتجزع .. تحزن وتسعد .. تتوخى وتهرع .. وأظن أن المشاعر تنتاب الإنسان فرادى فمن العسير أن تتجمع المشاعر المتناقضة كلها فى آن واحد وفى لحظة واحدة فى نفس واحدة .. ولكن العسير حدث وانتابتنى كل المشاعر المتناقضة فى تلك اللحظة التى رأيت فيها مختار نوح وخالد بدوى وهما تحت الأصفاة قيد الحبس .. فبقدر ما كانت مشاعرى تجاههما مشاعر حب ورضا .. وبقدر ما سعدت بصحبتهما واستبشرت بالخير دائماً حين كنت ألقاهما بقدر ما كرهت وسخطت وبغضت الظلم الذى وقع عليهما .

كان المشهد مؤلماً فى مقر نيابة أمن الدولة بمصر الجديدة .. وكان الأكثر ألماً أن رأيت مختار وخالد ومن معهم من الإخوان وهم ينزلون من سيارة الترحيلات والأصفاة تكبل أياديهم والجند يدفعونهم صوب الباب الخلفى الذى يؤدى إلى حجرة الحجز .. وإذا كان ألم الجسد يتلاشى حين تخديره فليس ألم النفس يقبل تخديراً أو تغييباً .. ورغم محاولتى المضنية التى بذلتها من أجل إخفاء ملامح الألم والحزن التى كست وجهى إلا أننى فشلت .. فما معنى الابتسامة البلهاء التى ندت عنى فى حين أن ملامحى كانت مصلوحة على مذبح الألم ، وكيف يذهب الحزن خلف السحاب والسحاب قد انسحب من وطأة الوجوم .

هون عليك يا فتى فما هى إلا أيام وسنعود إلى بيوتنا .. قالها نوح وهو يبيث الطمأنينة فى نفسه ونفسى ثم اتكأ على عصاه وهو يناولنى معطفه قائلاً

: من فضلك خذ هذا المعطف الآن إلى بيتي .. ثم ضحك مسترسلا : فهو ماركة عالمية من "بيير كاردان " ... ولا تنسى أن تُحضر لى من البيت ملابس بيضاء لزوم السجن ولكن قل لهم ملابس السجن ماركة " إيف سان لوران " ... وارتفعت ضحكته لتعلق فى سماء الردهة الكبيرة بنياية أمن الدولة بالدور الثانى التى تتفرع عنها حجرات السادة أعضاء النيابة .

كانت الردهة مليئة عن آخرها بالمحاميين الذين تقاطروا من كل صوب وحذب وكان الكل تقريبا يلتف حول مختار الذى ظهر الإعياء عليه خاصة وأن ظروفه الصحية بعد الحادث الذى وقع له من شهرين قد تأثرت بشكل كبير إلا أن معنوياته المرتفعة كانت تخفى هذا الإعياء عن عيون الجميع .. وحين تركت مختار ليتحدث إلى الجمع الذى التف حوله يسألهم عن رجائى عطية وأين هو ؟ ولماذا لم يأت ؟ سمعت بعضهم يقول إنه الآن فى قرية " مارينا " بالساحل الشمالى وأن البعض أخبره بما حدث وأنه سيأتى غدا ولذلك يطلب من كل الإخوة المقبوض عليهم أن يمتنعوا عن الإجابة عن أسئلة النيابة ويحصرهم أقوالهم فى طلب التأجيل لحين حضور محاميهم الأستاذ رجائى ... اقتربت من خالد بدوى وهو يمسح جبينه من قطرات الماء التى تخلفت من وضوئه وابتسمت وأنا أريت على كتفه حينها انفرجت أساريره عن ابتسامة عريضة وقال مداعبا إياى والبشاشة يخفق بها وجهه وتنفض بها شرايينه : أتذكر يوم أن كنت أضحك معك وأقول " ربنا ها يوديك الـ محكمة " .. هههه ... اليوم ربنا ودائى المحكمة .

بادلته الضحك وأنا أقول : ليست المحكمة .. ولكن النيابة .. نيابة أمن الدولة ، أما المحكمة فندعو الله ألا تذهب إليها .

قال بسكينة : يا سيدى .. لا تقلق ولا تحزن .. مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها ، كل شيء بقدر الله .. لا يقع فى ملك الله إلا ما يريد .. هه .. هل تنازع فى هذا ؟ لا يقع فى ملكه إلا ما يريد .. وما تشاعون إلا أن يشاء الله .

سمعت صوت أحد المحامين وهو يقول : الأستاذ خالد بدوى مطلوب فى الداخل لبدء التحقيق .

راففته وأنا أقول له : سنطلب التأجيل لحين حضور رجائى غدا .. هل لديك خطة دفاع معينة .

سار إلى جانبى وهو يهمس : ليس لدينا إلا لا إله إلا الله .. سبحان الله  
وبحمده اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا .. ومن بعد ستكون التذكرة ..  
فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر .

وبدأت التحقيقات فى اليوم التالى مباشرة وفى حضور الأستاذ رجائى  
وجمهرة من المحامين حيث تم تقسيم المتهمين بيننا فحضرت كل مجموعة مع  
أخ من الإخوة وكان من نصيبى أن حضرت مع خالد بدوى ومختار نوح ثم  
تنقلت بين حجرات التحقيق فتارة أجلس فى التحقيق الذى يدور مع الدكتور  
محمد بديع وتارة أخرى أحضر فى التحقيق مع إبراهيم الرشيدى وهكذا  
دواليك .. كانت التهمة التى واجهت بها النيابة الإخوة المقبوض عليهم هى  
الانتماء لتنظيم سرى غير شرعى وتحريك هذا التنظيم وسط الجماهير بقصد  
التغلغل فى منظمات المجتمع المدنى ، والتخطيط لخوض انتخابات النقابات  
المهنية ومنها نقابة المحامين ، وقد تم القبض على المتهمين أثناء اجتماعهم  
التنظيمى الذى كان يجهز العدة لما سلف وبذلك - وفقا لنيابة أمن الدولة -  
تكون الأدلة قد تجمعت على ارتكاب المتهمين إحدى الجرائم المعاقب عليها فى  
قانون العقوبات ... وقد شارك فى القبض على المتهمين بعض رؤساء نيابة  
أمن الدولة إذ وردت تحريات مسبقة للمباحث تفيد تفصيلات هذا الاجتماع  
وظلت القوة التى رافقت النيابة كامنة بالقرب من مقر الاجتماع حتى حضر  
مختار نوح وخالد بدوى فتم مداومة المكان والقبض على الجميع !! ولأننا  
كانت الأجهزة الأمنية تنتظر الصيد الثمين لتتقض عليه وكان لها ما أرادت !!  
قررت النيابة حبس المتهمين خمسة عشر يوما ويراعى لهم التجديد فى الميعاد  
.. كان هذا هو القرار الذى أصدرته النيابة وفور صدوره نقلته - ومعى أحمد  
ربيع وإبراهيم بكرى - للأستاذ رجائى عطية الذى لم يكن قد غادر مبنى  
النيابة بعد فأغمض عينيه وشهق شهيقا عميقا كأنما يللم قواه وقال : لا  
ضير سأقابل النائب العام وسأنهى هذا الأمر برمته فى جلسة التجديد  
القادمة .. اطمئنوا سيتم الإفراج عنهم لا ريب عندى فى ذلك هذا وعد .

غادرنا الأستاذ رجائى عطية وذهب إلى شائه فانصرفنا من بعده بعد أن  
ودعنا مختار وخالد إلا أننا أنصرفنا إلى مكتب أحد المحامين من الإخوان  
حيث كنا - قسم المحامين فى جماعة الإخوان - قد حددنا موعدا فيما بيننا  
للإتماع من أجل تحديد الواجبات والمسؤوليات فى الفترة القادمة .



كان العدد الذى حضر الاجتماع كافيا لاتخاذ القرارات وإسناد المسئوليات ، وكان أول المتحدثين هو محمد طوسون الذى طلب اختيار أحد أعضاء لجنة السبعة ليكون مسئولا عن قسم المحامين ، ونظرا لأن أحمد ربيع كان هو الأمين العام لتلك اللجنة فقد تم اختياره وفقا للائحة ليكون هو المسئول المؤقت لحين خروج مختار وأن عليه وفقا لهذا التكليف أن يدير القسم ومعه لجنة السبعة التى تشرف على القسم .

لم تكن الرئاسة حلم أحد منا ولم يفكر أحدنا فيها فقد كان حلمنا الأكبر هو خروج مختار وخالد إلى الحرية ، وكانت وعود رجائى عطية بالإفراج عن الثلاثي مختار وخالد وإبراهيم الرشيدى أمرا يقينيا عندنا فلهجة الرجل وهو يتحدث فى هذا الشأن كانت حاسمة وقاطعة لا ريب فيها .. ورغم ذلك اعترض محمد غريب على إسناد الرئاسة لأحمد ربيع وقال إنه يجب أن تتم انتخابات فى القسم لتحديد الشخص الذى سيتولى الرئاسة بشكل مؤقت إلا أن طوسون قال له بحسم : يا أخ محمد يبدو أنك اعتقدت أن الرئاسة هنا ستكون بشكل دائم .. يا أخى اعلم أن أحمد سيكون فى موضع المسئولية بشكل مؤقت ولن يستمر فى موقعه هذا ، وأدعو الله أن يخرج مختار سريعا ليسترد مسئولياته أما مسألة الانتخابات هذه فتكون حين يكون الاختيار بشكل نهائى .

قال أحدهم موجهها حديثه لأحمد ربيع : يا أستاذ أحمد ليست المسئولية تشريفا ولكنها تكليف .. ومن أجل ذلك يا أخى الكريم يجب أن نتحرك على كل الأصعدة .. يجب أن نمارس ضغوطا سياسية ونقابية تساعد الأستاذ رجائى على إنهاء هذا الأمر برمته والإفراج عن إخواننا .

بادر أحمد ربيع وكأنه فكر فى هذا الأمر من قبل : أوافق على هذا ولذلك يجب أن نتصل بكل الأطياف السياسية والنقابية .. نتصل بخصومنا قبل أصدقائنا نتواصل مع الجميع وندعوهم لحضور جلسة التجديد القادمة .. لا

شك أن هذا الحضور سيشكل ضغطا على الجهات المسؤولة .

أمسكت طرف الخيط من أحمد : وفوق هذا ينبغي أن نعقد مؤتمرات يومية فى محاكم القاهرة من أجل تثوير عموم المحامين وإثارة الحمية فيهم .. فمختار وخالد هذان اللذان وقفا وقفة تاريخية فى موضوع عبد الحارث مدنى وأشعلا ثورة داخل النقابة من أجل مقتل أحد المحامين يجب الا ينساهما المحامون .. لا نريد الحشد الذى سيحضر جلسة التجديد حشدا نخبويا فحسب ولكن نريده حشدا شعبيا جماهيريا لعل الجهات المسؤولة تعدل عن التصعيد وتفرج عنهم خوفا من ثورة المحامين .. يجب أن نشعلها ثورة .

وأخذت الاقتراحات تتوالى وازدادت الحمية ونفر الحماس من عروقنا وأخذنا نضع تصورات لكيفية وضع الاقتراحات موضع التنفيذ ، إلا أن هذا الحماس لم يخف شماتة ظهرت فى عيون البعض .. فقد كان بعضهم يخفى فى خبيثة نفسه فرحة غامرة بحبس مختار وخالد !! ولم تستطع كلماتهم المغلفة بجدية مصطنعة إخفاء تلك الشماتة التى قفزت من عيونهم وتفلتت من خلال ألسنتهم رغما عنهم .. فإذا كان الشاعر أحمد رامى أخبرنا أن " الصب تقضه عيونه " فإن الغل هو الآخر يخرج من عين صاحبه وينم عن أسراره الدفينة .

توالى المؤتمرات اليومية فى محاكم القاهرة وفى غرفات واستراحات المحامين وفى مقر النقابة العامة .. ولا أظننى مغاليا إذا قلت أن هذه المؤتمرات أحدثت استنفارا للمحامين من كل الجهات والتوجهات ، وفى ذات الوقت قمنا بتشكيل فريق عمل كنت أحد أفراده ويضم محمد طوسون وأحمد ربيع وإبراهيم بكرى وبهاء عبد الرحمن وكانت مهمة هذا الفريق الاتصال بكل الناشطين من القوى السياسية ومن النخب الوطنية من المحامين ومن غير المحامين والترتيب معهم من أجل دعمنا فى قضيتنا .. قضية إخواننا المحبوسين .. واحر قلباه عليهم .

وجاء يوم تجديد الحبس وتجمهر خلق كثيرون أمام مقر النيابة وازدحمت ردهات النيابة بعشرات من المحامين .. وعشرات من الصحفيين .. وعشرات

من نشطاء حقوق الإنسان.. كان أحمد نبيل الهلالى يقف مع حمدين صباحى وبجوارهما منتصر الزيات ومعهم عبد العظيم المغربى من اتحاد المحامين العرب والدكتور إبراهيم صالح وأحمد عبد الحفيظ وكامل مندور وسيد شعبان وسامح عاشور .. الكل على قلب رجل واحد ... الكل يتأهب تلك اللحظة التى سيدلى بدفاعه فيها عن مختار ومن معه ... كانت كلمات الأستاذ رجائى الواثقة التى همس بها فى أذاننا قبل بدء الجلسة تبعث قدرا من الاطمئنان فى أفئدتنا وكأنها نبوءة : اطمئنوا فكل شيء على ما يرام واليوم سنحقق مبتغانا إن شاء الله .

توالت الأفكار على خاطرى تمرر بالمشاعر بعد إذ سمعت نبوءة رجائى ... هل كانت نبوءة أم رجاء ؟ هل كان حلما فخاطرا فاحتمالا ؟ وهل تتحقق النبوءة فى زمن انقطعت فيه المعجزات ؟ ليس من المستطاع أن يتحول الحلم إلى حقيقة بمجرد التمنى .. وهل تؤخذ المطالب بالتمنى أم أنها تؤخذ غالبا ... هل يصدقنا رجائى ويكون قد بذل جهدا سياسيا أم أنه يراهن على جهده القانونى ؟! الكل يعلم أن مسألة القبض على تلك المجموعة لها جوانبها السياسية التى تقف على تخوم الجوانب القانونية فإلى أين سيذهب بنا رجائى ؟ .

انقطع حبل أفكارى حين بدأت جلسة التجديد ، وحين النداء على القضية ازدهمت غرفة التحقيق التى مثل فيها مختار حتى أننا جميعا وقفنا متراسين كالموج المتلاطم إذ لا مكان يتسع لجلوس أحد وترافع يومها عن نوح أكثر من عشرين محاميا يتقدمهم رجائى عطية وكذلك كان الأمر بالنسبة لخالد بدوى ... وبعد انتهاء المرافعات وقفنا فى طرقات النياحة وقلوبنا تخفق بالرجاء وتنبض بالتمنى ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. خرج القرار باستمرار الحبس لمدة خمسة عشر يوما أخرى ، وحين بحثت عن رجائى لم أجده . ))

(( حين رأيت الدنيا من حولى يزداد ظلامها تحدثت مع أحمد ربيع وبهاء عبد الرحمن واتفقت معهما على أن نذهب إلى رجائى عطية فى مكتبه لنقف على خبر يقينى بشأن الإفراج عن إخواننا ، ونظرا لأن بهاء يرتبط مع رجائى بروابط عمل فقد طلبنا منه أن يحدد لنا موعدا وعلى الفور أنجز بهاء مهمته وحدد الموعد ، وفى الموعد المتفق عليه ذهبنا جميعا ، وتصادف أن كان مع بهاء أخونا جمال برعى فذهب معنا .. وفى مكتبه الكائن بعمارة الإيموبيليا

بشارع شريف جلسنا نتحاور معه .. كان جمال برعى حادا ومندفعاً مع رجائى وقال له بالحرف : أنت وعدتنا كثيراً يا أستاذ رجائى ويجب أن تبذل جهداً كبيراً من أجلنا هذه المرة ليس من أجلنا ولكن من أجلك أنت .. من أجل مشروعنا المشترك ، حاولت أن أخفف من حدة كلمات جمال برعى فقلت لرجائى : أذكر أنني سمعت يوماً الدكتور القرضاوى وهو يتحدث عن العقلية الجمعية فقال إنه وهو بعد صغير اشترك فى مظاهرة وعندما أمسك أحد المتظاهرين حجراً وقذف به واجهات المحلات فعل كل المتظاهرين مثل ذلك وكان من عجبه أن انحنى هو الآخر وأمسك مثل الجميع حجراً وفعل مثلاً فعلوا .. وأنا أخاف أن يغضب أحد إخواننا من المحامين من استمرار حبس مختار وخالد فيمسك حجراً ويقذفه على مشروعنا الذى بنيناه سوياً ، وحينئذ أخاف أن يفعل مثله باقى الإخوان فيقفون ضدك فى الانتخابات .. يجب يا أستاذنا الفاضل أن تبذل كل ما تستطيع .. نحن نحبك ونتمنى أن يقف كل صفنا معك .

فأجاب رجائى بأنه يبذل كل الجهد وأنه تحدث مع شخصيات سياسية كما تحدث مع النائب العام وأن أمر الإفراج تأخر ولم يحدث فى الجلسة الماضية نظراً لأن تقرير خبير الأصوات عن التسجيلات الصوتية للحوارات التى كانت تدور بين المقبوض عليهم فى الاجتماع التنظيمى لم يكن قد تم الانتهاء منه بعد وأنه حتماً سيتم الإفراج عنهم فى الجلسة القادمة خاصة وأن تقرير الخبير على وشك الانتهاء .. ثم وجه رجائى حديثه لجمال برعى وقال له يا أخ جمال أنت فى بنى سويف ولا تعلم ما أفعله أنا من أجل مختار وخالد وإبراهيم الرشيدى ، وبدلاً من أن تلومنى أنا وجه اللوم لمختار وخالد .. أيعقل هذا يا جمال يا برعى !! ما الداعى لى يحضر مختار اجتماعاً تنظيمياً فى هذه الأيام !!! .

وهنا تدخل أحمد وقال : يا أستاذ رجائى هذا اجتماع لقسم المهنيين وكان يناقش أمر خطتنا الانتخابية .. كنا نريد أن نحصل منهم على موافقة نهائية بعدد المرشحين الذين سيمثلون الإخوان .

أكمل بهاء عبد الرحمن كلام أحمد وقال وهو يضحك ضحكته المعروفة عنه : عموماً ربنا ستر كنت أنا وأحمد ربيع فى طريقنا لحضور هذا الاجتماع لكن تم القبض عليهم قبل أن نذهب ، أنا عن نفسى اختبأت عند مترو الأنفاق ،

كانت مسئوليتك ستتضاعف لو تم القبض عليّ .  
نظرنا إلى بهاء ونحن نزجره بعيوننا واضطرت إلى مقاطعته وقلت  
لرجائي : لو سمحت يا أستاذ رجائي لو يساعدك في مفاوضاتك أن ننسحب  
من هذه الانتخابات كلها بحيث لا يكون لنا فيها لا ناقة ولا جمل فسنفعل .  
فوجئ رجائي بكلامي ويبدو أنه فهم منه أننا سننسحب وسنترك  
الانتخابات كلها بما يعنى أننا لن نقف معه فكاد أن يقفز من مقعده وقال : لا  
لن تصل الأمور إلى مثل هذا أنا لا أقبل انسحابكم وسيخرج مختار حتما ..  
فى الجلسة القادمة سيخرج (( .

### إلى العسكرية

تحتاج هذه الفترة إلى كتاب مستقل يحكى ويغوص ويحلل ، فلا يمكن أن  
تحيط بها هذه السطور أو تفصل أحداثها أو تحلل لها ولكنها قد تستخرج  
أهم وقائعها لتبعث فيها الحياة من جديد فتبوح لنا بأسرار مخبوءة تكاتف  
الكثيرون على طمسها .. وإذ كنت أقلب باقى صفحات الكراسة وجدت هذه  
الفقرة الهامة لعلها تكون خير شاهد على ما حدث آنذاك ، أو بالأحرى لعلها  
تلقى الضوء على أيام أراد لها البعض أن تذهب طى النسيان .  
((نحن الآن فى شهر نوفمبر من عام ١٩٩٩ والأيام تمر بطيئة وكأنها لا  
تمر .. فى هذه الأيام نسيت مكتبى ونسيت أعمالى ، وغبت عن زوجتى وعن  
أبنائى قرة عيني مرام ويحى ، فأنا أعتبر نفسى فى مهمة إسلامية .. وهل  
هناك أعلى قيمة من رجل يبتغى وجه الله فى إخوانه فيكون لهم وجاء من  
غوائل الأيام .. كان الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه .. أنصر  
أخاك ظالما أو مظلوما .. وأنا أنصر أخى المظلوم .. أنا فى عبادة مستمرة فى  
هذه الأيام وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يأجرنى عليها وتكون بابى إلى  
الجنة .. لا توجد بوادر تنبئ عن قرب الإفراج عن مختار وخالد وإبراهيم بل  
العكس هو الصحيح .. هل رجائي يصدقنا ؟ أخاف من طريقته معنا .. أشعر  
أنه يصب الماء البارد على نارنا المشتعلة حتى نهذا .. أنا أحب رجائي جدا  
وأحترمه كرجل قانون وكمفكر بارز وأتمنى أن يكون نقييا للمحامين وأن يكون  
زوال الغمة على يديه .. يا رب كن معنا وساعد رجائي فى سعيه وبارك له فى  
هذا السعى واجعله فى ميزان حسناته .

اليوم هو الخميس وقد حدث شيء غريب .. كنا فى مؤتمر بمحكمة شمال

القاهرة .. أُلقيت كلمة وسط عشرات من المحامين لدفعهم إلى اتخاذ موقف حاسم يعيد للمحاماة أيام مجدها .. ذكّرتهم بموقف مختار فى حادثة مصرع المحامى عبد الحارث مدنى وقلت لهم إما أن نكون أو نظل عشرات السنين تحت رحمة السلطة التنفيذية .. كان بعض المخبرين من جهاز أمن الدولة يجلسون وسط المحامين ويسجلون كل كبيرة وصغيرة وحين خرجت إلى موقف سيارات المحكمة لأركب سيارتى وجدت السائس عم " أبو زهرة " يسرع إلى السيارة ويفتح لى بابها وهو يهمس فى أذنى : يا أستاذ ثروت سلم لى على الأستاذ مختار فكلنا نحبه ولن ننساه وربنا يخفف عنه .. أستاذ ثروت أريد أن أنقل لك خيرا هاما .

قلت له خير يا عم أبو زهرة ؟

قال والتأثر باديا عليه : أخبرنى محمود الفقى مخبر أمن الدولة الذى كان يرصد مؤتمركم فى المحكمة اليوم أن قرارا سيصدر اليوم بإحالة مختار وإخوانه إلى المحكمة العسكرية .

نظرت إلى " أبو زهرة " بفزع وقلت له غير معقول .. هذا تخريف ، محمود الفقى كان يعبث بعقلك .. لا تصدقه .

وعندما ركبت سيارتى اتصلت هاتفيا بإبراهيم بكرى وأخبرته بما أخبرنى به أبو زهرة واتفقت معه على أن نذهب إلى رجائى فى أى مكان يكون فيه ، وعندما اتصلنا برجائى وجدناه فى محكمة دار القضاء العالى فذهبت إليه وأنا أقود السيارة بسرعة جنونية .. وحين التقيناه أنا وإبراهيم أخبرته بما وصل لى من معلومات فنظر لى وكأنه ينظر إلى رجل فى عقله خبل وقال بابتسامة : مخبر وسائس يا ثروت .. سائس سيارات يهذى فتصدقه !! .. كنا نجلس فى استراحة المحامين وكان يجلس بجوارنا أحد الأصدقاء من المحامين من غير الإخوان اسمه أحمد حلمى فقال هذا الصديق لرجائى : لن نخسر شيئا لو أجريت اتصالاتك لتسأل عن هذا الأمر .. أفعل هذا حتى تطمئن قلوبنا .

فأمسك رجائى هاتفه المحمول وأجرى اتصالا أمانا ثم خرج من الاستراحة لينفرد بمكالمته وبعد هنيهة عاد إلينا وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقال بصوت جهورى ليسمعه كل المحامين الذين كانوا يجلسون بجوارنا : لم يحدث شيء ولم ولن تكون هناك إحالة للمحكمة العسكرية وسيتم الإفراج عن

مختار وخالد وإبراهيم فى الأسبوع القادم .. هذا خبر وليس أمنية .  
وفى أول الليل عقدنا أنا وأحمد ربيع وإبراهيم بكرى اجتماعا مع محمد  
طوسون فى أحد المقاهى بشارع الألفى بمنطقة وسط البلد حيث تناقشنا فى  
كل الأحداث التى مرت بنا فى هذا اليوم وأخبرناه بذلك الخبر المزعج الذى  
تسرب إلينا عن إحالة مختار ومن معه للمحكمة العسكرية وقلت له رد فعل  
رجائى فلم يعقب إلا بهمهمات وابتسامات ليس لها معنى ثم انتهى الاجتماع  
قبل منتصف الليل بقليل ، وفى الطريق إلى بيتى قمت بشراء كل الصحف  
اليومية والمستقلة التى ستصدر صباح الجمعة والتى تخرج طبعاتها الأولى  
فى الليل ، وفى غرفة المعيشة جلست أقرأ الصحف وأنا أتحدث مع زوجتى  
تارة وأدعو الله بصوت مسموع تارة أخرى " يا رب يكون خبر إحالة إخواننا  
للمحكمة العسكرية خبرا غير صحيح " وعندما وقعت عيني على إحدى  
الصفحات الداخلية بجريدة الأهرام وقعت عيني على خبر صادم ( إحالة  
قضية مختار نوح إلى المحكمة العسكرية ) .. أسكتتنى الصدمة وحين سألتنى  
زوجتى لماذا سكنت قلت لها أنا الآن مثل ذلك التلميذ الذى أخذ يدعو الله قائلا  
" يا رب تكون باريس عاصمة لبنان ، وعندما سألته أمه لماذا تدعو الله هذا  
الدعاء قال لها لأننى أجبته هكذا فى الامتحان .. ونحن ما زلنا نصدق وعود  
الأستاذ رجائى رغم أنه صدر قرار بإحالة مختار ومن معه للمحكمة  
العسكرية ، عرف هذا القرار الساييس ومخبر أمن الدولة ولم يعرف به رجائى  
.. أظن أنهم يخدعونه ... ويحك يا يوم الخميس ففبك تم القبض عليهم وفبك  
تمت إحالتهم للمحكمة العسكرية .))

\*\*\*

حين أستعيد ذكرى هذه الأيام يقفز الدم فى شرايينى قفزا حتى يكاد  
وجهى يصطبغ باللون الأحمر ، ولم لا وقد كانت كل لحظة من لحظات تلكم  
الأيام تحمل خبرا أو حدثا .. آملا أو إحباطا .. خوفا أو تهورا .. وحين  
أمسك كراستى لأنقل منها أشعر كأن قلبى هو الذى يقلب صفحاتها فقد  
كانت هذه الكراسيات بعضا من نبضى ومكنون ذاتى ، وحين أدلف إلى تلك  
الكراسة التى استودعتها أحداث المحاكمة العسكرية فإننى أستعيد معها  
سراجا خافت الضوء من أحداث لما تزل بعض شفرات أسرارها فى رحم  
الغيب ... وإذ كنت على وشك أن أطوى بعض صفحات الكراسة لأذهب إلى

صفحات أخرى وقع نظرى على سطور بهت مدادها ولكن أحداثها لم تبهر إذ ما زالت ماثلة فى وجدانى .. ولا أجدنى فى حاجة إلى كتابة مقدمة لهذه السطور ولكننى أنقلها هنا كما هى .

((نحن الآن فى منتصف شهر نوفمبر ، جلست لأكتب هذه الكلمات قبل منتصف الليل ، أما فى الصباح فقد كانت المحكمة العسكرية تنظر أمر تجديد حبس إخواننا من المحبوسين وكان الأستاذ رجائى عطية قد أخبرنى وأخبر كل الإخوة أنه أجرى اتصالات وأنهم حتما سيفرجون عن المحامين مختار وخالد وإبراهيم ، وللأسف لم يتحقق وعده ، هذا الرجل صادق ، ليس عندى ذرة شك فى أخلاقه فهو شخصية جديرة بالاحترام ولكننى أشعر أنه تنقصه الحنكة السياسية ، ويبدو أن هناك بعض أفراد من المقربين من دوائر السلطة يكررون وعودهم له وهو لطيبته يصدقهم ولكن هل يجب أن نصدقهم أيضا ؟ بعد جلسة تجديد الحبس التى انتهت قبل صلاة الظهر وقف الأستاذ رجائى على باب المحكمة العسكرية بالحي العاشر وهو يبدى ألمه من قرار تجديد الحبس وكان يقف معه أحد المحامين من فريق عمله الانتخابى وهو الأستاذ "مصطفى محمود" المحامى الناصرى وكان يقف معهما أيضا أحد المحامين من أصدقائى ، وبعد انصراف الأستاذ رجائى جاء لى صديقى الذى كان يقف معهما وأخبرنى أن مصطفى محمود كان يخفف عن الأستاذ رجائى حزنه فقال له ( ولا يهكم يا أستاذ رجائى وحتى لو تم حبس مختار حبسا نهائيا فسوف يقف معك الإخوان والحذاء فوق رؤسهم لأن منافسك هو سامح عاشور خصمهم التاريخى ) ولما كنت لا أحب أن يكون الحذاء فوق رأسى فقد اصطحبت أحمد ربيع وإبراهيم بكرى وذهبنا فى أول الليل إلى مكتب رجائى وقلت له ما وصلنى فأقر بحدوثه وقال إنه غير مسئول عن كلام مصطفى وأنه لا يقبل هذا الكلام ثم قال : حقك على يا عم ثروت !! عدت إلى بيتى وأحاسيسى تأثرة ونفسيتى مهتاجة وحين هدأت أخذت أقرأ قصيدة هاشم الرفاعى " رسالة فى ليلة التنفيذ " وقد هزتنى أبياتها هذا وقد امتزجت معها من أول بيت " الليل من حولى هدوء قاتل والذكريات تمور فى وجدانى " إلى البيت الذى قال فيه : انا لست أدري هل ستذكر قصتى أم سوف يعرفوها دجى النسيان ×× أم أننى سأكون فى تاريخنا متأمرا أم هادم الأوثان .... وبعد أن قرأت القصيدة فكرت فى إخوانى المحبوسين ، كنت كأنى أنا



المحبوس لا هم ، شعرت بالاختناق وكأن الهواء نفذ من حولى ورغم محاولاتي إخفاء حالة الضيق والكدر التى انتابتني عن زوجتي إلا أنها شعرت بى فطلبت منى أن أعود لمصحفى وأقرأ بضع آيات من القرآن لعل الله يخفف عني ففعلت وقرأت واسترحت .))

عندما أتذكر تلك الأيام وأسترجع أحداثها أشعر وكأنها كانت حلما من الأحلام ، وكأنني كنت بين اليقظة والنام .. أحقا كان ما كان و حدث ما حدث ؟ أفى تلك الحياة عشت ما سلف أم أنني كنت آنذاك فى زمن آخر وفى دنيا أخرى ؟ ولكنى أفيء إلى يقظة فتحدثنى نفسى أن أغلق صفحات كراستى ، فاستعادة الأحداث وإن كانت لها قيمتها إلا أنها تنكأ جراحا وتستعيد مواعج أرقنتى وأسالت مدامعى .. تلك المواجه التى أردتها أن تذهب أدراج النسيان .. ولكن وكأن تلك الصفحات التى أردت وأدها والتى تحتوى على تاريخ كاد ينزوى ، ترفض أن تنزوى ، وها أنذا أعود إليها مرة أخرى فأجدنى أمام ذلك الحدث الذى أفردت له جزءاً فى الربع الأخير من تلك الكراسة .

(( فى اليوم التالى انعقد اجتماع للجمعية العمومية لمحامى الإخوان .. يحضر فى هذه اللجنة رؤساء المكاتب الإدارية لمحامى الإخوان بالمحافظات وأعضاء لجنة السبعة المنوط بها إدارة المهنة .. جلسنا جميعا فى مكتب بهاء عبد الرحمن بمنطقة عابدين وكانت بنود الاجتماع تدور حول وجوب انتخاب لجنة من بيننا تدير أزمة حبس مختار نوح وإخوانه من المهنيين ولها أيضا كامل الصلاحيات فى إدارة انتخابات المحامين بحسب أن الانتخابات تعتبر جزءاً من الأزمة وسببا فى حبس مختار ومن معه ، كنت فى هذا اليوم أبداً شارد الذهن وفى الحقيقة أنني كنت أكاد لا أسمع كلمة واحدة مما قيلت ، حتى أنني لم أشارك فى الحوار الذى كان يدور بين الإخوة والتزمت الصمت طوال الجلسة وقد أثار صمتى دهشة أحمد ربيع وظن أنني مريض ولكننى كنت فى أشد الحاجة إلى الانكفاء على نفسى وتدوير الأفكار فى عقلى .. كنت أمارس مع نفسى عصفاً فكرياً .. وحين انتهت وعدت من خلوتى النفسية وجدت الانتخابات قد بدأت ورغم أنني أعطيت صوتى لأحمد ربيع إلا أن أحمد أعطانى صوته وكانت النتيجة هى انتخابى بالإجماع - عدا صوتى - رئيساً للجنة وانتخاب عدد من الأعضاء معى هم أحمد ربيع وإبراهيم بكرى وبهاء عبد الرحمن وجمال حنفى ممثلين للقاهرة وعدد آخر من الإخوة ممثلين

لبعض المحافظات .

وبعد أيام من هذا اللقاء كان من المَقْدَر أن نذهب للقاء المستشار مأمون الهضيبي لمناقشة خطة الانتخابات الجديدة وكنت قد تخلفت عن هذا اللقاء إلا أن الإخوة الذين حضروا وعلى رأسهم أحمد ربيع أخبروني أنه حدثت مشادة بين أحمد والمستشار الهضيبي وكان سبب هذه المشادة هو رغبة المستشار فى ترشيح الأستاذ أحمد سيف الإسلام حسن البنا لعضوية مجلس النقابة وتغيير الخطة من المشاركة إلى المغالبة وقد اعترض أحمد لأن أحمد سيف لم يحصل فى الانتخابات الداخلية بيننا إلا على صوت واحد ، وبعد هذا اللقاء صدر قرار من المستشار الهضيبي بعزل أحمد من رئاسة القسم وتعيين محمد طوسون بدلا منه والاكتفاء بعضوية أحمد فى لجنة الانتخابات .. وأصبح طوسون رئيسا للقسم .. وصرت أنا مسئولاً عن إدارة لجنة الأزمة ولجنة الانتخابات .

بدأنا عملنا فى لجنة إدارة الأزمة .. كنا مجموعة من الرفاق .. اجتمعنا على عمل لله .. من أجل نصرة مظلوم .. تعاهدنا من أول لحظة أن يكون الإخلاص سبيلنا والمحبة زادنا والإخوة فى الله هى صلتنا .. وكان أول تحرك لنا هو السعى لإقامة علاقات طيبة مع الإعلاميين والصحفيين وبالفعل تعرفت على عدد كبير من الصحفيين من الذين كانوا على خلاف مع الإخوان ولكنى وجدتهم من أفضل الناس خلقا بعد أن كنت أظن أنهم أكبر خصوم للحل الإسلامى ، ومن عجبى أننى لاحظت أن هؤلاء قد يكونون أكثر تدينا وإيمانا من بعض الإخوان المسلمين ، وكان أن أقمت صلات طيبة بالمسؤولين فى إذاعة لندن وغيرهم من الإعلاميين من كافة التوجهات ، كان مظهرنا نحن أعضاء لجنة إدارة الأزمة شبيها بالمقاتلين فى معركة حربية .. واصلنا الليل بالنهار وتحركنا على كافة الأصعدة وقمنا بتحريك الرأى العام بقوة ناحية التعاطف مع قضية النقابيين المحبوسين والمحالين للقضاء العسكرى ، وفى سبيل تحركاتى الإعلامية قمت بتجهيز ملف كامل لكل أخ من المحبوسين يحتوى على السيرة الذاتية له وبهذه الملفات وبعض بيانات نارية عقدنا مؤتمرات صحفية لدعم القضية إعلاميا ... ولكن رغم كل ما بذلناه مازال مختار محبوسا يرسف فى أغلاله الكئيبة ، ومازال خالد بعيدا عن بيته وأهله ، وضاعت على إبراهيم الرشيدى فرصته فى العودة لعمله فى الخليج الذى

كان فى أجازة منه .))

أقفز على الصفحات وأطوى بعضها وأتجاهل عشرات الأحداث والتفصيلات إذ لو تركت نفسى لها لأفردت لها كتابا كاملا - وقد أفعل ذات يوم - فهى أحداث جديرة بالتسجيل والرصد والتحليل ، إلا أن آخر صفحات تلك الكراسة يستوقفنى منها ويشد نظرى تلك الفقرات .

(( ليس هناك أشد وطأة على النفس من ظلم لا تستطيع دفعه ، وليس هناك أشد على الإنسان من تنكر له وقت محنته ، وفى المحنة ظهرت معادن الناس وانكشفت معادن الإخوة ، فى أحد اللقاءات همس بعض الإخوان فى أذنى أن أحدهم سجد لله شكرا حين تم القبض على مختار وخالد ، كان أحدهم هذا من أكثر الأشخاص حربا على إخوانه المحامين وفرحا حين تم فرض الحراسة على نقابتنا ، أما الشماتة فقد كانت بادية فى عيون البعض تكاد تخرج لنا لسانها ، وقد تقابلت مع الكثير من الإخوة الذين أعلم حسن طويتهم ولكن أحنزنى منهم عدم المبالاة بما حدث وكأن من تم القبض عليهم لم يكونوا أخوة لهم .

اليوم كان قد انعقد اجتماع إخوانى لمناقشة بعض ترتيبات المحكمة العسكرية وكيفية مواجهتها وقد شق على كلمة خرجت من فم الأخ أسامة محمود حين قال لى : أنت مهتم بشكل مبالغ فيه بموضوع حبس مختار وخالد .. يا ثروت يجب أن تعلم أن الحبس فى السجون هو معسكر من معسكرات الإخوان ولا ينبغى أبدا أن يشغلك بهذا الشكل .. نظرت إلى أسامة بخيبة أمل ولكننى لم أرد عليه .

عندما أتحت الفرصة لزيارة الأخوة فى محبسهم فى سجن طرة لم أتركها فقد صرت الزائر الوحيد الذى يقوم بالزيارة كل يوم بحيث لم أفوت إلا أيام الجُمع والأجازات ، وكانت هذه الزيارات فرصة سانحة نتناقش فيها فى كل شيء يتعلق بالقضية سواء من حيث القانون أو من حيث السياسة ، وعندما تم تحديد الجلسة الأولى التى ستبدأ فيها المحاكمة قمنا بتوزيع أنفسنا - كمحاميين - على الأخوة المتهمين وكان من نصيبى بطبيعة الحال عبء المرافعة عن مختار وخالد وإبراهيم الرشيدى ، أما رجائى عطية فقد اتفقنا معه على أن يترافع فى الشق العام للقضية .

فى أول جلسة من جلسات المحكمة العسكرية التى انعقدت هناك فى

صحراء الهايكستب كانت الإجراءات الخاصة بدخول المحامين والأهالي تسير على قدم وساق ، وكانت هناك حالة ارتباك وتدافع فقد كان من المقرر أن نقدم بطاقات تحقيق الشخصية على البوابة وننتظر إلى أن تأتى لنا حافلة تابعة

للقوات المسلحة فتقلنا إلى الداخل ، ونظرا لحالة الزحام الشديد فقد توقفت الحافلات ورفضت نقل هذه الأعداد الغفيرة إلا إذا سمح رئيس المحكمة بذلك ، وحين كنا ننتظر وصول موافقة رئيس المحكمة لمحت عن بعد الأستاذ محمد علوان وكان معه الدكتور توفيق الشاوى<sup>(١)</sup>. فذهبت إليهما مرحبا ومن أسف أن معظم الحاضرين لم يعرف الدكتور توفيق ولكننى عرفتة فقد سبق وأن ذهبنا إليه مع مختار فى الأيام الخوالى ثم بعد حبس مختار ذهبنا إليه أستاذنا وأستتبت منه رأى السيد فى كيفية مواجهة هذه القضية .. ونظرا لأن الرجل كان قد اقترب من الثمانين فقد طلبت منه أن يجلس فى السيارة التى حضر فيها برفقة الأستاذ علوان ، وعندما طالت الإجراءات انصرف علوان والشاوى وقبل أن يودعانى طلب منى الدكتور الشاوى أن أذهب إليه فى بيته لأخبره بتفاصيل ما حدث فى الجلسات ووعده بأننى سأتصل به لأحدد معه موعدا أذهب إليه فيه .)) وفى صفحة أخيرة من تلك الكراسة كانت هذه الفقرة .

(( يسكن الدكتور توفيق الشاوى فى فيلته الأنيقة الرابضة على كورنيش النيل بالمعادي وإذا جلست فى حجرة الصالون فستجد الحائط يزدان بعدة صور لأشخاص لهم تاريخهم ، وكانت الصورة التى لفتت نظرى هى صورة علامة القانون المرحوم عبد الرزاق السنهورى .. كنت قد ذهبت للدكتور الشاوى وفقا لموعد اتفقنا عليه فى اتصال هاتفى وكنت قد استأذنته فى أن أصرح معى فى هذا اللقاء الأخ أحمد ربيع وقد رحب الرجل أيما ترحيب .

١-رحم الله الدكتور توفيق الشاوى وقد كان هذا الرجل أحد أفراد الرعيل الأول من الإخوان وكان قانونياً بارزاً وله العديد من المؤلفات القانونية والإسلامية وقد كتب فى فقه الشورى وفى الاقتصاد الإسلامى وهو أحد الذين ساهموا فى إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى وبنك فيصل الإسلامى وصاحب فكرة المدارس الإسلامية وقد أسس عشرات من هذه المدارس الإسلامية .. تزوج الشاوى فى بداية حياته بآبنة العلامة القانونى د.عبد الرزاق السنهورى وظل حياته منافحاً عن أفكاره مدافعاً عما يعتقده.

وحين دخل الدكتور الشاوى علينا وجدنى أتطلع لصورة السنهورى فقال لى بعد أن رحب بنا : هل تعلم أن السنهورى رحمه الله حصل على دكتوراه فى فقه الخلافة ، وكان قبلها قد حصل على دكتوراه فى القيود التعاقدية على حرية العمل .. فقلت له : أنا أعلم عن رسالته فى فقه الخلافة وأظن أنه كتبها بعد إلغاء دولة الخلافة الإسلامية وكانت رسالة رائدة .

وتدخل أحمد ربيع فى الحوار وذكر أنه بهذه المثابة تكون هناك علاقة فكرية بين الشهيد حسن البنا والمرحوم السنهورى فهذا أنشأ تنظيمًا ليستعيد الخلافة وذاك حصل على دكتوراه فى فقه الخلافة .

وبعد أن شرحت للدكتور الشاوى تفصيلات قضية مختار التى أطلق عليها الإعلام " قضية النقابيين " وحكى له عن مرافعة الأستاذ رجائى عطية والحادث الذى وقع له بعد مرافعته والشكوك التى دارت حول هذا الحادث وزيارتي له فى المستشفى حيث التقيت هناك بشخصيات سياسية كبيرة ، وحكى له أيضا عن تفصيلات مرافعتي عن مختار وخالد وإبراهيم الرشيدى التى استمرت أكثر من ثلاث ساعات وتجاوزت معه فى الدفوع القانونية التى أبديتها أثناء المرافعة وطلبت البراءة بناء عليها .. كما حكى أحمد ربيع عن مرافعته التى أبداهها عن بعض الإخوة ودفوعه القانونية ، وأثناء حديث أحمد تطرق إلى الخلاف الذى كان قد نشب بينه وبين المستشار الهضيبي وأسهب فى أن المستشار الهضيبي أراد أن يتراجع عن الشورى التى أجريناها بخصوص عدم ترشيح أحمد سيف الإسلام حسن البنا وكانت حجته وقياسه فى ذلك هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رفض قتل المنافقين وقال ( حتى لا يقال إن محمدا يقتل أصحابه ) فقال له أحمد ( إن هذا قياسا فاسدا لأن القياس الصحيح هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم ( لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ) واسترسل أحمد شارحا غضبة المستشار الهضيبي تجاهه والآثار التى ترتبت عليها ، وهنا قال الدكتور توفيق الشاوى : رشد أى تنظيم أو جماعة أو مجتمع إنما يُستمد من عدة قيم هى الحرية والشورى والعدالة والمساواة وأقرأ إن أردت ما كتبه أخى الدكتور سليم العوا عن هذه القيم فى كتابه القيم فى النظام السياسى للدولة

الإسلامية ، وليس عندي شك أن قياس المستشار هنا قياسا فاسدا وقياسك هو الأصح وأنا أرى أن جماعة الإخوان تفقد بعض رشدها حين تضرب صفحا عن الشورى والمساواة وقد عرفت تفصيلات الخلاف الذى شجر بينهم وبين مجموعة حزب الوسط وقد أفزعنى رد فعل الجماعة غير المبرر .. جلس معى هنا أبو العلا ماضى ومعه مجموعة من إخوانه وقد وجدت فيهم نجابة وعمقا ومن الخطأ أن تتسرب هذه الكفاءات من الجماعة .. للأسف جماعة الإخوان التى أحببناها تفقد رشدها شيئا فشيئا .

كانت هذه الكلمات غريبة على أذنى فلأول مرة أسمع نقدا للجماعة من رجل له قيمته الفكرية والتاريخية فى الجماعة وفى العمل الإسلامى ، وحين قلت له : إن الإخوان حركة ربانية وأن الله سيحجمها .. قال بهدوء : الإسلام دين ربانى ولكن الأفراد بشر يصيبون ويخطئون .. الجماعة قد تزول ويخبو أثرها إن هى خالفت السنن الكونية .. ليس معنى أنها ترفع شعارات إسلامية أنها تكون قد حصلت على قداسة .. جماعة الإخوان ليست مقدسة .

وإذ شعرت أن الدكتور ظهر عليه الإرهاق قمنا بتوديعه وانصرفنا وعندما كنا فى السيارة قلت لأحمد : هذا كلام لم نسمعه من أحد من الإخوان من قبل وهو يستأهل المناقشة .. فقال أحمد : والله لقد صدق الرجل يبدو أن جماعة الإخوان تفقد رشدها شيئا فشيئا ويبدو أننا سنرى أياما حالكة .. المهم أن تنتهى المحاكمات العسكرية على خير .. هل ترى أنها ستنتهى على خير ؟ قلت له : يبدو أننا ننتظر مفاجأة . ))

وحين أمسكت الكراسى لأضعها فى الخزانة تذكرت المفاجآت التى توالى علينا حينها .

## الفصل الخامس

### وراء الأكمة

«هناك من لا يستطيع أن يكون إلا نفسه ، يمارس قناعاته

حتى ولو خاصم من أجلها الدنيا ، وهناك من يستطيع أن يكون غير نفسه يمارس طموحاته حتى ولو صادق من أجلها الشيطان ، وكلاهما ممقوت ومرضي عنه في آن واحد ، فالأول ممقوت من الناس ومرضي عنه من الحق والثاني ممقوت من الحق ومرضي عنه من الناس» .

إنتهت المرافعات فى القضية العسكرية للنقابيين ، وقدم كل واحد من المحامين ما فى جعبته من الأسانيد والدفع القانونية ، إلا أن وجوه المتهمين التى رسم القلق تجاعيده عليها كانت تشى بأن الأحكام ستصدر فى غير صالحهم ، ورغم الوعود الكثيرة التى قطعها المحامى الكبير رجائى عطية على نفسه مؤكدا أن مختار نوح ومعه خالد بدوى وثلة أخرى من المتهمين سيحصلون بالتأكيد على البراءة وأن باقى الأحكام ستكون مخففة لا ضير منها إلا أن أحدا لم يصدق ! فقد أيقنوا جميعا أن الأستاذ رجائى فشل فى الوصول إلى قرار سياسى بهذا الشأن وأنه إنما يمد حبل الرجاء طمعا فى استمرار مؤازرة الإخوان له فى المعركة الانتخابية ، كانت التوقعات التى خرجت من داخل السجن من قيادات الإخوان المحبوسين تؤكد أن الأحكام ستتراوح بين ثلاث وخمس سنوات وأن هناك من سيحصل على البراءة وقد أجمعوا على أن أصحاب البراءة هم إبراهيم الرشيدى ومحمد سعد عليوة ومن الممكن أن يضاف إليهم أحمد محمود حسن وأحمد أبو الأنوار ، كانت تلك التوقعات سببها أن هؤلاء ليست لهم أهمية تنظيمية ولم يكن لهم تأثير حركى ولذلك لن يكون هناك أى أثر إذا ما حصلوا على البراءة فضلا عن أن هذه القضايا لابد أن يحصل بعض المتهمين فيها على البراءة ولم يكن هناك غير هؤلاء ليتم إطلاق سراحهم .

وفى محاولة منى لاستقصاء ما يمكن أن يتساقط من أخبار ذهبت ومعى أحمد ربيع وإبراهيم بكري إلى مكتب الأستاذ رجائى عطية

نستمطر منه الأخبار ونستشرف وجهه لعلنا نعرف من خلال قراءة الوجوه ما تخفى الصدور ، إلا أن الإحباط كان باديا على قسمات وجه المحامى الكبير .. وببراغته المعهودة أخفى إحباطه ببضع كلمات مبتسمات



مبتسرات ووضع على وجهه ستارة الاطمئنان التى أظهرت أكثر مما أخفت ، وعندما خرجنا من اللقاء استقبلتنا عاصفة ترابية من عواصف خريف القاهرة الذى كان لا يزال يافعا ييسط سيطرته ونفوذه على السماء والأرض فيحيلهما إلى كتلة رمادية جرداء ، ويبدو أن العاصفة لم تهب من الشمال أو الشرق أو الجنوب إنما هبت من أفئدتنا وخرجت من مشاعرنا الثائرة الملتهبة بعد أن وقع فى روعنا أن الريح ستأتى بما لا يسر السفن وأن وراء الأكمة ما وراءها . وتحدثت جلسة النطق بالحكم وهناك فى منطقة الهايكستب حيث الصحراء القاحلة وحيث مقر المحاكمة تقابلت منذ الصباح الباكر مع بعض الأهالى الذين تكبدوا مشقة الطريق خلال أشهر عديدة وحان الوقت الذى تصوروا فيه أنهم سيقطفون ثمار مشقتهم ، لا ريب أن الألم فتت كبدي وشق قلبى إذ وجدت بعض زوجات المتهمين يتحدثن عن أن بناتهن الصغار قاموا بتعليق الزينة فى بيوتهن ونثر الورود انتظارا لخروج بعض من تسربت الأخبار بحتمية حصوله على البراءة ، وأيقنت أن الإنسان يظل دائما متعلقا بحبل الأمل مشدودا إلى واحة الرجاء لا يحيد عنها قيد أنملة حتى أنه ليصنع من أمله قصرا مشيدا شامخا فإذا طلعت الحقيقة إذا بالأمل سراب وإذا بالرجاء حسرة وإذا بالقصر تذروه رياح الواقع ، ولكن الواحد منا لا ينسى يمسك بحبل الأمل من جديد ويتعلق بأهداب الرجاء ويسكن فى قصر التمنى إذ لولا الأمل لسكن الإنسان حتما فى باطن الأرض وهجر سطحها .

خرج عم عيد كاتب الجلسة مصطنعا كسوف البال ليخبرنى أن المحكمة أرجأت النطق بالحكم لجلسة أخرى هى يوم التاسع عشر من نوفمبر وعندما أخبرت الأهالى والمحامين الموجودين بالتاريخ حتى انصرف الجميع وهم يمسكون بيد خيط الترقب والقلق إلا أنهم فى ذات الوقت يقبضون باليد الأخرى على حبل الرجاء ، وسمعت الزوجات وهن يتحدثن عن إصرارهن على ترك الزينة والورود فى أماكنها فى بيوتهن إلى أن يحين الموعد الجديد للحكم .

★★★

كان عام ٢٠٠٠ الميلادى قد استعد لمغادرة مداره حيث سيذهب إلى غير رجعة ولم يكن قد تبقى منه إلا عشرة أيام من نوفمبر وديسمبر بأكمله ، أما العام الهجرى ١٤٢١ فقد كان يسعى حثيثا للوصول إلى رمضان ولم يكن قد أدركه بعد ، حينذاك أصدرت المحكمة العسكرية أحكامها التى كانت صدمة

لكثيرين رغم أنها كانت متوقعة .

امتنعت فى هذا اليوم عن الذهاب للمحكمة العسكرية فقد كنت موقنا بصدور أحكام عقابية وذهبت إلى محكمة مصر الجديدة وقبيل الظهر هاتفنى عبد المنعم عبد المقصود ليخبرنى أن الأحكام صدرت فى معظمها بالإدانة وأن ثلاث سنوات من الحبس شداد غلاظ كانت من نصيب مختار نوح وخالد بدوى ورافقهم فى الثلاث سنوات كل من الدكتور محمد بشر ومدحت الحداد وعبد الله زين العابدين وهشام الصولى وسيد هيكى وأحمد شوقى عماشة وأحمد عبد الرحيم وعاطف السمرى وإبراهيم السيد حسين وعبد البرويل أما إبراهيم الرشيدى ومعه أربعة هم أحمد محمود حسن وأحمد أبو الأنوار ومحمد سعد عليوة وعلى عبد الرحيم فقد نالوا البراءة ... وأن هناك من طالته خمس سنوات هم الدكتور محمد بديع وسعد زغلول العشماوى وأحمد الطوانى ، وسرعان ما توالى على هاتفى المحادثات التليفونية من إخوان مدينة نصر أو غيرها من المناطق ومن أهالى المتهمين الذين حالت ظروفهم بينهم وبين الذهاب للمحكمة لمعرفة تفصيلات الأحكام وكان ما يثير العجب أن الكل كان يستقبل الحكم وهو غير مصدق ... كأنما صدقت الأئدة أن الكل سيخرج من هذه المحاكمة بلا إدانة ، وكان ظنهم أنه إذا حدث وكانت هناك أحكام بالإدانة فإنها لن تتجاوز العام بما يعنى خروج المتهمين من محبسهم لأنهم قضوا بالفعل فى السجن عاما وازدادوا شهرا .

استقبلت الحكم بفطور ظاهرى إلا أننى عقدت العزم على تغيير الخريطة الانتخابية لنقابة المحامين.

### **مباحث أمن الدعوة**

استقبلنا بدايات عام ٢٠٠١ وكانت زياراتى للمحبوسين من الإخوان قد تباعدت وأصبحت تقريبا مرة أو مرتين فى الشهر ، فما يتاح للمحبوس احتياطيا قد لا يتاح للصادر ضده الحكم العقابى وإذا كان من حق المحامى أن يزور موكله أثناء المحاكمة بشكل دورى مستمر لإطلاعه على خطة الدفاع ومناقشته فى تفصيلاتها إلا أن هذا الحق يتبخر فور صدور الحكم وتصبح زيارة المحامى لموكله خاضعة للوائح تكبح جماح هذه الزيارات ، فبدت الأحوال داخل السجن - مع قلة الزيارات التى كانت تبعث قدرا من الحركة والحيوية - وكأن قاطنيها هم فريق من العابدين داخل صومعة هادئة ساكنة

انقطعت علاقاتهم الدنيوية بمن هم خارج الصومعة .  
أما خارج السجن فقد بدت الصورة مختلفة تمام الاختلاف فقد كان الكل يجرى على قدم وساق فى سباق انتخابات نقابة المحامين وكأننا فى ماراثون لا ينتهى أو فى مضمار خيل يقطع أنفاس المتسابقين ، لم يكن المحامون وحدهم منشغلين بالانتخابات ولكن مصر كلها كانت تترقب وتنتظر المولود الجديد حيث كان فى ظن البعض أن المخاض سيسفر عن مجلس قومى يبتعد فيه الإخوان عن سدة المجلس إلا أن البعض الآخر كان على يقين من أن قطار الإخوان مازال يسير بقوة الدفع السابقة وأنه سينجح فى الانتخابات لا محالة ، إلا أن التكهّنات كلها تقريبا بخصوص منصب النقيب كانت تصب فى مصلحة رجائى عطية ، فهذا هو ذا المحامى الكبير يحظى بتأييد الإخوان المطلق رغم صدور أحكام بالإدانة فى قضية النقابيين ، كما أنه فى ذات الوقت يحظى بتأييد الحكومة التى دفعته إلى هذه الانتخابات أو بالأحرى وافقته على فكرة خوضها ، وفوق هذا وذاك فإنه حصد تأييدا واسعا من العديد من المحامين من شتى الفصائل والتوجهات خلال جولاته الانتخابية ، وكاد قمره أن يكتمل يوم الانتخابات ، وفى الناحية الأخرى كان سامح عاشور يحاول لاهثا أن يلحق برجائى عطية ويقترب من موكنه إلا أن المعادلة بدت شديدة الصعوبة رغم أن هناك دائرة من دوائر الحكم راهنت على الفتى عاشور ورأت أنه من الممكن أن يقوم بلجم حصان الإخوان فى النقابة بسبب العداء التاريخى بينهما فى حين أن رجائى لا يحمل هذا التاريخ من العداء فضلا عن أنه كان محاميه الأثير فى قضية النقابيين وهناك تخوف إن نجح أن يضطر إلى سداد فاتورة نجاحه للإخوان مما يمكنهم من أروقة النقابة ويساعدهم على السيطرة على قرارها .

فى خضم تلك الصورة المشحونة بالمنافسة الضارية المفعمة بالمشاعر المتناقضة حدثت تليفونيا عصام سلطان المحامى الذى كان فى يوم من الأيام أحد قيادات الإخوان ثم شارك فى ثورة فكرية وحركية على قيادات الإخوان ومنهجهم الحركى وأسهم مساهمة مؤثرة فى توطيد دعائم حزب الوسط فى المجتمع السياسى ولذلك نال نقمة الإخوان إذ يكفى أنه يمثل عنصرا انشقاقيا ومشروعا فكريا منافسا لحركة الإخوان ومزاحما لها فى وسطيتها .

استفهم منى عصام فى الحادثة التليفونية عن إمكانية دعم سامح عاشور فى انتخابات نقابة المحامين ضد رجائى عطية بحسب أن رجائى تنكب عن وعده الذى قطعه على نفسه من قبل ، وبلا تردد وافقت على هذا الطلب ويعد دقائق معدودات عاود سلطان الاتصال حيث كان قد ضرب موعدا مع سامح عاشور فى نفس اليوم فى جروبى عدلى على أن يكون اللقاء فى تمام الساعة العاشرة ليلا ، كانت الميزة التى تميز جروبى عدلى أنه بدءاً من الساعة العاشرة ليلا يكون قليل الرواد خاصة وأننا فى فصل الشتاء مما يعطى لهذا اللقاء قدرا من السرية والخصوصية .

وفى الموعد المضروب سبقنا عصام سلطان إلى المكان أما أنا فقد ذهبت بعده بهنية وكان فى رفقتى عاطف عواد الذى كان مازال ملتحما بالإخوان لم تنفصم عراه عنهم بعد رغم وسطيته ، وخالد شقير الذى كان مازال فى قلب الإخوان عضوا عاملا ومسئولا عن شُعبة من شُعب مصر الجديدة ، أما سامح عاشور فقد حضر بعدنا مباشرة ومعه المحامى الناصرى البورسعيدى ياسر حسن والذى كان مرشحا للعضوية فى هذه الانتخابات ، والحق أن ياسر حسن كان هو كما علمت فيما بعد فاتحة الاتفاق إذ كان زميلا لعصام سلطان فى الجامعة وعضوا معه فى اتحاد الطلاب ، وقد سمحت أواصر الصداقة فيما بينهما أن يتحدثا سويا بشأن الانتخابات المرتقبة وتطور النقاش فيما بينهما حتى قام ياسر حسن بالتنسيق بين عصام سلطان وسامح عاشور وكان من ناتج هذا التنسيق هذا اللقاء الذى ترتب عليه الانقلاب الكبير ، ذلك الانقلاب الذى دخل سامح بمقتضاه إلى التاريخ بعد أن كاد يخرج من صفحات الواقع النقابى والسياسى .

استمرت الجلسة ساعة من الزمن وقد كنت حريصا غاية الحرص بعد اللقاء على تدوين أحداثه وتفصيلاته ودقائقه فى مفكرتى الخاصة حتى لا تقع أى شاردة من شوارده من ذاكرتى المثقلة بالأحداث أو من ذاكرة الحاضرين ، وفى اللقاء عرض سامح عاشور علينا عروضاً كثيرة لكى نوافق على دعمه ، وكان من عروضه أن يجعلنى بعد نجاحه عضوا بالأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب ويجعل عاطف عواد المسئول الفعلى عن لجنة الشباب بالنقابة !! وعندما انهالت عروض سامح عاشور بدأب ذلك الغريق الذى وجد أمامه فجأة طوق نجاة بعد أن أيقن بالهلاك قلت له بوضوح : دعك يا عزيزى من

تلك الهدايا فما أنت بابا نويل وما نحن زمرة من الأطفال كل ما فى الأمر أننا قد نوافق على دعمك دون مساومة أو مقايضة ولكننا نحتاج بعض الإيضاحات سنطرحها عليك وستجيب عليها فإن راقتنا إيضاً حاتك سندعمك وإلا فلكل منا طريقه ، وكان من البديهي أن يسألنى عاشور عن كنه تلك الإيضاحات ولكننى أرجأته إلى جلسة أخرى حددت له موعداً ومكانها .

وكان اللقاء الثانى بعد ثلاث ليال فى مكتب خالد شقير بمصر الجديدة ، وقد غاب عن هذا اللقاء صديق مقرب منى ومقرب من الإخوان وهو عبد السلام دياب دون سبب - رغم أنه كان أحد الذين قاموا بالتنسيق بينى وبين سامح عاشور - إلا أنه ضم بعض شخصيات من الإخوان الذين كانوا مع مختار نوح فى البدايات وكانوا من أكثر الشخصيات تأثيراً فى استمرار مسيرة الإخوان بنقابة المحامين وهم أحمد ربيع غزالى ، ومصطفى زهران صاحب الصيت الذائع فى العمل النقابى وأحد أشهر الشخصيات النقابية الإخوانية ، فضلاً عن خالد شقير صاحب المكتب وعاطف عواد وعصام سلطان الإخوانى السابق وأحد مؤسسى حزب الوسط ، ومن الجيل الذى جاء عقب هؤلاء ضم اللقاء محمد عبد الفتاح المحامى الذى ينتمى إلى إخوان منطقة الشراعية وكان من القلائل فى الإخوان ممن يحفظون القرآن الكريم وكانت له جلسات يقوم فيها بتدريس أحكام تلاوة القرآن للإخوان وكان فوق هذا خطيباً لمساجد عديدة يسيطر عليها الإخوان الأمر الذى أعطى له نفوذاً نفسياً ودينياً على قطاعات عديدة من المحامين الإخوان ، وكان فى اللقاء أيضاً أحمد حسن جمعة المحامى الإخوانى والذى ينتمى إلى منطقة مصر الجديدة وهو شخصية حركية وفاعلة ومن الشخصيات صاحبة التأثير فى أوساط شباب الإخوان إلا أنه ترك الإخوان بعد هذا اللقاء بعامين إلى غير رجعة ، وجلس مستمعا فى اللقاء أحد المحامين العاملين فى مكتب خالد شقير اسمه عليش وقد كان ينتمى بشكل هامشى للإخوان فقد كانت رتبته الإخوانية هى " مؤيد " ، وضم اللقاء أيضاً ثلاثة من شباب الإخوان من المحامين الذين كانوا يحملون فى نفوسهم وقلوبهم اعتراضات جمة على المنهج السياسى لجماعة الإخوان وموقفهم السلبي من القضية العسكرية التى ذهب نوح وآخرون ضحيتها ، وكانت كلماتهم التى صدحوا بها فى وجه بعض قيادات الإخوان وقتها هى : هل ذهب مختار نوح ومن معه ضحية المحكمة العسكرية

أم أنهم ذهبوا جميعهم ضحية الإخوان؟! ولأن لا شيء يبقى على حاله فقد عاد هؤلاء الشباب بعد ذلك إلى حضن الجماعة بعد أن تم تشديد النكير عليهم وتضييق الخناق على حركتهم ... وكل نفس لها وسعها .

ظل اللقاء مع سامح عاشور منعقدا لثلاث ساعات وكانت بدايته بضع كلمات قلتها عن سبب اللقاء وأهدافه واعتراضات البعض منا على شخص سامح عاشور وتاريخه وريبتنا من وعوده التي يوزعها علينا وعلى آخرين وشكوكنا حول قدراته النقابية ، ثم تركت الحديث للحاضرين فانهاه عليه مصطفى زهران وأحمد ربيع بوابل من الاتهامات منها أنه كان فى تاريخه كله معاديا للإخوان وحجر عثرة فى طريقها ، وأبدى ربيع وزهران خشيتهما من أن يدير عاشور النقابة بعقلية ديكتاتور ويد مستبد - كما قال أحمد ربيع - ودافع عاشور عن نفسه ورفض اتهامه بمعاداة الإخوان بصورة مطلقة وإن لم ينكر اختلافه مع فريق منهم إلا أنه أبدى استعدادة للتعاون المثمر مع أى فصيل مستنير يتبنى خطابا عاقلا ويقبل التعاون مع الآخر وأنه من أجل هذا يمد يده لفريق نوح الذى ذكر أنه أعقل الإسلاميين قاطبة ، أما عن قدراته النقابية فقال وهو يتحسس الكلمات : يجب عليكم أن تمنحونى الفرصة لتحكموا على أدائى أولا ، ثم دخل عاشور سريعا إلى منطقة الوعود وكاد أن يقسم أنه إن نجح نقيبا فسيعطى المساحة الأكبر فى لجنة الشريعة الإسلامية لمصطفى زهران وأحمد ربيع وسيوافقهما على كل المشروعات النقابية التى سيقدمونها سواء كانت معسكرات أو رحلات أو ندوات ، وحاول فى عباراته أن يكون لنا ناعما كألين ما تكون الليونة إلا أن زهران وأحمد ربيع ظلّا على هجومهما الضارى رغم كثرة وعود عاشور وتنوعها ، والحق أنها كانت مواجهة حادة أخرج فيها كل واحد من فريق الإخوان ما فى قلبه إلا أن سامح راوغ وناور ابتغاء كسب تأييد هذا الفريق ، وكان عصام سلطان وعاطف عواد يتدخلان فى كثير من الأحيان لترطيب الأجواء المشتعلة ، وانتهى الجزء الأول من اللقاء على خير حيث بدأ فريقنا - وفقا لاتفاق مسبق بيننا - يطرح عبارات مطمئنة لسامح ، وهنا استطاع الرجل أن يلتقط أنفاسه بهدوء ، وكان الجزء الثانى من اللقاء يدور حول كيفية دعم عاشور، وليس من شك أن الصعوبات الجمة التى كانت تواجه المساجين من الإخوان فى محبسهم دفعتنى إلى استثمار رغبة عاشور فى النجاح كنقيب فى تدليل تلك الصعوبات

عن طريق علاقات عاشور المتعددة فكان أن تحدثت عن ضرورة أن يقوم عاشور بدعم مختار نوح فى سجنه بكافة الوسائل وطلبت منه أن يستخدم صلته بالأمن كى يتم توفير الراحة لنوح والذين معه فى السجن ، ثم أهمية أن يتم إظهار هذا الدعم بعد ذلك فى كافة الأجهزة الإعلامية ونشرها على نطاق واسع فى أوساط المحامين ، وكان مما قلته وقتها : إن هذا التصرف من عاشور سيساعدنا جميعا على اجتلاب الكثير من الأصوات الإخوانية وتوجيهها ناحيتك يا أستاذ سامح فضلا عن أنه سيساعدنا على جر قاطرة المتعاطفين مع الإخوان والمتحمسين لنوح وتاريخه النقابى إلى اتجاهك وبغير هذا لن نستطيع أن نحرك كتلة أصوات الإخوان الجليدية ولو بمقدار خردلة ، كما أننا لن نستطيع اجتذاب أصوات المتعاطفين التى من شأنها وحدها أن تغير نتيجة الانتخابات حتما إلا بهذه الوسيلة .

لمعت عين عاشور من الفرحه ووعد بأن يقدم لنوح والآخرين فى محبسهم ما تتحدث به الركبان ، وانتهى اللقاء بعد أن اتفقنا على التواصل عبر الهاتف وأن ما لا يجب الإفصاح عنه عن طريق الهاتف سيكون توصيله عن طريق عبد السلام دياب الغائب عن اللقاء بغير عذر ودون سبب ظاهرى رغم أننى علمت وقت اللقاء أن دياب كان مع عاشور فى لقاء ما قبل حضوره إلينا ثم اعتذر له عن الحضور معه !! .

ورغم أن اللقاء انتهى وفقا لما نصبو إليه إلا أن قلبى لم يكن مستريحا ، فقد أحسست أن هناك شيئا ما يدور فى الخفاء لا أعلمه ولا أدرى ما هو ، لا شك أن غياب عبد السلام دياب عن اللقاء أصابنى بالدهشة ذلك أنه كان أكبر المتحمسين للاتفاق مع عاشور وقد كان غيابه مثيرا للحنق والغیظ حتى لعاشور نفسه ، كما أنه لم يكن فى الترتيب أن يحضر معنا الأخ عيش المحامى الإخوانى الذى يعمل بمكتب شقيق وكان أثناء جلوسه يتحسس بين الفينة والفينة جيوب الجاكت الذى يرتديه وكأنه يضع فيه شيئا ثمينا .. ورغم أننى طردت الهواجس التى انتابتنى إلا أن هواجسى لم تتوقع أبدا أن يكون اللقاء بكامله مسجلا بالصوت ، لم يدر بخلدى أن عيش كان جاسوسا إخوانيا رصد اللقاء وسجله ثم ذهب بالتسجيل إلى محمد طوسون ، وكان هناك فى الإخوان من صنع جهازا أمنيا يضارع مباحث أمن الدولة هو مباحث أمن الدعوة .

## جستابو الإخوان

وقر فى قلبى أن أخفى خبر تأييد مجموعتنا لعاشور عن مختار نوح ومجموعة الإخوة المحبوسين معه ، فمن ناحية خشيت أن يقوم نوح بالتأثير على من هم معى ليلزمهم أدبيا بعكس اتجاهى ، ومن ناحية أخرى خشيت مغبة هذا التأييد على مختار نوح فيسحب منه رصيده المتبقى داخل الإخوان ، ونقلت لأحمد ربيع ما قر فى قلبى فصدقنى على رأى واتفقنا معاً على كتم خبر هذا المشروع عن جميع الإخوة المسجونين ، ولكن ما تم كتمه عن من هم فى داخل السجون سرعان ما تسرب إلى من هم فى قيادات التنظيم .

فوجئت عصر اليوم التالى للقاء سامح بأحد الإخوة من المحامين من منطقة شرق القاهرة يحضر إليّ فى مكتبى يطلبنى حثيثاً وكأن أنفاسه تكاد تتقطع وأخذ يلومنى ويعاتبنى عن ذلك الذى وصل إليهم فوقع عليهم - كما قال - وقع الصاعقة ، واستطرد حزينا بأن هناك من قص أثر لقائى بسامح وتنصت عليه وسجل - عن طريق جهاز التسجيل - تفصيلات كل شاردة وواردة فيه وحملها حملاً إلى أذن محمد طوسون الذى يزعم توصيلها إلى قيادات الإخوان إلا إذا ذهبت إليه مقدما فروض الولاء والطاعة ، وكان مما قاله أن ما حدث منى يدخل فى باب خيانة القرار الإخوانى وأن من قام بالتجسس قام بعمل مجيد للدفاع عن الدعوة ضد أعداء الدعوة إذ أن عملنا يصنف دعويًا بأنه إعلان بالعداء لا يقبل إلا الإقرار به والتطهر من خطاياہ بالتوبة عند القيادات الإخوانية ، وأضاف منهايا الحوار من جانبه أن ذلك الجاسوس قصاص الأثر - الذى رفض ذكر اسمه لى - فتح هاتفه المحمول فى خط ساخن مع طوسون ليسمع ذلك الأخير فى بث مباشر كل جوانب الحوار وأن طوسون هاله ما سمعه وأنه من هول هذا الاتفاق عقد العزم على أمور يصعب توقع نتائجها لأن فريقنا - كما قال الأخ - بما فعله قد شق عصا الطاعة ، ورغم أن ما قاله لى ذلك الأخ بعث فى نفسى مساحة رمادية من الحزن المغلف بالغضب من أولئك الذين يستحلون الحرام ويتجسسون ويرتكبون المعاصى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا بل وفى ظنهم أنهم يتقربون لله بمعصيتهم هذه التى يرونها كأنها أم الطاعات لأنها تحافظ على كيان التنظيم !! الذى أصبح عندهم مساويا للإسلام وأكد أسمعهم وهم يندنون ليل نهار " أن المحافظة على التنظيم محافظة الإسلام لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " .



لم أرد على الأخ الذى كان حريصا فى ظاهره على أن يعود بى إلى حظيرة الطاعة ، ولم أعقب إلا بقولى ( جزاك الله خيرا ) ثم ختمت بإيماء خفيفة وابتسامة حانقة انطلقت من حشاشات مشاعرى التى أنبأتنى بأن ما يحدث من الإخوان هو علامة فارقة فى تاريخهم فقد انقلبوا من جماعة دعوية إلى مؤسسة أمنية تضارع الجستابو وأن هذا الانقلاب انطلق من قلب الجماعة فقلبها ، وما سُمى القلب قلبا إلا لأنه يتقلب .

وعلى مدار الأيام السابقة على الانتخابات فى مرحلتها الأولى وجدت أمرا عجبا ، فقد أخذ عدد من الإخوان المحامين ممن لم تكن لهم سابق علاقة قوية بـ "محمد طوسون والذين معه " يترددون على مكتبى بشكل مستمر يطلبون منى النصح ويسألوننى عن أشياء متعلقة بالانتخابات ويجادلوننى فى حق الإخوان فى خوض الانتخابات مثلهم مثل أى فصيل سياسى ، وكانت المناقشات تدور بيننا لساعات وأذكر أن هذه التجربة أهدت لى بعض الأفكار التى لم تكن قد تبلورت فى صورتها النهائية بعد ومن هذه الأفكار قلت لأحد الإخوة فى زيارة من تلکم الزيارات حيث جاء يسألنى النصيحة : لا يجوز لجماعة دعوية مثل جماعة الإخوان أن تقدم العمل السياسى التنافسى على العمل الدعوى والعمل الإصلاحي إذ أن العمل السياسى التنافسى يتناقض مع تركيبة الجماعة الدعوية ويتضاد معها وقد ظهر فى العقود الأخيرة أن الجماعة تقدم العمل السياسى التنافسى على العمل الدعوى وتهتم به أیما اهتمام .

فقال وهو يتصنع عدم الفهم : كيف ذلك أنا أرى أننا نقدم الدعوة على أى شيء آخر

قاطعته قائلا : صبرا يا أخى .. دلائل ما أقول كثيرة ، أما الاهتمام بالعمل السياسى التنافسى على حساب العمل الدعوى، فقد أصبح الهم الأكبر الذى يؤرق الفاهمين داخل الجماعة

قال الأخ : ولكن حسن البنا مارس السياسة .

قلت بأناة : إذا كان حسن البنا مارس العمل السياسى وخاض الانتخابات البرلمانية مرتين فى الأربعينيات من القرن العشرين، إلا أنه أدرك مغبة تعريض الإخوان للعمل السياسى، وحاول قدر جهده أن يعيد الجماعة إلى حظيرة "الدعوة" الخالصة ولكن الجماعة لم تترك من وقتها فكرة مزاوله العمل

السياسى فاصطدموا عن طريق مرشدهم الثانى حسن الهضيبى برجال الثورة واعترفت الكثير من كتابات الإخوان بخطأ الهضيبى الأب فى إدارة الأزمة مع رجال الثورة، ثم إذ بحركة الإخوان فى عهدها الجديد وخاصة من بداية عهد حامد أبو النصر تتحول إلى حزب سياسى تنافسى يحمل راية المواجهة الانتخابية ويعادى كل الفصائل والأحزاب السياسية القائمة. قال الأخ وكأنه يناقش : ولكن كيف نترك الانتخابات ؟ المواجهة الانتخابية فى حد ذاتها دعوة .

قلت محاولا إنهاء الحوار : فكرة المواجهة الانتخابية وإن كانت تصلح للأحزاب السياسية، إلا أن الإخوان كحركة "دعوة" "إصلاحية" رفضت أن تتحول إلى "حزب" فى الوقت الذى صممت على "ممارسات الحزب" للسياسة فوقعت فى تناقض واضح وهو التصميم على الثبات على شكل الجماعة ورفض شكل الحزب، إلا أنها سعت إلى الممارسة الحزبية، بما سيتتبعه هذا الأمر من خوض الانتخابات فى جميع المجالات ومزاحمة الحكومات القائمة والأحزاب المختلفة مما يؤدى إلى تأليب هذه الحكومات والأحزاب على الإخوان، والإشكالية الكبرى التى تتفرع من هذا الخلط هو أننا بحسباننا أصحاب دعوة وأصحاب حركة إصلاحية نسعى دائما إلى دعوة الناس للمنهج الوسطى للإسلام وإلى كسب ود الجماهير وإلى مخاطبة النخب السياسية والفكرية بما يقربهم من فكرة شمولية الإسلام ثم إذا بنا فى الوقت نفسه نسعى إلى المنافسة الانتخابية معهم - بما تخلقه من عداوات - وهو ما يترتب عليه، استنفار هذه القوى ضد الدعوة والحركة الإصلاحية ، أنا لا أرفض خوض الإخوان الانتخابات بصفة مطلقة ولكن لماذا خوضها بأغلبية ؟ وما الذى سنستفيد منه من تلك الأغلبية ؟ ألا يكفى أن نخوض انتخابات نقابة المحامين مثلا أو غيرها من الهيئات بعدد محدود لا يزيد على أربعة أفراد فنحقق بذلك معادلة الوجود بالمجلس وكسب ود الفئات السياسية أو النقابية المتنافسة ونبتعد نحن بذلك عن منافسة من ندعوهم ؟

وهنا أبدى الأخ الزائر سخطة ورفضه التام لفكرة خوض الإخوان للانتخابات ، فقلت له معلقا على سخطه وحنقه :

من يريد خوض الانتخابات من الإخوان بأغلبية كأغلبية الإخوان حاليا فى نقابة المحامين إما أنه جاهل لا يعلم أو أنه أحمق لا يفهم وفى كلتا الحالتين

فإنه لا يدرك مغبة عمله على الدعوة

أما أنا فقد كنت سليم الطوية خالى البال عندما كنت أبدي هذه الأقوال ، وكيف لا أكونهما وأنا أتعامل مع من يرفعون شعار ( الرسول قدوتنا ) ؟ كنت لا أدرك وقتها مغبة أفكارى التى أطرحها للإخوان الذين كانوا يسألوننى النصيحة فقد كانت هذه اللقاءات يتم تسجيلها وحملها لمحمد طوسون وكان طوسون بدوره يقدمها للمرشد ليوهمه أننى أقود حركة تحريضية ضد قائمة الإخوان فى الانتخابات .

### هبوب المشاكل

بدأت البشائر عندما اتصل بى الأستاذ فلاح سرور أحد القيادات الكبيرة للإخوان فى منطقة مدينة نصر وطلب على غير عادته مقابلتى لأمر عاجل وبشكل فوري لأمر شديد الأهمية وبعد أن أغلقت الهاتف حدثتنى نفسى أن ريج الجنوب أن لها أن تهب وتنذر بعواصفها العاتية . وحدث ما توقعته فقد أخبرنى الأستاذ فلاح أن هناك شكوى مقدمة ضدى للمرشد الحاج مصطفى مشهور من محمد طوسون وأن الشكوى مؤيدة بالأدلة والمستندات والتسجيلات الصوتية .. واستطرد أن موضوع الشكوى هو تحريضى ضد قائمة الإخوان التى ارتضتها القيادات بالإضافة إلى اتفاقى مع سامح عاشور رغم أن تاريخ عاشور معارٍ للإخوان وأن هذا الاتفاق ينقض اتفاق الإخوان مع رجائى عطية وأن السمع والطاعة مقدمتان على ما سواهما لأن قيمة الفرد تكمن - وفقا لما قال - فى قدرته على السمع وطاعة القيادات .

قلت للأستاذ فلاح بعبارات مقتضبة مبرراتى التى دفعتنى للاتفاق مع سامح عاشور وأكدت أن مسألة الاختيار يجب أن تخضع للقواعد الشرعية وأننى إذا رأيت أن اختيارات المحامين لابد من نقضها فليس هناك من قوة تحول بينى وبين هذا ، وأكدت له أننى لم أحرص أحداً ضد قائمة الإخوان ولكننى فقط كنت أتحذّر عن مبدأ خوض الانتخابات نفسه وجدواه وهذا من حقى ، فلا سلطان لأحد على ما فى قلبى ، ورغم كلماتى الواضحة إلا أن الأستاذ فلاح أخذ يلح عليّ - بطيبة الأخ الذى يريد أن يبعدنى عن المتاعب - فى ترك الأمر كله بل ترك العمل مع المحامين والتفرغ للمنطقة لأن العمل مع المحامين فى تقديره يجعل فى القلب قسوة وقال إن الإخوان فى حقيقة الأمر لا يعتبرون المحامين من الإخوة مهما كانت درجة الأخ منهم لأن المحاماة

تورث صاحبها جدلاً غير محبب ورغبة في الانتصار للرأى ، وأنه لذلك يحتاج جهودى الدعوية فى منطقة مدينة نصر لمرتقى بالعمل التنظيمى فيها وأنه سيسعى بكل قوته هو وإخوانه إلى وأد الشكوى فى مهدها شرط أن أتفرغ له فى المنطقة .

لم تترك كلمات الأستاذ فلاح أثرا فى نفسى ولو بمقدار حصاة وتركته لأذهب إلى لقاء ببعض المحامين من المتعاطفين مع الإخوان وبعض المنتسبين الجدد للجماعة من إحدى المحافظات وكانت هذه اللقاءات تتم بشكل يومى مع قطاعات متنوعة من المحامين لخلق مساحة رفض فى نفوسهم تجاه تأييد الأستاذ رجائى عطية ولتهيئة المناخ لسامح عاشور وكان أنصار موقفى يتزايدون يوما بعد يوم خاصة وأن صحيفة صوت الأمة نشرت قبل الانتخابات بأيام خبر قيام عاشور بحل المشاكل التى كانت تواجه مختار نوح والإخوان المسجونين معه فى سجن مزرعة طرة والتى لم يستطع الأستاذ رجائى عطية التصدى لها أو حلها هو أو غيره .

وللمرة الثانية أتت ريح الجنوب - بعد تزايد الأنصار - بما لم يرد على بال وبما لم يحدث فى تاريخ جماعة الإخوان من قبل .

## الفصل السادس

# إعلان الأحكام العرفية الإخوانية

«شأن بين من يطلب الحق فيخطئه وبين من يطلب الباطل فيصيبه .. الأول خطأ والثاني أصاب ، ولكن خطأ الأول صواب لأنه اجتهد للحق وصواب الثاني خطأ لأنه انتصر للباطل» .

تمت انتخابات المحامين فى مرحلتها الأولى وتأجلت أسبوعا لعدم اكتمال الجمعية العمومية حيث قرر المستشار المشرف على الانتخابات تأجيلها ليوم ٢٤/٢/٢٠٠١ ، وفى صباح اليوم التالى وجدت من يطرق باب بيتى ... كان الطارق هو المهندس أحمد شوشة الذى كان فى وقت سابق عضوا معى فى أسرتى الإخوانية حينما كان مسئول منطقة مدينة نصر ثم أصبح فيما بعد مسئول قسم التربية داخل التنظيم عن محافظة القاهرة ... أثارت زيارة أحمد شوشة لى دون سابق موعد دهشتى إذ كانت صلتى به قد تباعدت منذ فترة ليست بالقريبة خاصة بعد أن شغلته مسئولياته التنظيمية التى تدرج إليها وصعد سلالها درجة درجة ولم يعد هناك بالتالى متسع من الوقت للتواصل المباشر بيننا .

كان أحمد شوشة قيادة إخوانية بارعة فى العمل التنظيمى ومتطلباته وبيروقراطيته وقد ارتبط بالمهندس خيرت الشاطر ارتباطا وثيقا مذ كان طالبا فى كلية الهندسة جامعة المنصورة ، وقتها كان خيرت الشاطر معيدا بهذه الكلية وكان قد بدأ يخطو إلى الوجهة الإسلامية ، وبسبب براعة الشاطر وذكائه وثقافته فقد استطاع اجتذاب قطاع عريض من الطلبة إلى ناحيته وكان شوشة من هؤلاء الطلبة الذين تعلقوا بأهدابه ، وتوثقت عرى أحمد شوشة بالإخوان خاصة أن صلات ما قامت بينه وبين عدد من كبار الإخوان بمحافظة دمياط التى ينتمى إليها حيث ارتبط تنظيميا بالحاج أسعد زهران مسئول الإخوان بهذه المحافظة التليدة إخوانيا ، كما أنه - الحاج أسعد زهران - أحد القيادات التاريخية للجماعة وأحد أكثر المرتبطين تنظيميا بالحاج مصطفى مشهور ، وبعد أن التحق شوشة بالإخوان وسبر غورها أصبح من المرتبطين بالشاطر تنظيميا خاصة بعد أن جمعهم منطقة واحدة هى منطقة مدينة نصر ، وبعد أن أصبح الشاطر ملء السمع والبصر وصاحب قرار داخل الإخوان أصبح أحمد شوشة بدوره صاحب مواقع قيادية فيها فأصبح مثلا مسئول منطقة مدينة نصر ثم مسئول قسم التربية عن محافظة

## القاهرة .

أدركت من أول وهلة أن هذه الزيارة التى باغتتنى بها شوشة وراعاها ما وراعاها ، فقلت فى نفسى "وعند جبهة الخبر اليقين " .

أخذ المهندس شوشة فى حديثه معى يطيل فى مقدمات أدركت منها أن هناك مستجدات من شأنها أن تعكر الماء حتما ولكننى تركته يتحدث بلكنته الدمياطية المحببة دون أن أقاطعه حتى صك أذننى بخبره الذى جاء من أجله :

صدر قرار من المرشد يا أخى الحبيب بمنعك من الخروج من بيتك حتى تنتهى الانتخابات .... وساد الصمت بيننا إذ سلب الذهول عقلى للحظة .. ثم ما لبثت الدهشة أن غلبتنى حتى سيطرت على فؤادى ثم انقلبت الدهشة إلى ابتسامة وكادت الابتسامة أن تتحول إلى قهقهة كبيرة ترج حوائط البيت لولا أن غالبت نفسى وتحكمت فى انفعالى واعتصمت بالصمت حتى لا تفضحنى تلك القهقهات المكتومة ، وفى الوقت الذى كنت فيه أغالب ضحكاتى كان المهندس شوشة ينظر إلى وجهى متفرسا عله يرى أثر الخبر الذى ألقاه على سمعى ، وبعد فترة من الصمت استطرد المهندس شوشة قائلا : أعلم يا أخى الحبيب أن هذا القرار ظالم وليس له سابقة فى تاريخ الإخوان وأنا وكل إخوانك فى مدينة نصر يرفضونه لكننا جميعا لا نملك شيئا إزاء هذا القرار ولا نستطيع إلا السمع والطاعة .. ثم أردف وكأنه يبرر القرار : ماذا نفعل فى إخوانك من المحامين لقد أوصلوا للحاج مصطفى أنك كنت تحارب قائمة الإخوان ، وقالوا له أن هذه الحرب من شأنها أن تؤثر فى نجاحهم وأنت تعلم أن الحاج مصطفى مريض وليس فى إمكانه أن يتحمل الإلحاح وتحت ضغط بعض الإخوة أصدر هذا القرار ...، وأكمل قائلا : كلنا يعلم أن هناك فى الإخوان من ارتكب موبقات تنجس البحر المتوسط ومع ذلك لم يصدر ضده مثل هذا القرار ، ولكننا نريد هنا فى منطقتنا أن نضرب المثل على الالتزام ونثبت لإخواننا وقادتنا أننا نسمع ونطيع حتى ولو كان القرار ظالما ... وأنت ستضرب لنا جميعا المثل وستكون قدوتنا فى السمع والطاعة وتنفيذ هذا القرار خاصة وأن مدته ستة أيام فقط ... وكلنا يا أخى الحبيب يثق فى أنك ستساعدنا بحسن طاعتك على أن نرد كيد إخوانك من المحامين .

واستطرد يشجعنى على الطاعة : أذكر يا أخى أننى سمعت قولاً من أسياسى فى الإخوان ظل ساكنا فى فؤادى بل اتخذته دستور حياتى هو ...

الأخ بين يدي مرشده كالميت بين يدي مغسلة يقلبه كيف يشاء ... وليدع الواحد منا رأيه فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه .  
اختلطت في قلبي مشاعر متنوعة إذ فكرت أن أقول له مالى ومالكم ... كيف طاوعنى عقلى أن أنضم لجماعة هذا هو تفكير قائدها الأعلى !!!  
راودتنى نفسى أن أقول له قل لمرشدك أنه حوّل الجماعة إلى تنظيم خاص وأنه أن لى أن أمد قدمى لأترككم تنهلون من عسكريتكم التى قلبتم بها وجه الجماعة ... أف لكم وما تتبعون... إلا أننى طردت كل ما اعتمل فى فؤادى حيث حدثتنى نفسى قائلة : فلاسايره للنهائية حتى أرى ما فى جعبتهم .... ثم قلت له بصوت خفيض وأنا أصطنع الهدوء : ولكننى أعمل يا أخى الكريم فى المحاماة ولى مكتبى الذى يجب أن أذهب إليه يوميا وعندى العديد من القضايا التى يلزم أن أتابعها وأحضر جلساتها بنفسى وهذه القضايا هى محض مصالح لعامة ناس ارتبطت معهم بعقود والقرآن يحضنا على الوفاء بالعقود فالله سبحانه وتعالى قال لنا فى كتابه الكريم ( أوفوا بالعقود ) فكيف أنقطع عن هذا وكيف لا أذهب إلى عملى الذى هو مصدر دخلى وقوتى وقوت أولادى فذهابى فقط للمكتب يضمن لى دخلا ماليا من الاستشارات أعتبره هو الأساس عندى ؟ أيعقل هذا !! .

احتار المهندس شوشة بطيبته المعهودة فى الجواب ولكنه أمسك بالهاتف واتصل بالمهندس ممدوح الحسينى الذى كان وقتها مسئول منطقة مدينة نصر وطلب منه أن يستأذن الحاج مصطفى مشهور فى أن أذهب فقط للمكتب ولجلساتى فى المحكمة ، إلا أن الحاج مصطفى مشهور لم يأذن رغم وجاهة الطلب إذ كان يتصرف وكأنه الحاكم والقائد الأعلى تجاه أحد الجنود الذين خالفوا قواعد العسكرية الصارمة .... وهنا عادت ذاكرتى القهقرى عندما كنت أخطو قدما فى سلك الإخوان أنا ووجودى بمنطقة الزيتون فى النصف الثانى من الثمانينيات عندما تم التحقيق مع الأخ عمر التلاوى - وقد كان وقتها مسئولا عن إحدى الشعب الإخوانية - لأنه تجرأ وخرج عن أوامر قيادات منطقة شرق القاهرة التى كانت تلزم الجميع بالتصويت للحاج مصطفى مشهور فى انتخابات شورى الإخوان!! مع أن فلسفة الانتخابات تقوم على الاختيار الحر لا على التكليف والأمر وإلا فقد التصويت قيمته .. ونظرا لأن الأخ قد صدق أن التصويت يتم بشكل حر فقام بإعطاء صوته لآخر كان يرى



أنه يستحق أكثر من مصطفى مشهور فكانت الطامة الكبرى وتم وقفه لمدة عام وتجريده من درجته الإخوانية .

وتذكرت الأخ فوزى الجزار المحامى رحمه الله الذى كان شخصية إخوانية لها حضورها الطاغى والمؤثر فى منطقة إمبابة وكان عضوا بمجلس نقابة المحامين الفرعية بالجيزة .. وحدث أن قامت زوجته فى جلسة مع الأخوات بانتقاد تصريح سياسى للحاج مصطفى مشهور فوصل الانتقاد عن طريق الجاسوسات لقيادات الإخوان التى طلبت فى أمر صارم تجرد من المشاعر من الأخ فوزى تطبيق زوجته التى خرجت عن جادة الصواب وانتقدت الحاج مصطفى فى جمع من الأخوات !! وعندما رفض الأخ ما طلبوه قامت الجماعة بفصله وحاربته فى رزقه وأمرت كل الإخوان بسحب قضاياهم من مكتبه ... (وبعد خمس سنوات مات فوزى الجزار كمدا يتجرع جحود الإخوة ... وقد كان هذا الجحود عنده - كما قال لى قبيل وفاته - أشد قسوة عليه من مرض السرطان الذى نخر فى جسده ... ما زلت أذكره وهو يتجرع الحسرة فى نزع الأخير .. حينها قال لى وهو يغتصب ابتسامة مجهدة : وظلم نوى القريبى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند ... وبعدها بأيام فاضت نفسه ) .

توالت هذه الذكريات على خاطرى أثناء مفاوضات الإخوة مع الحاج مصطفى مشهور ... وأخيرا قبل الرجل أن أذهب للمحكمة فقط بون المكتب فقد أقنعوه أن عندى قضايا هامة يستحيل تركها فوافق بشرط أن يرافقتنى أحد الإخوة فى الذهاب للمحكمة والإياب منها ، وأذن الحاج أيضا - رحمه الله - تكرمة منه أن أخرج من بيتى لصلاة الجماعة على أن يكون ذلك بالمسجد القريب من بيتى !! ، ومن عجب أننى علمت فيما بعد أن قرار حظر الخروج ومنع التجول كان خلفه اثنان من العقلات الأكاديمية العلمية فى الجماعة من المتخصصين فى علم الجيولوجيا هما الدكتور محمد حبيب والدكتور رشاد بيومى أعضاء مكتب الإرشاد !! فهل للجيولوجيا وفروعها علاقة بهذا القرار العسكرى !! هذا أمر ينبغى أن يخضع لتحليل وتنقيب .

لا شك أن هذا القرار العرفى وفقا للناظر فى تاريخ الجماعة هو أعجب وأغرب القرارات التى صدرت فى تاريخ الإخوان ، ومن قدر الله أن كان هذا القرار من نصيبى تلقفته كما أتلقف كرة ملتهبة من النار إلا أن هذه الكرة

النارية أكدت لى بما لا يدع مجالا للشك أن الجماعة انقلبت إلى وجهها الذى كان مستترا عنى وعن كثيرين غيرى ، كنت قد دخلت الإخوان من أجل نهج دعوى دون أن أحفل ببعض مظاهر تنظيمية تحض على الطاعة إذ ظننت - كما ظن غيرى - أن الفهم مقدم على الطاعة وأن الطاعة هى طاعة محبة لا طاعة عسكرية وأن العمل الدعوى يشفع طاعة منزوية فى قاع الجماعة ، وكفى أن الدعوة تغلغل فى شرايين الجماعة إذ كان ظنى أنها جماعة مدنية .. وأظن أنها كانت كذلك إلى أن سيطر عليها ذلك الفريق الذى قال عنه الدكتور السيد عبد الستار المليجى - القيادى الإخوانى البارز - فيما بعد ( إنهم مجموعة خطفت الجماعة ) ، وقال عنهم المهندس أبو العلا ماضى ( الإخوان طائفة تم خطفها من أفراد التنظيم الخاص )

كان إعلان الحكم العرفى الصادر بمنع من التجول لمدة ستة أيام داعيا إلى تعقيب وتنويه المفكر الإسلامى الدكتور محمد سليم العوا فى جريدة الأهرام إذ كتب يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٨/٣/٥ وهو يحلل نتيجة انتخابات نقابة المحامين «وقد وقف تيار إسلامى كله بثقله.. وتنظيمه الحكم.. فى أوساط المحامين يؤيد الأستاذ رجائى عطية.. وحين تصرف بعض المحامين المنتسبين إليها فى الجولة الأولى على غير مقتضى موقفها المعلن .. طُلب منهم وامتثلوا !! أن يعتزلوا الناس كافة فيما بين جولتى الانتخابات، ويلزموا بيوتهم حتى لا يؤثر سلوكهم فى موقف المحامين الآخرين من الجماعة نفسها».

أسرعت إلى الدكتور توفيق الشاوى أستشيريه وأبته لواعج نفسى وأحكى له ما حدث من جماعته أو بالأحرى ما حدث من جماعتنا ، وكنت قد ذهبت إليه قبل وبعد انتهاء المحاكمات العسكرية عدة مرات ووجدت منه استنارة فريدة وحكمة بالغة وسعة أفق ، إلا أننى انقطعت عنه منذ آخر زيارة لفترة طويلة لم أره فيها ولم أتحدث معه ، وعندما تصاعد دخان الأحداث وصدر المنع من التجول تحرقت شوقا لإخباره بالمستجدات حتى أن سيارتى كانت تستبق الزمن وأنا فى الطريق إلى بيته وكأنها مثلى تتحرق شوق له ، أنصت الدكتور بعمقه المعهود ثم قال : كاد الهلع أن يصيبنى من هول ما سمعت.. يحدث الآن ما تخوفت منه يا بنى .. لقد تم عسكرية الجماعة رغما عن أنفها .. ثم تتم قائلا بصوت مبجوح : وكأنما لم يكن لدى شك أن الجماعة على يد

الحاج مصطفى ومن هم على شاكلته الفكرية فى طريقها إلى العسكرية ..  
فهكذا نشأ الرجل وعلى هذا جبل هو وهم .

قلت له وأنا أضغط على الحروف بصوت خفيض يكاد يرتعش من التوتر:  
ولكن ألا يوجد فى الجماعة من يقف ضد هذه العسكرية ؟ أليس فيهم رجل  
رشيذ ؟

قال الأستاذ وقد استصحب فى قوله سنين خبرته وتجربته : لن يتمكن  
الإصلاحيون من الوصول إلى ما نصبو إليه إلا إذا حل جيل محل جيل وهذا  
أمر يصعب تحقيقه مع تلك المعادلة الفكرية التى اجتاحت قلب الجماعة ...  
ليس فى طوق أحد الآن أن يجرى تعديلا بالشكل التنظيمى المتعارف عليه ...  
نحتاج يا بنى إلى ثورة تنظيمية وفكرية.. ثورة تعيد الجماعة إلى قلبها  
الأصلي

قلت بشغف : أتقصد ثورة يقودها جيل الشباب من أجل أن يصل إلى  
المقاعد العليا .

قاطعتنى : ليس الشباب هنا مرحلة سنية ولكنه نمط فى التفكير ومنهج  
وعقيدة .. فأولئك الذين تقصدهم غرسوا مفاهيمهم الدخيلة فى عقول الأجيال  
الجديدة فأصبح الجديد كالقديم وكأنك تقلب الجورب على وجهه الآخر ولكنه  
ما زال هو هو نفس الجورب .

نظرت إلى برواز معلق على الحائط الأمامى يحتوى على صورة نادرة  
للشيخ حسن البنا وأطلت النظر فيها ثم قلت له : ألم ينشئ حسن البنا ذلك  
النظام الخاص الذى أفرز تلك النوعية التى تقصدها والتى عسكرت الجماعة ؟  
قال الأستاذ : من الظلم لحسن البنا أن نجعله قديسا لا يأتيه الباطل من  
بين يديه ولا من خلفه فلقد أخطأ البنا فى أشياء كثيرة إلا أن من كتب تاريخ  
الإخوان من جماعتنا كتبوه بعقلية المريد لا بعقلية الباحث لذلك تكرر الأخطاء  
... البنا أخطأ لاشك فى مسألة التنظيم الخاص وقد اعترف لى وآخرين قبل  
موته بهذا الخطأ وقال ( لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أنشأت النظام  
الخاص ) .

قاطعته بأدب : وأين يكمن الداء الآن يا أستاذى ؟ لا أظن أن الجماعة فيها  
تدريبات عسكرية الآن .

عادت إليه الابتسامة وهو يقول : ليست العسكرية هى التدريب على السلاح

ولكن العسكرية نمط فى التفكير وآلية فى الإدارة وآيات العسكرية كثيرة .  
قلت له وأنا أرشف الشأى : مثل ماذا ؟

قال : دعك من قرار منعك من الخروج من بيتك فهذا كشف عن الداء  
العسكرى الذى أحاط بالجماعة ، ولكن قرار حظرك هذا لم ينشئه .. آيات  
العسكرية يا عزيزى تظهر قبل هذا وذاك فى انعدام قنوات الشورى داخل  
الجماعة ، واختفاء الحوار الجاد ، وإفراغ الساحة الداخلية لمن يقدمون الولاء  
العاطفى فهؤلاء وحدهم هم أصحاب الحق فى الترقى ، مما منح الفرصة  
لنماذج انتهازية خالية من أى قدر من الكفاءة لكى يكون لها موقع الصدارة  
فى الجماعة فى كافة التشكيلات، وهامهم أولاء يمنعونك من الخروج من بيتك  
لأنك اختلفت معهم فى الرأى .

قلت مؤكدا : أرى أيضا يا أستاذنا الحبيب أن الشكل التنظيمى يقترب من  
الأشكال العسكرية فعندنا قيادة و جنود ، كتائب و مخيمات ومعسكرات، و  
مفاهيم ترفع من شأن الطاعة والثقة وكأنا جحافل من الأمن المركزى .. فهل  
الأمر بحاجة لهذه العسكرية؟ هل نحن فى مواجهة مع استعمار ؟ لسنا يا  
سيدى الأستاذ كتائب شبه عسكرية المفروض أننا جماعة مدنية دعوية فكرية  
ولن نحصد من العسكرية إلا القمع والمواجهات الأمنية والاستغراق فى  
خصومات لا طائل من ورائها، ولم نعد قادرين على تحمل كلفتها الباهظة .

قال الأستاذ معقبا : لقد قال لهم المرحوم محمود عبد الحليم (١) مثل ما  
تقول الآن وكان جزاؤه الإبعاد عن أى موقع وكان التلمسانى رحمه الله يؤمن  
بهذا ولكنهم أحكموا الخناق على الجماعة واستلبوها لأنفسهم ، وأنا نفسى  
أين ترانى ؟ رغم تاريخى وسبقى فى الجماعة إلا أننى أجلس فى ضفة وهم  
يجلسون فى ضفة أخرى وما ذلك إلا لأننى أوأمن بغير ما يؤمنون به ... أنا  
صاحب عقلية مدنية وهم أصحاب عقلية عسكرية ... وهنا اختنق صوته أو  
كاد وقال وهو يحاول أن يرفع صوته : هاهى الأيام تؤكد أن الجماعة قد تم  
خطفها وعسكرتها .

---

١- الأستاذ محمود عبدالحليم كان من الرعيل الأول للإخوان المسلمين وكان رفيقاً لحسن  
البنا وكان صاحب فكرة شعار الإخوان المسلمين وله المؤلف المعتمد من الإخوان فى التاريخ  
للجماعة إلا أنه فى آخر حياته كان قد ابتعد - أو أبعد - عن مهامه ومواقفه التنظيمية لأنه تبنى  
أفكاراً تخالف أفكار مجموعة القطبيين التى أحكمت سيطرتها على الجماعة.

بعد انصرافى من عند الدكتور عقدت العزم على رفض قرار حظر التجول إذ ليس هناك مبرر يدعونى إلى قبول مثل هذا الاستبداد .. إلا أن اتجاه تفكيرى تغير عندما أخبرنى أحد أصدقائى من المحامين الإخوان عن أمر نوى أن يفعله محمد طوسون ، فقلت فى نفسى أن للرمح أن يرتد إليهم ..... وفى المساء ذهبت للمهندس ممدوح الحسينى فى مكتبه الهندسى بمدينة نصر وكان عنده وقتها المهندس أحمد شوشة وقلت لهما بعد أن أضمرت ما فى نفسى : سأطيع القرار وسأنفذ ما طلبتما منى فاستبشرا خيرا وقبلانى .

### أصبحت فى الإخوان من أهل الخطوة

كان صبح اليوم التالى قد أوشك على الرحيل حيث بدأ فى سحب بساطه الذى تغلفه برودة محبة ولم تكن الشمس قد توسطت السماء بعد حينما أمسكت بالهاتف وحدثت المهندس ممدوح الحسينى :  
أخى الكريم أريدك أن تمر عليّ بالبيت لأمر غاية فى الخطورة ،  
— على الرحب والسعة أخى الحبيب سأمر عليك إن شاء الله قبل صلاة العصر ولك أن تتحدث معى بما شئت ثم سنذهب بعد حديثنا لصلاة العصر فى مسجد موسى بن نصير القريب من بيتك إن شاء المولى عز وجل .  
— جزاك الله خيرا

وسرعان ما حضر المهندس الحسينى قبيل موعده المضروب يبدى بحميمية واضحة ومحبة زائدة رغبته فى الاستماع لما عندى .  
نزع المهندس ممدوح الحسينى إلى مدينة نصر من منطقة حدائق القبة حيث كان مسئولاً عنها وما إن حل برحله إلى مدينة نصر حتى أصبح المسئول الأول عنها ، وكان أميز ما يميز المهندس الحسينى أنه يحمل قدراً من العلم الشرعى فقد تخرج من هندسة عين شمس فى أوائل السبعينيات ، ثم سافر إلى المملكة السعودية للعمل وهناك التحق بالإخوان وعاد إلى مصر ليلتحق بعد ذلك بالأزهر الشريف ويتخصص فى أحد العلوم الشرعية وبذلك جمع بين تخصصين ..... الهندسة والعلوم الشرعية ، ولم تمر أشهر على عودة الحاج مصطفى مشهور من خارج البلاد عام ١٩٨٦ بعد خمس سنوات من الغربة حتى استطاع استقطاب العديد من الشباب إليه والذين كانوا معه بمثابة فرسان المعبد ، كان المهندس ممدوح الحسينى هو أحد هؤلاء الفرسان

من الشباب الذين تقاطروا خلف مشهور يرفعون سيوفهم التنظيمية في مواجهة كل من يريد أن يقوض أركانهم .

بعد عبارات الترحيب المعتادة قلت للمهندس الحسينى وأنا أقدم له كوب الشاي وقطعة الكيك : لقد عرفت من بعض إخوانى من المحامين الإخوان أن محمد طوسون ومعه بعض الإخوة المحامين من فريقه سيقدمون عقيب الانتخابات شكوى جديدة ضدى للمرشد وسيدعون فيها أننى خالفت قرار الحاج مصطفى المتضمن منعى من الخروج من بيتى وسيزعمون أننى خرجت وذهبت للنقابة يوم الانتخابات ووقفت أدعو ضد قائمة الإخوان !! فماذا ترى يا أخى ؟ .

أمسك المهندس الحسينى كوب الشاي بيد مرتعشة وكان رعشته تعبر عن ضجره من هذه القصة التى أقصته فيها القيادات دون حول ولا قوة منه ... إلا أنه قال وهو يتصنع الحكمة : إنك تتحدث عن أمر مستقبلى فى عالم الغيب حيث لا يستطيع أحد أن يجزم به ولا أن يؤكد وقوعه ولا أظنهم سيفعلون ذلك إلا إذا خالفت القرار بالفعل ، هم فى الأول والآخر إخوانك ولا يبتغون إلا صالح الدعوة فلماذا سيتعقبونك بالشكاوى ؟ أراك مغاليا فى توقعاتك يا أخى الحبيب .

قاطعته قائلا : هذه ليست توقعات ولكنها معلومات .. ثم أردفت : ومع ذلك سأقترح عليك اقتراحا — تفضل

— أظن أن الشكوى التى أعرف يقينا أنهم يعدون لها من الآن سيتم تقديمها للمرشد وستكون عن مخالفتى للقرار فى يوم الانتخابات ، والمسألة بسيطة يا أخى أقترح أن أقضى معك يوم الانتخابات فى مكتبك الهندسى من الصباح باكرا وحتى آخر الليل حتى تكون شاهدا بعد الله سبحانه وتعالى على موضع وجودى فى يوم الانتخابات، فإن تقدموا بشكوى سيتضح للجميع أنهم يكذبون كما يتنفسون ، وقتها سأطلب حقى منكم جميعا ، وإن لم يتقدموا بشكوى كما تظن فلن نخسر شيئا يكفينى شرف الوجود فى معيتك فى هذا اليوم .

لم يكن أمام المهندس الحسينى إلا أن يوافق على الفكرة فوراً إلا أنه أضاف اقتراحا بأن أنوى الصيام فى هذا اليوم وأكمل قائلا: إن الصالحين

من عباد الله سبحانه وتعالى يحاربون المعاصى بالطاعات وما يحدث فى نقابة المحامين بينكم الآن هو من أعلى المعاصى ولذلك يجب أن نتزود بالطاعة ثم استطراد : سنفطر معاً فى هذا اليوم ثم نستمر فى المكتب لصلاة العشاء على أن نصلى مع مجموعة من الإخوة سيحضرون لمكتبى آنذاك ثم سيمكثون معى بعد انصرافك لبعض شأنهم التنظيمى .

وأضاف أنه سيقوم بإبلاغ المرشد بخبر هذه الفكرة حتى يستأذن منه فى خروجى من البيت يوم الانتخابات للمكوث معه إذ تقتضى القواعد أن يتم الحصول على موافقة المرشد لإضافة هذا الاستثناء .

كان لا بد مما ليس منه بد ، رغم أننى كنت قد عقدت العزم على أن أخفى الأخبار عن مختار نوح وعن باقى الإخوة فى محبسهم إلا أن تطور الأحداث دفعنى إلى كتابة خطاب يحتوى على كل التفاصيل كبيرها وصغيرها واستطعت بطريقتى الخاصة أن أرسل له هذا الخطاب بعيداً عن أعين الرقيب الأمنى داخل السجن وقد احتوى خطابى على شرح تفصيلات قرار المرشد بمنعنى من الخروج من البيت لأسبوع ثم شرحت مبررات قبولى للقرار وأضفت فى نهاية الخطاب ذلك الذى انتويته بقضاء يوم الانتخابات فى مكتب المهندس ممدوح الحسينى وشرحت الأسباب التى دفعتنى لاتخاذ هذا القرار .

### وجاء يوم الانتخابات...

كان شهر فبراير فى هذا العام يُعبر عن فصل الشتاء خير تعبير وكأنه ممثله الشخصى ومندوبه السامى إلا أن يوم الرابع والعشرين منه كان كريماً كأجود الكرماء إذ لم يرد أن يخوض المحامون غمار انتخاباتهم فى جو بارد فأرسل فبراير سراح أشعة الشمس فى هذا اليوم ليصبح الجو دافئاً جواداً ولعل بعض دفئه انبثق من سخونة تلك الانتخابات التى اشتعل أوارها فى نقابة المحامين .

وما إن ظهرت تباشير الصباح ترفل فى السماء حتى أخذت مصحفى وذهبت إلى مكتب المهندس ممدوح الحسينى الذى لم يكن قد حضر بعد ، وانشغلت بقراءة القرآن إلى أن حضر الرجل فأخذنا نتجاذب أطراف الحديث ثم تركنى وانخرط فى أعماله أما أنا فقد شغلت وقتى طوال اليوم بقراءة القرآن ، وعند أذان المغرب صلينا جماعة مع بعض الإخوة حيث شاركنا

بعضهم فى طعام الإفطار وكان منهم الأخ صادق الشرقاوى الذى تم حبسه فى وقت لاحق فى القضية العسكرية التى حُبس فيها خيرت الشاطر والمعروفة بالقضية رقم ٢ لسنة ٢٠٠٧ ، وبعد صلاة العشاء جاء الخبر اليقينى بأن الاقتراع فى النقابة قد انتهى وأن لى أن استرد حريتى وأن أغادر المكان فقد انتهت بانتهاء الاقتراع مدة الحظر وانقضى سبب منع التجول وأصبح من حقى أن أخرج كما أشاء وأمارس حياتى كما يحلو لى .

نجح سامح عاشور نقيباً للمحامين ونجحت قائمة الإخوان بأكملها !! فأصبح عاشور نقيباً بلا مجلس وأصبح المجلس مجلساً بلا نقيب فقد بدأ الشقاق بين الفريقين وكانهما فريقان يختصمون .

وبعد يومين طلبنى المهندس الحسينى حثيثاً واستسمحنى فى زيارته بمكتبه فذهبت إليه بعد أن كنت قد وليت وجهى صوب مكتبى .

وما إن شاهدنى أدخل عليه حتى بادرنى قائلاً : حدث ما تخوفت منه  
— كيف ذلك

: تقدم طوسون ومعه آخرون من إخوانك بشكوى ضدك قدموها للحاج مصطفى مشهور

— يا الله وماذا قالوا فى شكواهم ؟

: الذى توقعته أنت ... قالوا إنك خالفت القرار وخرجت من بيتك يوم الانتخابات وذهبت للنقابة ووقفت تدعو ضد قائمة الإخوان وأن بعض الإخوان حاولوا مناقشتك للعدول عن مسلكك إلا أنك رفضت الاستماع لهم .

— الحمد لله بهذا يا أخى الحبيب ظهر الحق عياناً بياناً وأظن أن الحاج مصطفى عرف يقيناً أن شكواهم كاذبة فقد كان يعلم أنى فى معيتك يومها .

قاطعنى الرجل قائلاً: مهلاً يا أخى فهناك أكثر من ذلك  
— ما هو ؟

: لقد أحضروا شهوداً من الإخوان المحامين - أحدهم صار عضواً بمجلس النقابة - يشهدون أنهم رأوك فى النقابة وناقشوك فى أمر دعايتك ضدهم وقد شهد هؤلاء بهذا فى حضرة الأستاذ مأمون الهضيبي نائب المرشد وأقسموا على صدق شهادتهم

قلت ضاحكاً: لا أظن أننى من أهل الخطوة أو أن لى قدرة على الوجود فى مكانين فى آن واحد فالقدرة لا تتعلق بالمستحيل



فبادلنى الضحكات وقال فى كلمات حاسمة : والله لن أتركهم وسيلقون غيا  
( وغياً هو واد فى قعر جهنم )  
كان ظاهر الأمر يوحى بأن أمواج اليم العاتى قد سكنت إلا أننى لم أكن  
أعلم وقتها أن بحر الإخوان يخفى العجائب التى لا تنفذ والتى لا يمكن أن  
ترد على قلب بشر .

## الزيارة فى العبارة

كان يوم الجمعة الذى جاء يتهادى بعد يوم الانتخابات يوماً غير عادى ،  
فقد تم فتح أبواب سجن طرة لتدلف إلى داخله سيارة مرسيدس فضية اللون  
تحمل فى داخلها شخصين يرتدى كل منهما نظارة سوداء ، أما الشخص  
الأول الذى بدا طويل القامة مشربب العنق ذا شعر رمادى فقد كان سامح  
عاشور الذى أصبح نقيباً للمحامين ، وكان الشخص الثانى الذى بدا مكتنزاً  
بعض الشيء .. أبيض الوجه بحمرة تداعبها خصلات شعر أشقر فقد كان  
عاطف عواد .

وقفت السيارة أمام سجن ملحق مزرعة طرة الذى يقضى فيه الإخوان  
عقوبة الحبس فى قضية النقابيين ، وأمام السجن كان فى انتظارهما ضابط  
أمن الدولة الذى هش لاستقبالهما واحتفى حفاوة خاصة بنقيب المحامين  
الجديد ثم قادهما إلى داخل السجن من أجل زيارة خاصة شديدة الأهمية  
ليس من أجل موضوعها ولكن من أجل أصحابها فالزائر هو سامح عاشور  
نقيب المحامين ورفقته عاطف عواد الإخوانى السابق والوسطى الحالى أما  
المزور فهما مختار نوح وخالد بدوى وهما من هما ، كان عاشور يحمل فى  
يده علبة كبيرة تحتوى على تورته قام بتقديمها لنوح وخالد بدوى احتفالاً منه  
ببناجه العسير ، ودار حوار طويل بينهم حكى فيه عاشور تفاصيل المعركة  
ودقائقها وكان خالد بدوى حريصاً فى كلماته على أن يؤكد لسامح عاشور أنه  
لولا ثروت الخرباوى ومن معه لما نال عاشور نجاحاً أو فلاحاً ، وعاشور بطبعه  
كان يقلل من أهمية دور هذا الفريق قائلاً : لقد منعه يا مولانا من الخروج  
من بيته .

ولكنما كان لسان حال عاشور يصرخ ( إنما أوتيته على علم عندى )  
وكأن هذه العبارة هى سبب حضوره ليؤكد أنه غير مدين لأحد .

فبادره خالد بدوى بكلمات عربية فصيحة وهو يطرق إلى الأرض :  
والله الذى نفسى بيده إن جهد ثروت الخرباوى وعاطف عواد ومن كان فى  
ركابيهما كان هو الأمر الفارق فى الانتخابات ولا يستطيع أحد أن ينكر ما  
تعرض له الخرباوى من مضايقات من أجل دعمك وقد كنت أنا وإخوانى هنا  
فى السجن ندعو له ونبارك عمله نحسبه من المخلصين والله حسيبه ولا نركى  
على الله أحدا .

وظل خالد بدوى لا ينى يكرر مثل هذه الكلمات يرد بها على عبارة عاشور  
التي كانت هى السبب الباطنى للزيارة رغم أن الواقع يثبت أن من فى السجن  
لم يكن لهم أى شأن بالتفصيلات التي استجدت فى المعركة فلم يكن لهم علاقة  
من قريب أو بعيد بوقوفى مع عاشور ضد رجائى عطية ، بيد أن خالد بدوى  
كان يستهدف من باب التكتيك إفهام عاشور أنه لم ينجح إلا برعاية ودعم  
وأمر المساجين من الإخوان وأن ما صدر من ثروت الخرباوى كان بالاتفاق  
مع من هم فى داخل السجن لعل هذا التكتيك يؤتى أكله ذات يوم فى تنسيق  
نقابى أو توفيق بين الأطراف المتصارعة فى النقابة إذ لابد أن يكون أحدهم  
رمانة للميزان أو من فريق الحماثم إذا كان هناك فريق الصقور ، وكثيرا ما  
كنا نستخدم هذا التكتيك مع سامح عاشور فى مرات لاحقة كما كنا نستخدمه  
مع غيره من الطامحين لكرسى العضوية ... هكذا هى السياسة وهكذا هى  
دروبها وطرقها .

لم يكد خبر الزيارة يتسرب حتى اشتعلت الشعلة .. فهذا هو النار تتأجج  
من جديد فى قلب محمد طوسون الذى اعتبرها مؤامرة تضامت مع المؤامرة  
التي اختلفها خياله عن محاربتى لقائمة الإخوان ، وظن الرجل أن مختار نوح  
يتفق وهو فى سجنه مع سامح عاشور من أجل تشكيل هيئة المكتب لمجلس  
النقابة وهيئه له خياله أن هناك تدبيرات محكمة من أجل إبعاده عن أى موقع  
قيادى بالمجلس ، واستمرأ ظنه واعتقد أنني عراب هذا الاتفاق وأنى كنت  
المرافق الثانى لعاشور فى زيارته تلك (!) .

وكأنهم أصبحوا كساعى البريد لا ينفك عن تكرار ما يفعله بشكل يومى بلا  
ملل ولا كلل زارنى الأخ فلاح سرور وأنبأنى أن طوسون قدم شكوى أخرى  
ضدى وزاد فى شكواه أنني اصطحبت سامح عاشور لزيارة مختار نوح فى  
السجن !! وأنى كتبت مقالة فى إحدى الصحف اتهمت فيها بعض قيادات

الإخوان بعقد محاكمات عسكرية لأفراد الجماعة .

ولم يكذ ينتهى من قوله حتى بادرتة قائلا : هذا تخطيط لا يليق ولا ينبغي للإخوان أبدا أن يستمعوا لمثل هذا الكلام وأنا أعجب من أذان الإخوان التى تصغى لهذا بل وتتوخاه .. أليس هناك فى أمة الإسلام والمسلمين ما يستحق اهتمام الإخوان أكثر من القيل والقال الذى نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعاد الأخ فلاح على مسمعى رجاءه الذى استحثنى عليه من قبل أن أتفرغ له فى المنطقة وفى هذه المرة قبلت ... وكأن لسان حالى يقول «مرغم أخاك لا بطل» .

### استراحة المحارب

مع الامتداد العمرانى هجرت منطقة التجمع الخامس الصحراء الجدياء واقتربت شغفا من تخوم مدينة نصر ، وقد ساعد الطريق الممهّد الذى تم شقه يسار (مقابر مدينة نصر ) على سهولة التنقل بين الحيين وكأتهما جسدان متدخلان فى جسد واحد ، ومع طفرة العمران انتقل الكثيرون من إخوان مدينة نصر بل شرق القاهرة كلها إلى منطقة التجمع وكان من المنتقلين ممدوح الحسينى مسئول مدينة نصر ونائبه رفعت الحواط بله بعض أعضاء مكتب الإرشاد وقتها مثل مهدى عاكف ، وكان هؤلاء هم أول من حمل متاعه ورياشه وحط رحاله هناك ، مما دعا قيادات شرق القاهرة فى التنظيم إلى تحويل هذه المنطقة من الناحية الجغرافية التنظيمية إلى شعبة جديدة من شعب الإخوان المسلمين تتبع منطقة مدينة نصر إلى أن تقوى ويشد عودها فتتحول إلى منطقة قائمة بذاتها فى مستقبل الأيام .. وبدأت مدينة نصر تولى هذه الشعبة أهمية خاصة ، ولا غرو فهى شعبة ستشهد سكن مهدى عاكف عضو مكتب الإرشاد الشهير - وقتها - عندما ينتهى من إتمام البناء الذى يشيده هناك ... وستشهد أيضا أموالا سيبذرهما التنظيم على الأراضى والعقارات وسينتظرون غلتها ذات يوم... ويعد أن تكوّن الشكل التنظيمى للشعبة رأى بعضهم أن تقوم شعبتنا بدعم هذه الشعبة الوليدة ، واقترح فلاح سرور أن أقوم بصفتى رجل قانون بإلقاء سلسلة محاضرات قانونية فى الكتائب الإخوانية التى كثر انعقادها فى التجمع لتثقيف الإخوة بما لهم وما عليهم من الناحية القانونية إذا حم القضاء وقُبض عليهم اعتقالا أو على ذمة قضية من قضايا الإخوان العديدة .. وأعددت بالفعل هذه المحاضرات

وجعلتها تدور حول التصرف الذى يجب أن يقوم به الأخ عند القبض عليه أو عند تفتيش منزله وحقوقه القانونية وما ينبغى عليه قوله أثناء تحقيقات النيابة معه أو أثناء استجوابه بمعرفة مباحث أمن الدولة ، وكان يصاحبنى فى هذه المحاضرات الأخ ممدوح الحسينى بحسب أنه مسئول منطقة مدينة نصر كلها والأخ فلاح سرور ، ثم قمت آناء ذلك بإدارة وترتيب عدة كتائب انعقد بعضها فى بيت المهندس ممنوح الحسينى وكان المحاضر فى إحداها الدكتور عبد المنعم تعيلب أحد قيادات الإخوان التاريخية وكان وقتها مسئول منطقة شرق القاهرة كلها أما موضوع المحاضرة فكان عن " تعظيم المحرمات " ، لم يكن الأمر قاصرا على التجمع الخامس وأهله فقط فقد عقدت فى بيتى عدة كتائب للإخوان حضر إحداها الدكتور سيد عسكر الذى كان وكيلا للأزهر الشريف وأصبح فيما بعد عضوا بمجلس الشعب ، وحضر فى أخرى الأستاذ محمد عبد المنعم مسئول الإخوان وقتها بمحافظة الإسكندرية .... وفى ذات الوقت طلب منى بعض الإخوة فى منطقة شبرا الخيمة إلقاء محاضرات عن تاريخ مصر الحديث وقد قمت بتوسيع نطاق هذه المحاضرات وتنقلت بها ومن أجلها إلى العديد من المناطق الإخوانية بالقاهرة والقليوبية ، وانشغلت بمحاضراتى هذه عن المحامين ونسيت أيامهم ولكن يبدو أن هناك من ظل يتذكرنى !! . وعلى حين غرة من الدعة والهدوء عادت السفساسف من جديد .

## الفصل السابع

### مسجونون في قلعة الإخوان

«وكان عمر الإنسان سفينة استوت على الماء لا يملكها إلا من خلقها وبث فيها الحياة ولا يديرها ويوجه دفتها إلا صاحبها ، وكان قلب الإنسان كنز من المشاعر فإذا تألم تأوّه وإذا تأوّه عرف الناس ألمه لكنهم لن يشعروا بقدر الألم الذي يعانيه» .

سجن ملحق مزرعة طرة هو أحد السجون التابعة لسجن طرة العمومي إلا أن له خصوصية تميزه عن باقي السجون وتجعله وكأنه آخر عنقود مصلحة السجون ، فقد ظل قاصرا على استقبال المساجين السياسيين وعلى الأخص مساجين الإخوان المسلمين فضلا عن المساجين من رجال الأعمال والشخصيات ذات الحيثية ، أما من الناحية الإنشائية فهو عبارة عن مبنى فقير فقرا مدقعا من الخارج بحيث أنه يخلو من أى ناحية جمالية معمارية إلا أنه أقرب شبهها لفيلات سكنية أهملها أصحابها وفرطوا فى رونقها حتى أصبحت بالية المظهر... يتكون هذا المبنى العتيق من طابقين كل طابق به عشر حجرات - زنازين - ملحق بكل حجرة حمام خاص لها وتتسع الحجرة الواحدة لأخين بالكاد وقليل من حجراته يتسع لخمسة أفراد على أعلى تقدير...عندما تدخل إلى هذا السجن المنعزل للزيارة تقابلك حديقة كبيرة غناء ازدانت بعدد من الأشجار والمزروعات النادرة التى أضفت على المكان قدرا من الهدوء والثراء الجمالى .. ولك أن تعلم أن مساجين الإخوان - خاصة هواة الزراعة منهم - قد ساهموا فى زراعة العديد من النباتات فى هذه الحديقة وكتب بعضهم اسمه على بعض الأشجار من باب " الذكرى الخالدة " كما قاموا بتحديث الحجرات وتبليطها ودهانها ومد حماماتها بالسخانات وتزويد حجراتها بأجهزة التليفزيون كما أقاموا مكتبة كبيرة اقتنوا فيها العديد من ذخائر الكتب ونفائس المؤلفات ، وقد اعتادت إدارة السجن على جعل هذا الملحق هو السجن المخصص للمساجين الذين صدرت ضدهم عقوبات ، أما سجن المزرعة نفسه فهو الذى يستقبل المحبوسين احتياطيا .

كان نوح ومجموعته من الإخوان قد سيقوا من سجن الاستقبال بطرة - ذلك السجن الذى قضوا فيه فترة الحبس الاحتياطى - إلى سجن الملحق الذى استقر بهم المقام فيه منذ أشهر عقب صدور عقوبة الحبس ضدهم ، ولم يكن من حظى بعد انتقالهم للملحق زيارة أى واحد منهم إلا مرة واحدة يتيمة

حيث زرت فيها مختار نوح وخالد بدوى ، وقد أفصحْتُ فى تلك الزيارة لهما عن لواعج نفسى وشكوت جحودا وقسوة كانت وكأنها دين الإخوة وديدهم ، وحكيت لهما باستفاضة عن تلك المواقف التى واجهتني من الإخوان خارج السجن وجعلتني أبدو فى داخلى وكأننى سجين الإخوان المسجون فى قلعة من قلاع التنظيم ، وعكّرت الماء الذى كان يجرى رائقا رقراقا بينى وبينهم ، وأظهرت لى الوجه الخفى لبعض قيادات الجماعة - ذلك الوجه الذى ما فتئ هذا الفريق يخفيه عن الجميع ويرتدى من أجل إخفائه ألف قناع - ثم انقطعت الزيارات بعد ذلك لفترة إلى أن حدثت فجأة انفراجة فى زيارتى للإخوة فقد استطعت زيارتهم بضع مرات فى شهر يونيو من عام ٢٠٠١ على غير العادة ، وكان هذه الزيارات كانت تعويضا سخيا عن فترة الغياب ... وكل شيء عنده بمقدار .

أصدقكم القول أن هذه الزيارات لم تكن مجردة من الأهداف والغايات ، ولم يكن هدفها بث الشجون والمشاعر ومؤازرة الإخوة فى محبسهم ودعم مشاعرهم ونفسياتهم فقط ، ولكن كان مرامها فى المقام الأول مناقشتهم فى بعض دعاوى قضائية رأينا - أنا وهم - أن أقيمها لهم من أجل الإفراج عنهم . كان أول الغيث الذى تصورنا أنه سيساعدنا هو صدور حكم من المحكمة الدستورية قضى بعدم دستورية نوعية من الجرائم التى كانت مؤثمة فى قانون العقوبات وهى جرائم ( الاتفاق الجنائى ) .. وكان يحدونا الأمل أن ينسحب أثر هذا الحكم الدستورى على القضية التى حبس بموجبها الإخوة فيتم الإفراج عنهم .

وجاء بعد الحكم الدستورى ما يسمى " انقضاء نصف مدة العقوبة " ، وهذا الانقضاء يعطى الحق لرئيس الجمهورية فى الإفراج عن المسجون إذا كان حسن السير والسلوك ، وكنا نترقب مع هذين الأمرين مرور ثلاثة أرباع مدة العقوبة التى تعطى الحق للنائب العام فى الإفراج عن المسجون وإنهاء العقوبة وفقا لشروط تتوافر فى حق الإخوة جميعهم ، وكنت قد أعددت بحثا قانونيا مطولا عن هذا الحق واقترحت عليهم أن أقيم دعوى بخصوصه عندما يحين الحين ويأتى الأجل المحدد .

ولأن الزيارات كانت فى مجملها قانونية ثقيلة الظل - إذ كانت المناقشات القانونية فيها تستغرقنا حتى يضجر منا ضابط السجن ويأخذ فى التثاؤب -

فقد اقتصرَتْ فيها على مقابلة مختار نوح وخالد بدوى بحسب أنهما محاميان وأنتا جميعا سنخوض فى القانون ، وبعد مناقشاتنا المستفيضة طلبا منى الإسراع فى إقامة تلك الدعوى القضائية التى تمخضت عنها أفكارنا بطلب بالإفراج عنهم لعدم دستورية المادة التى تم حبسهم بمقتضاها ، وطلبنا أيضا أن أقيم دعوى أخرى بطلب الإفراج عنهم لمرور نصف مدة الحبس ، وكان خاتمة ما طلبناه أن أضع اسم محمد طوسون على صحف تلك الدعاوى !! وكان هذا الطلب قد أثار امتعاضى إلا أننى وافقت عليه دون مناقشة ، فهذه هى رغبة أصحاب القضية ولا بد أن لهما ضروراتهم ... وأنهى مختار نوح جملة الطلبات قائلا : لا بد يا أخى العزيز أن تحصل على تصريح زيارة جديد لمقابلة كل مساجين الإخوان المحبوسين معنا حتى يكون هناك إقرار نهائى من الجميع يدفعك إلى أن تمضى قدما فى إقامة الدعوى الثالثة التى تتعلق بالإفراج وإطلاق السراح عندما يحين موعد انقضاء ثلاثة أرباع مدة العقوبة .

وبعد أن انتهت الزيارة وذهبت إلى حال سبيلى حدث ما لم يكن فى الحساب وما لم يجر على خاطرى أبدا .

### طارق الفجر

فى الهزيع الأخير من الليل حين سجدى انتظارا لرسل الشمس ، وقبل أن يضع الظلام أوزاره ويهمد خلف قافلة النور ، وقبل أذان الفجر بهمسة انتفضت من ثومى على طرق رتيب على باب بيتى ، لم يكن الطرق ثقيلا متواصلا فينبئ عن طبيعة الزائر ولكنه كان خفيفا رقيقا يدل على أن صاحبه جاء على استحياء كأنه يكاد ينصرف إلى حيث جاء ، وعندما فتحت الباب وأنا أفرك عيني وجدت أن الزائر هو الدكتور حسن عبد الحليم وهو أحد قيادات الإخوان المسلمين فى المنطقة كما أنه فى ذات الوقت نقيب أسرته الإخوانية ، وقد أثارت هذه الزيارة المفاجأة دهشتى واسترابتى التى وصلت إلى حد الجزع .

والدكتور حسن عبد الحليم صيدلانى من جيل الوسط يحمل قلبا رقيقا ومشاعر مرهفة وعاطفة دينية مشبوبة وقد اشتهر بين أقرانه بالالتزام والجدية والدقة المفرطة فى تنفيذ التعليمات التنظيمية ، حيث يعتبر الكثيرون من



الإخوان - وفقا للآلية والمناهج التى تربوا عليها - أن طاعة القيادات والثقة فيهم عبادة لله سبحانه وتعالى ، وكان قد تعود لفترات على التواعد معى كى نلتقى فى صلاة الفجر فى أى من مساجد الحى ، إلا أنه لم يحدث أبدا أن باغتنى بزيارة فى مثل هذا الوقت دون اتفاق مسبق .

ودون أن يدخل إلى الشقة طلب منى الزائر الإخوانى أن أرتدى ثيابى فورا حتى نلحق بصلاة الفجر جماعة فى أحد المساجد بالحى ، وفى سيارتى ونحن فى الطريق إلى المسجد التزم الدكتور حسن بالصمت ولم ينبس ببنت شفة وانشغل بتلاوة أذكار الصباح حتى وصلنا إلى المسجد المنشود ، كانت نفسى قد حدثتنى ونحن فى الطريق إلى المسجد أن هذه الزيارة تبطن أشياء أسرها الأخ حسن فى نفسه ولم ييدها لى وقتها ، وبالفعل صدق حدسى ... فما أن انتهت الفريضة وفرغنا من ختام الصلاة حتى التفت الأخ إلى ناحيتى وقال لى وهو يكاد يهمس : يا أخ ثروت باعتبارى نقيبك فى الأسرة طلب منى الأخ ممدوح الحسينى أن أبلغك بأن هناك جلسة تحقيق ستعقد معك صباح اليوم فى مكتبه الساعة الثامنة صباحا ويجب أن تكون حاضرا فى الموعد المحدد للأهمية .

فقلت له وقد اعترانى العجب واعتورتنى الدهشة : " هكذا فجأة !! أليس من المفترض يا دكتور حسن أن يكون هناك تمهيد ؟ أليس من العدل أن يتم إخطارى قبل التحقيق بوقت كاف ؟ ثم يا أخى الحبيب ما هو موضع التحقيق ؟ ثم استطردت وكأنا أحدث نفسى : " من هذا الذى يملك أن يفتش فى قلبى ويخترق ضميرى ويحاسبنى على ما أعتقد " .

" أملك أحدكم سفينة حياتى حتى يشاركنى فى إدارة قرارى وتوجيه دفة أفكارى " .

" ما هذه القسوة التى جُبل البعض عليها وكأن قلوبهم قدت من الحديد وغُلقت من الصخر " .

" أليس فيهم رجل رشيد ، أم أننا شجعناهم عندما وضعنا بين أيديهم تلك السلطة المطلقة التى كبلوا بها شرايين قلوبنا " .

وضع نقيبى يده على كتفى وكأنا يحنو عليّ وقال بلطف زائد وقلة حيلة بادية : " أنا أتمنى يا أخى أن ينتهى الموضوع على خير ولكن اعذرنى فمهمتى

مقصورة على إبلاغك بالموعد والمكان  
وقد تلقيت التكليف قبل أن أتى إليك بلحظات معدودات فليس لى فى الأمر  
حيلة .

"ثق أن الجماعة كالأم الرعوم لن تخذلك ، وإن خذلتك سنكون كلنا معك .  
" لن يقبل أحدنا أن تتعرض لظلم وإن ظلموك فستكون الجماعة حينئذ قد  
هجرت خيريتها ، وقتها سنهجرها ونغادرها إلى غير رجعة " .  
شكرته باقتضاب وانصرف هو إلى بعض إخوة من شعبتنا كانوا  
ينتظرونه عن قرب وانصرفت بدورى وأنا أحفر فى ذاكرتى عن سبب دفعهم  
إلى إحالتى للتحقيق إلا أن يكون نبشا منهم فى الماضى القريب الذى لم  
يغادر قلوبهم وقبع منتظرا لحظة سانحة.

### محكمة إخوانية

بحجرة مكتب المهندس ممدوح الحسينى حيث تتناثر الخرائط الهندسية  
وتختلط بكتيبات بها أذكار الصباح والمساء وكتب عن تاريخ الإخوان ، فى  
مقر شركته للمقاولات الكائنة فى عقار شاهق بأحد الشوارع الرئيسية بالحي  
الثامن بمدينة نصر كانت المحاكمة وكانت المحكمة.... جلس الحاج جودة  
شعبان رئيس المحكمة بين العضوين ممدوح الحسينى عضو اليمين ومجدى  
عبد الله عضو اليسار ... أما الحاج جودة فهو نائب رئيس منطقة شرق  
القاهرة وهى من أكثر المناطق الإخوانية اتساعا وعددا وأهمية ، كما أنه أحد  
أفراد الرعيل الأول من الإخوان وكان قد حُبس فى قضية "محاولة اغتيال  
عبد الناصر" عام ١٩٥٤ المعروفة بحادث المنشية حيث خضع وقتها لمحاكمة  
عسكرية قذفت به فى السجن سنين عديدة... فقد كان وقتها من رجال التنظيم  
الخاص .... وقد لبث فى سجنه إلى بدايات السبعينيات حين أفرج عنه  
الرئيس السادات مع من تم الإفراج عنهم من الإخوان ... وهو رجل فى  
أواخر العقد الثامن من عمره ، ضامر الوجه نحيل الجسد ، نظارته الطبية  
ذات العدسات السمكية تغطى نصف وجهه تقريبا ، له لحية خفيفة ويرتدى  
حلة صيفية شاحبة اللون ، يبدو من سيماه أنه لم ينل حظا من التعليم -  
توقف عن التعليم قبل الابتدائية - وكان فى مطلع شبابه وسابق أيامه قد  
انخرط فى مهنة الصباغة كعامل بسيط إلى أن تم سجنه فى منتصف

الخمسينيات ثم التحق بشركة الشريف للبلاستيك فى منتصف السبعينيات بعد أن خرج من محبسه إلى أن خرج على المعاش... يظهر من حديثه ضحالة خلفيته الثقافية ومحدودية أفقه ، أما عضو اليسار الأخ مجدى عبد الله فهو متوسط العمر متوسط الطول يميل جسده للامتلاء ، يرتدى حلة صيفية زرقاء تشبه الحلة التى يرتديها أفراد الأمن فى الشركات الخاصة والبنوك ، لم يستطع استكمال تعليمه العالى فاكتفى بالحصول على شهادة فنية متوسطة ، عمل لفترات فى شركة الشريف للبلاستيك إلى أن تقوّض بنائها فهجرها إلى مشروع خاص شاركه فيه بعض الإخوان ، أما وقت المحاكمة فقد كان يشغل موقعا قياديا متميزا فى الجماعة تنوء به وبمسئولته العصبية من الرجال أولى الفهم والإدراك وهو مسئول منطقة مصر الجديدة التى تضم صفوة الصفوة من الإخوان وزبدة مثقفىها ، أما عضو اليمين فهو المهندس ممدوح الحسينى مسئول مدينة نصر .

عندما أُلقيت عليهم السلام بابتسامة موجوعة عاتبت نفسى فى داخلى أو بالأحرى عاتبتنى نفسى وأوجعتنى ... " كيف بالله عليك تقبل هذا العبث المقيت السخيف !!! "

" أنتت مسلوب الإرادة إلى هذا الحد أم أنك تعودت على قيود سجانك حتى أصبح السجن هو الحياة ؟ !! "

" أليس من الأكرم لك أن تنسحب من هذه اللعبة المهينة ؟ "

" قل لهم : لن ألعب وانصرف .. أو اتركهم فى غيهم يعمهون "

" فك سلاسلهم التى قيدتك ، فسلاسلهم التنظيمية لا قيمة لها فهى كقبض الريح أو كسراب خادع ساذج "

وعلى عكس ما دلّت عليه نفسى الثائرة جلست أمامهم هادئا طيعا لا حول لى ولا قوة بوكان خضوع الإنسان للقيود والأغلال التى ألفها واستكان لها زمنا ، يطمس فيه نزعة الحرية ويجعله سلس القياد ، وهكذا يستطيع الطغاة قيادة شعوبهم .

هش الحاج جودة فى وجهى وقام باهتمام زائد يستقبلنى وتبعه أعضاء المحكمة الذين قبلوا كتفى بمبالغة غير مفهومة ، ثم دار حديث قصير بيننا عن أحوال الجو والزحام والمواصلات وأبدى الحاج جودة تبرمه من زيادة الأسعار ، وما لبث الحديث أن انعطف حول نقابة المحامين وأحوالها

وانتخاباتها الفائزة ونجاح الإخوان فيها ، وعند هذا الموضع قال الحاج جودة وهو يتعمد عدم النظر ناحيتي : ما هو موضوع خلافاتك يا أخى مع إخوانك فى النقابة .

قلت له وأنا أنظر إلى موضع قدمي : هل هذا السؤال مجرد دردشة ؟ أم أنه تحقيق أو محاكمة ؟

قال وقد بدا عليه الانزعاج : محكمة ماذا والعياذ بالله ، أنا فى مقام أبليك وهؤلاء إخوانك ونحن نتحدث معك لأن هناك شكوى مقدمة ضدك ، وأبوك الحاج مصطفى أمر بتشكيل لجنة لمتابعة هذا الأمر والوصول لوجه الحق فيه ونحن أعضاء هذه اللجنة .

قاطعته بابتسامة : يعنى يا حاج جودة أنتم لكم سلطة توقيع جزاء على المخطئ .... هه ؟

قال بثقة : نعم

تابعت الحديث قائلاً : إذن أنتم محكمة

تدخل الأخ مجدى عبد الله قائلاً : ولتكن محكمة يا أخى فما الضير فى ذلك ؟

قلت دون أن أنظر إليه : الحقيقة هناك قواعد للعدالة حض عليها الإسلام يجب أن تتبعها المحكمة

فبادرنى الحاج جودة : لا إله إلا الله ... وهل نحن خالفنا الإسلام يا أخى الحبيب

استطردت : ينبغى أن يتم إخطارى بالمحاكمة وموضوعها قبل الجلسة بوقت كاف لأعد دفاعى فلا ينبغى أبدا مباغته الشخص بمحاكمة لا يعرف أسبابها ... وأكملت : ثم أننا تحدثنا باستفاضة من باب الدردشة والمودة قبل البدء فى المحاكمة عن الانتخابات فى النقابة فإذا كانت المحاكمة ستتضمن

تلك الانتخابات فإن حديثنا عنها باطل وهو فى الشرع استدراج لا يجوز وهنا تدخل ممروح الحسينى قائلاً : ليس استدراجا يا أخى الحبيب يجب أن تحسن الظن فى إخوانك

قلت وكأني أعاتبه : لا علاقة لحسن الظن بما أقول ولكنها قواعد عامة يجب أن تتبع

فرد معقبا : عموما يا أخى سنعطى لك الفرصة التى تريدها ... خذ هذه

الورقة فهي تحتوى على موضوع الشكوى المقدمة ضدك وسنعتقد غدا فى ذات الموعد والمكان جلسة أخرى لاستكمال الموضوع وستكون هى الجلسة الختامية إن شاء الله.

خطفت نظرة سريعة متعجلة إلى الورقة فوقع نظرى على عدة اتهامات ، منها اتصالى بالفكر الإسلامى دكتور سليم العوا وترددى على جمعية مصر للثقافة والحوار التى يرأسها ، وصلتى بأعضاء حزب الوسط ، ومخالفتى لقرار منعى من الخروج من بيتى الصادر من الحاج مصطفى ... فاعترتنى من جملة هذه الاتهامات دهشة تاريخية لا أظن أن أحدا اعترته مثلها من قبل إلا أننى تجاهلت ما قرأت وقلت : وأريد أيضا أن تطلعننى على ما قدمه أصحاب الشكوى من أدلة ضدى حتى أرد عليها وأفندها ... فالبيئة على من ادعى واليمين على من أنكر

قال الحاج جودة متخلا : أما هذه فلن نستطيع .. ليس من حقا الإطلاع على أدلتهم ... ولكن قل ما عندك وقدم ما لديك من أدلة ... يكفى أن تعرف أنهم أحضروا شهودا من الإخوان شهودا ضدك أمامنا ... وشهودا من غير الإخوان كتبوا شهادتهم ووقعوا عليها .

قلت وقد تملكتنى الدهشة : هذا لا يجوز يا أخى أبدا ..... سماعتك للشهود فى غيابى يخالف قواعد الإسلام فى المحاكمة ... مبدأ مواجهة الخصام ومواجهة الشهود من لزوميات المحاكمة العادلة ... ثم من المفترض أن أرد على شهادة هؤلاء الشهود .. فكيف أرد على ما جهلت أصله وطبيعته وفحواه ؟ هل هذه عدالة ؟ وهل ما يحدث هنا له علاقة بالإسلام ؟

قال الحاج جودة دون أن يرمش له جفن وقد نفذ صبره : والله هذا هو ما عندنا وهذه تعليمات من الحاج مصطفى بنفسه ونحن لا نستطيع مخالفتها ... جهز دفاعك وسننتظرك فى الغد ... ثم قام نصف قومة وهو يمد يده بالسلام وتبعه عضوا المحكمة .

وتركتهما وأنا أحاول أن أتنسم عبير الحرية فقد نازعتنى نفسى أن لا أعود لهم مرة أخرى ... ما أعظم الحرية .

## عودة الطير إلى قفصه

الشقة التى يقطن فيها الدكتور حسن عبد الحليم الصيدلانى نقيب أسرتى فى الإخوان تقع فى الدور الأرضى فى عقار قديم متهاك من العقارات التى شيدها أصحابها فى بداية نشأة حى مدينة نصر ، وقد شهدت هذه الشقة العديد والعديد من الكتابب واللقاءات الإخوانية وجلس معنا فيها أكبر قيادات الإخوان فى مناسبات متنوعة ، وفى حجرة المعيشة البسيطة التى تعود الدكتور حسن على استقبالنا فيها جلست قبالة أبحث عن كلمات مناسبة ، كنت قد اعتزمت ترك الجماعة بشكل نهائى ورأيت أن ألقى على مسامعه ذلك الأمر الذى انتويته ، وإذ كنت أبحث عن مدخل لائق للحديث بادرنى وهو يقلب السكر فى كوب القرغة : على فكرة .. أنا معك فى أنه يجب أن تعرف كل تفاصيل الشكوى وأدلة إخوانك التى قدموها ضدك ... فإخفاء هذه الأدلة عنك ليس من العدل .. كما أنه تعجيز لك .

قلت متعجبا : هل عرفت ؟

قال مؤكدا : نعم جلست مع ممدوح وعرفت تفاصيل ما حدث بينكم اليوم

قلت وأنا أتناول منه كوب القرغة : وما رأيك ؟

قال وهو يقلب صفحات كتاب التقطه من على المنضدة متشاغلا به : " هذا تهريج يا أخى "

" ما هذا الذى يحدث بين الإخوة ؟ "

" لماذا نقطع لحم بعض ؟ "

" يبدو أن الدنيا أخذتنا وغرّتنا !! "

" ما يحدث يرفضه كل صاحب قلب سليم "

ثم ناولنى الكتاب الذى كان بيده قائلا : هذا كتاب مدارج السالكين لابن القيم أقرؤه بإمعان لعله ينير أمامك الطريق ويفتح فى قلبك مجالات للعفو عمن ظلمك .

قلت وقد استقر فى فهمى أنه أدرك غايته من زيارته فأراد بكلماته هذه أن يقطع الطريق أمامى حتى لا أتخذ أى قرار يجمع بى خارج الجماعة : أشكر ... وقد أسامحهم وأعفو عنهم ليس فى هذا من شك ... ولكنى أذكر تلك الكلمات التى قلتها لى عقب صلاة الفجر من أن الجماعة إذا سارت فى

طريق الظلم تكون قد " فقدت خيريتها " .. أظن أنه ثبت أن الجماعة تسير فى طريق الظلم يا دكتور .

قال مهونا من الأمر : يا ثروت يا " خويا " أنا وأنت وكلنا نرفض ما يحدث لكنها مجرد حالة فردية ، لا تصلح للقياس عليها ، أما الظلم الذى يُفقد الجماعة خيريتها فهو " الظلم إذا عم " .

قاطعته بابتسامة مندهشة : ليست حالة فردية وليست حالتى فقط ، أستطيع أن أحكى لك الآن عشرات الحالات فى منطقة شرق القاهرة فقط لم تراع فيها الجماعة قواعد العدالة .... ثم انطلقت فى الحديث حتى لا أدع له فرصة لمقاطعتى وكأئننى لن أتوقف أبدا .

" عندك أخونا الدكتور حمدى عبد العاطى الذى كان حاضرا فى معسكر من معسكراتنا وأثناء حصة المشى قال لرفيقه فى السير إن الحاج مصطفى مشهور يرتكب العديد من الأخطاء بسبب كبر السن وإذا بأخ كان يسير خلفه يتنصت على هذا الكلام ثم يقوم بإبلاغ " إخواننا فوق " بخبر هذا الذى قاله حمدى الذى هو محض رأى من حقه أن يبديه وتم عقب ذلك إحالة أخيها حمدى لتحقيق إخوانى حيث حقق معه أحد الإخوة من المحامين من أعضاء مجلس النقابة ثم صدر القرار الذى تعلمه بتجريد حمدى من موقعه كعضو فى المكتب الإدارى للشعبة عقابا له على أنه قال رأيا ... هل هذه خيرية ؟ "

" وتعرف أنت طبعا خبر أخين من الإخوان من شرق القاهرة ، ظلا شركاء لسنوات فى شركة تجارية ، وحدث أن قام أحدهما بسرقة نصيب الآخر فى الشركة فاشتكاها المسروق للإخوة فقام الإخوة عقب الشكوى بإحالة الأمر لمحكمة إخوانية رأسها الدكتور عبد المنعم البربرى أمين صندوق نقابة الأطباء وكان معه فى هيئة المحكمة المرحوم مأمون ميسر المحامى الإخوانى المعروف ومعهما أحد المحامين من أعضاء مجلس النقابة وأصدرت اللجنة قرارها بإدانة السارق إدانة صريحة قاطعة ... إلا أن الأمر لم يرق لصهر السارق الذى يشغل موقعا قياديا كبيرا فى منطقة شرق القاهرة - وهو رفيق عمر الحاج جودة وتابعه فى المنطقة - فقام الإخوة بإلغاء هذا الحكم إرضاء للرجل وتشكيل محكمة أخرى برئاسة الحاج جودة وانتهت المحاكمة فى حكمها الجديد إلى تعديل الحكم إلى أن الحسابات فقط غير منضبطة وأن السارق - لعدم ضبط الحسابات - أخذ ما ليس له من حق دون أن يعلم أن ما

أخذه ليس من حقه ، وأنه يجب على الأخ المسروق أن " يستعوض الله " فيما أخذه السارق ... وأن نتيجة الحكم ستظل سرية لن يتم نشرها على الإخوة لعدم المساس بسمعة السارق وعندما اعترض المسروق المجنى عليه على هذا وقال : " سأستعوض الله بلا شك ولكن إذا صح أن تكون جلسات المحاكمة سرية إلا أن الحكم يجب أن يكون علنيا وهذا من قواعد العدالة فى الإسلام ، فلم يقبل الإخوة ذلك .. فما كان من الأخ المسروق المجنى عليه المظلوم إلا أن هجر الإخوان إلى غير رجعة ... هل هذا عدل ؟ "

وعندما هم حسن أن يقاطعنى استطردت دون أن ألتفت لمقاطعته " وأولئك الإخوة الذين احتكروا معارض السلع المعمرة بنقابة المهندسين بأمر مباشر من المرشد وليس بأمر مباشر من نقيب المهندسين فأصبحوا من أصحاب الملايين ... هل هذه خيرية ؟ "

" وما حدث منا تجاه الإخوة مجموعة حزب الوسط وتلك الحرب غير العادلة التى وجهنا سهامها نحوهم حتى أن المستشار الهضيبى قال لنا فى لقاء هنا بمدينة نصر : أننى أستطيع أن أجعلهم يسيرون فى الشارع " بلابيص " هل هذا عدل ؟ "

"والقرار الصادر من الحاج مصطفى مشهور باعتبار الدكتور السيد عبد الستار المليجى ليس من الإخوان لمجرد أنه عقد ندوة فكرية فى مكتبه وقام أحد الحاضرين فى الندوة من غير الإخوان بانتقاد سياسات الجماعة وانتقاد تصريحات الحاج مصطفى التى أطلقها فيما يتعلق بالجزية والأقباط فكان جزءا من أقام الندوة أن طرده من الجماعة شر طردة بلا أخلاق وهو من هو فى السبق والفضل حيث قدم للجماعة عمره كله ... هل هذا عدل وهل تلك خيرية "

وكأنما أفرغت جزءاً من شحنتى فتوقفت عن الكلام ألتقط أنفاسى ، وهنا تحدثت حسن بهدوء قائلاً : أنا معك فى كل ما قلت ومع ذلك فهى حالات فردية لأننى أستطيع أن أسرد عليك آلاف المواقف الطيبة للجماعة ، وفى الفقه يا أخى طالما أن النجاسة لم تغير طعم أو لون الماء الطهور فهو طاهر ، وأظن أن ما حدث لا يمكن أن ينجم هذه الجماعة أو يمس خيريتها رغم اعتراضنا عليه .

وضعتُ الكتاب جانبا وقلت وقد ارتفعت نبرة صوتى دون قصد منى : هذا



قياس مع الفارق يا دكتور ، وحتى لو اتفقت مع قياسك جدلا فإن الحنفيين يذهبون إلى أن هناك من النجاسات ما تنجس الماء الطاهر حتى ولو لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته ، ومع ذلك من قال إن الفساد لم يطغ وإن الظلم لم يعم ؟... يا عزيزى نحن فى منطقة شرق القاهرة ... هل تعرف ما معنى شرق القاهرة ؟... ثم استطردت وأنا أضغط على الحروف بنبرة حادة : شرق القاهرة هى قلب الإخوان.... قلب الإخوان ان ... وما يحدث فى القلب ينتقل إلى جسد الجماعة كله ... ينتمى إلى شرق القاهرة القيادات التى تمسك خيوط الجماعة وتحركها كما تشاء .. يوجد معنا مصطفى مشهور ومأمون الهضيبي ومهدى عاكف ومحمود عزت وخيرت الشاطر وعبد المنعم أبو الفتوح وحسن مالك وأحمد شوشة .

قال حسن بهدونه المعتاد وهو يقاطعنى : وأستطيع أنا أيضا أن أكمل لك العد ... فأنا أوافقك ولكن ما معنى هذا الاستدلال ؟

قلت وقد انخفض صوتى : معناه أننا منطقة تحت الشمس ، فلسنا فى شعبة مختفية فى دهايز كفور ونجوع مصر لا يعلم أحد شيئا عما يتم فيها ...إذا أردت أن تعرف ما يحدث فى الأطراف والأوصال فانظر إلى القلب .. ما يجرى هنا من مظالم ومفاسد يتم تحت سمع وبصر قيادات الإخوان الكبيرة ... ليس تحت سمعهم وبصرهم فقط ولكن بموجب أوامره أيضا ... كأمر منعى من الخروج من بيتى مثلا أو أمر مقاطعة مجموعة الوسط وعدم إلقاء السلام عليهم وأمر طرد عبد الستار المليجى وغيرها من الأوامر التى تنضح من الظلم ... هذا يدل يا سيدى على أن رأس السمكة فسد ... والجماعة تفسد من رأسها كالسمكة .. فإذا فسد الرأس فسد الكل .. هذا يدل على أن الإخوان الذين وضعنا فيهم الأمل فى الإصلاح يحتاجون إلى إصلاح ... ثم قلت منفعلا وأنا أنهى الحديث : يا رجال الإصلاح يا ملح البلد .. من يصلح الملح إذا الملح فسد ؟

نظر لى الدكتور حسن وقد أصيب بخيبة أمل إلا أنه قال بإصرار دون أن ييأس : إذن فلنصلح معاً الملح ولنعد الماء إلى طهوريته ... نحن نحتاجك ونحتاج عقلية مثل عقليتك لنصلح الجماعة ... هل تقبل أن تترك جماعتك فى يد من يفسدها ؟

وكاننى أحدث نفسى قلت وقد أغرورقت عيني بالدموع : أخشى إن ظللنا

على وهم الإصلاح أن نستيقظ ذات يوم فنجد قطار الجماعة قد مضى بعيدا عنا وسار على قضبان الفساد ونحن لا نملك إلا أن يدهسنا القطار إن اعترضنا طريق فساده ، وقتها سيرجمنا الركاب الذين يغمضون عيونهم عن الحقيقة ، وسيظنون أننا نحارب الإسلام لأننا فى نظرهم نقطع دابر جماعة تدعو للإسلام .

قال برفق وقد اغرورقت عيناه بالدموع كرجع لدموعى : لن يحدث هذا وسنكون معاً ... إذا تركت الجماعة سأتركها معك .. فكن معنا الآن ولا تتركنا واحضر جلسة المحاكمة غدا ولن يستطيع أحد أن يفعل معك شيئاً .

قلت وقد تحولت دفة اقتناعى إلى وجهة لم أظنها : سأبقى وسأحضر .  
وسبحان مقلب القلوب ، خرجت من بيت حسن مفعما بمشاعر متناقضة مضطربة تراوحت بين تلك الفرحة الطفولية التى تنتاب الفرد منا حين يمارس الجسارة والإقدام وهو يواجه الفساد وكأنه فى مغامرة من المغامرات اللذيذة الشيقة .... وبين خوفى من المجهول الذى قد تتمخض عنه الأحداث .. إلا أن حب البقاء والمواجهة غلب على رغبة الخروج والخوف من المجهول ، فتولد عندى إصرار بالبقاء فى الجماعة ومواجهة طغمة الفاسدين ، إلا أننى لم أكن أعلم ما أخفاه القدر من غرائب لا يتوقعها عقل أحد من الأسوياء .

### **استكمال المحاكمة الإخوانية**

أمسك الحاج جودة بقارورة المسك وأشار لى إشارة تعنى أن أقرب إليه يدى ، وعندما قدمت له اليمنى دك على ظهر كفى بتلك الكرة المستديرة التى تعلق القارورة فانساب عليه قدر من المسك .

— جزاك الله خيرا يا حاج وطيبك بطيب الجنة إن شاء الله .

— نحن وإياكم إن شاء الله .

ابتسم المهندس ممدوح الحسينى وهو يقول : أبسط يا عم لقد نلت بركة الحاج وهى بركة لو تعلم لا ينالها إلا المقربون .

تصاحك الجميع وشاركتهم بوضع ضحكات مغتصبة ثم ساد الصمت بيننا كأنهم يبحثون عن كلمات مناسبة يبدؤون بها إلى أن فتح الله على المهندس ممدوح فقال وهو يغطى تتأوبه بظهر كفه : أنا أرسلت من يحضر لنا طعام الإفطار ... دقائق وسيحضر إن شاء الله .

فقال الحاج جودة : بالهناء والشفاء أنا صائم .

وبعد برهة يسيرة دخل أحد الإخوة من شعبتنا ممن يعملون فى مكتب المهندس ممذوح وهو يحمل صينية عليها لفائف الطعمية والفول وعندما بدأنا فى تناول الطعام ألح المهندس الحسينى على الحاج جودة كى يقطع صيامه ويشاركنا إفطارنا فأخذ الحاج جودة لقمة وقال مبتسما : سأقطع صيامى وأشارككم من أجل الأخ ثروت فقط ... ثم أردف : بسم الله .. اللهم بارك لنا فى ما رزقتنا وقنا عذاب النار .... وبعد أن مضغ اللقمة وابتلعها بئاة أخذ ثلاث رشفات من كوب الماء ثم قال بابتسامة رضا : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ... ثم أردف وابتسامته تزداد اتساعا : ثم جعلنا من الإخوان المسلمين .

ضحك المهندس ممذوح ضحكة إعجاب وقال : الله ... الله عليك يا حاج ... ثم استدار موجه الحديث لى : تعلم يا أخ ثروت من عمنا الحاج .... نعمة هى أن نكون من الإخوان يجب أن نشكر الله عليها ... نعمة هى أن نكون مع إخواننا نسمع منهم ونطيعهم ونلين بين أيديهم .

ابتسمت دون أن أعقب ... وبعد أن انتهينا من طعامنا دخل أحد الإخوة يحمل صينية عليها بضعة أكواب متنوعة ما بين الشاي والقرفة والينسون ويجوارهم قدح من اللبن لمن أراد أن يخلط شايه أو قرفته باللبن .... وبدأت جلسة المحاكمة .

قال الحاج جودة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ... يا أستاذ ثروت ..

أسمح لى أن أبدأ فى أسئلتى ؟

– تفضل على الرحب والسعة .

– لماذا يا أخى خالفت قرار إخوانك بخصوص انتخابات نقابة المحامين التى جرت مؤخرا ووقفت مؤيدا لهذا الذى يدعى عاشور ضد الآخر الذى وقع عليه اختيار الإخوة ... رجائى عطية ، وكيف طاولك قلبك أن تقف ضد قائمة إخوانك

ابتسمت وأنا أغوص فى أعماقى كى أستخرج طاقة الصبر من داخلى :ألست معى يا حاج أن الصوت فى الانتخابات أمانة ؟

أجاب الحاج جودة بصوته الخشن المرتعش : ليس فى هذا شك يا أخى .

قلت مستطردا : وشهادة أيضا

أومأ الرجل برأسه كعلامة بيّنة منه على الموافقة فاستكملت كلامي : وهل يجوز لأحدنا أن يملأ على الآخر شهادته ؟ أيجوز فى حكم الشرع يا سيدى أن أطلب منك أن تشهد أمام القاضى شهادة معينة ؟ أيجوز أن يتسلط أحدهم على قلبك وعقلك ويجبرك على شهادة يريد بها .. ترى لو قلت لك اذهب للمحكمة واشهد بأن فلانا ضرب فلانا وأنت تحمل فى جوانحك شهادة أخرى .. أتبيع دينك وقتئذ بدنيا غيرك ؟

قال الحاج جودة مرتبكا : ولكنها ليست شهادة كشهادة المحكمة ... ثم نظر إلى المهندس ممدوح مستنجا ثم قال : أليس كذلك يا ممدوح ؟  
تنحنح ممدوح وأبتسم وقال متجاهلا سؤال الحاج : أيعنى هذا يا أستاذ أنك تشك فى اختيارات إخوانك ؟

قلت بحسم : يا أخى أنا لا أشك ولكن أتحدث عن الأصل .. بغض النظر عن التفاصيل ... هذا أمر لا يجوز أن يكون محل مسالة أو محاكمة منكم لى لأنها شهادة ... وبالمناسبة هى شهادة بمعنى الكلمة يا حاج ، فأنا أشهد أمام الله سبحانه وتعالى - باختيارى هذا - أن فلانا أصلح من فلانا لهذا الموقع ، والشهادة يا سيدى يملكها صاحبها .. ولا يحق لأحد من أهل الدنيا كائنا من كان أن يحاسبنى على شهادتى تلك ... فأنا أشهد عن نفسى ولا أشهد نيابة عن الإخوان ( كل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ) أما اختيارات الإخوان فيسأل عنها أصحابها ... أنا أشهد أن فلانا حفيظ عليم أو غير ذلك ، ولا شأن لى بشهادة الآخرين فאלله سيسألهم عنها ، ولا يجوز لأحد أن يجبرنى على أن أشهد بما يريد هو .. هذا ليس من الدين يا شيخنا .

زم ممدوح شفثيه ثم نظر إلى الحاج جودة كأنما يستحثه على الانتقال إلى سؤال آخر فتناول الحاج جودة كوب الماء ورشف منه رشفة ثم قال : شهد أحدهم أمامنا يا أخ ثروت أن الأخ مختار كان يحرضك على الوقوف ضد قائمة الإخوان من داخل سجنه وأنه اتفق معك على خطة اسمها تصدير القلق فما ردك دام فضلك .

وقبل أن أجيب تدخل المهندس ممدوح قائلا : " لماذا يقيم الأخ مختار الدنيا ولا يقعدا بسبب حبسه يا أخى ؟ "

إن أعجب فعجبى ممن يملأ الدنيا ضجيجا عند حبسه "

"أهو أول من يُحبس من الإخوان ... فليُحبس يا أخى هل ستتهدم الدنيا؟!!"

"ألا يعلم أن السجن هو معسكر من معسكرات الإخوان ، وأن اسمه ما زال مكتوباً بالقلم الرصاص من لم يُحبس بعد من الإخوان ؟ "

تعجبت من تلك النبذة الهجومية التي أظهرت لى أن هناك من أفسد قلب هذا الرجل على أخيه المحبوس فتجاهلت هجومه ووجهت كلامى للحاج جودة : يشهد الله أن مختار لم يحرضنى على الإخوان ومن شهد بذلك كذب ، وهى شهادة زور وأتمنى أن أواجه شاهد الزور هذا ولكننى أظن أنه لن يقوى على مواجهتى ... أما عن خطة تصدير القلق فهى خطة وضعها الإخوة كلهم فى السجن وتستطيع يا حاج أن ترسل للسجن من يسأل الدكتور محمد بديع أو الدكتور محمد بشر فى هذا الأمر وهما أعضاء مكتب إرشاد وأظن أن تلك الخطة من بنات أفكارهما مع باقى الإخوة الذين معهما فى السجن .

فاستدار الحاج جودة إلى ناحية المهندس ممدوح وأشار له إشارة ذات مغزى ثم تحول بوجهه ناحيتى وهو يقول :

منذ متى وأنت تعرف الأخ سليم ؟

قلت متخابثاً : الأخ سليم !! من هو الأخ سليم ؟

قال مستنكراً : الأخ سليم العوا !!

وكأنتنى أصحح له قلت وأنا أقطب جبينى : آه .. تقصد الدكتور محمد سليم العوا ... أعرفه منذ زمن فهو شخصية شهيرة فضلاً عن أنه من المحامين الكبار فى مصر كما أنه مفكر إسلامى شهير وقد كان محامياً للإخوان فى القضايا العسكرية عام ١٩٩٥ وما بعدها وأظن أن إخواننا يلجئون إليه فى المللمات .

تدخل المهندس ممدوح قائلاً : الحاج جودة يسأل عن صلتك أنت به ؟

قلت متعجباً : صلتى به جيدة ... ولكنى لا أفهم مغزى السؤال !! .

أجاب المهندس ممدوح : يا أستاذ ثروت هناك أمران ... الأمر الأول هو أن الأخ سليم العوا نشر مقالا فى جريدة الأهرام أشار فيه إلى قرار منعك من الخروج من بيتك .. فكيف عرف سر هذا القرار رغم أنه من الأسرار التنظيمية التى لا يجوز البوح بها أبداً ؟ فهل أنت الذى أخبرته بهذا القرار ؟ أما عن الأمر الثانى فهناك من أخبرنا أنك تتردد على محاضرات الأخ سليم

فى جمعىة مصر للثقافة والحوار ... ولذلآ نرى أن نعرف منك صحة هذا الأمر .

أجبت وأنا أبدى تعجبى : أما عن الأمر الأول فأرى أن أسأل بدورى ... هل قال لكم الدكتور سليم أننى أنا الذى أخبرته عن أمر منعى من الخروج من بيتى ؟

قال الحاج جودة : لا لم يقل لنا ولم نسأله .  
فقاطعه المهندس ممدوح موجهها الحديث لى : ولكن منطق الأمور يقول إنك أنت الذى أخبرته ... وإلا من الذى أخبره إذن ؟  
قلت مستفهما : يعنى هذا تخمين أو حدس اعتمد على منطقك أنت هه ؟  
قال : نعم .

قلت : أهل الممكن أن يكون أحد من الإخوان ممن يرتبطون معه بصلة قوية قد أخبره ؟... هل هذا وارد أم أنه مستحيل ؟  
فقال : وارد طبعاً ... أنا قلت أن ما لدينا فى هذا الشأن هو مجرد حدس

قلت بحسم : وهل يجوز يا مولانا فى هذا الموضع ، موضع الحكم بين الناس ، استخدام الظن أو الشك أو التأويل أو التخمين ؟ ( إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً )

نظر لى الحاج جودة متفرساً ثم قال : يا أستاذ ثروت ... أأنت قلت للأخ سليم أم لم تقل ؟... هذا هو السؤال ؟  
خطر لى خاطر بعث فى داخلى نوبة من الضحك تحكمت فيها وكتمتها قبل أن تخرج إلى الحياة ثم قلت : أقسم بالله يا حاج جودة أننى لم أقل للأخ سليم شيئاً عن هذا القرار .

بدت الحيرة على وجه الحاج جودة وأخذ ينظر إلى يمينه تارة حيث المهندس ممدوح وإلى يساره تارة أخرى حيث الأستاذ مجدى وكأنما يستنجد بهما ثم قال وكأنه يتأكد : أنت أقسمت ... هه ؟

قلت : نعم أقسمت ... ثم استطردت : وأنا صادق فى قسمى .  
حملق الحاج جودة فى وجهى لبرهة كأنما يسبر غورى ثم قال : ننتقل للنقطة الثانية ... هل تتردد على الجمعية الخاصة بالأخ سليم ؟  
قلت وكأننى أضيف إلى معلوماته : تقصد جمعية مصر للثقافة والحوار

طبعاً

قال وهو يقدح زناد فكره : نعم هي .. أليس كذلك يا ممدوح ... هي جمعية الحوار والثقافة بالقطع ... أم هناك جمعية غيرها يا ممدوح ؟

قال ممدوح مؤكداً : طبعاً هي فلا يوجد غيرها

قلت متباهياً : أنا عضو في هذه الجمعية وأحضر كل محاضرات الدكتور سليم وهو يعطينا محاضرات في الفقه والمذاهب الفقهية ويحدثنا عن المعتزلة والأشاعرة والشيعة وهي محاضرات رائعة ويا ليت الإخوان كلهم يحضرونها ... أتمنى أن تزورنا فيها يا حاج جودة وأثق أنك ستستمتع أيما استمتاع .

قال الحاج جودة ممتعضاً وقد بدا الاستنكار على وجهه : معتزلة !! ... أشاعرة !! مالنا وهذه الأشياء يا بني .. هذه أشياء تفتن العقول ... من أراد الدراسة فليذهب إلى الأزهر حيث العلم تماماً كما فعل المهندس ممدوح الحسيني ... أخوك ممدوح لديه أضعاف العلم الذي عند سليم هذا ... يا أخى خذ من ممدوح ... خذ من إخوانك فهم ينهلون من معين البنا وما أدراك ما معين البنا ولا تأخذ أبداً من خارج الإخوان مهما كان قدر من ستأخذ منه .... ثم هل استأذنت من أحد قبل الذهاب لهذا الرجل ؟

قلت وأنا ألتكأ في الإجابة : لا لم أستاذن فهذا محض نشاط من حقى أن أمارسه كما أشاء ... فكما أذهب إلى النادي وإلى المصيف وإلى الـ

قاطعنى قائلاً : يا أستاذ ... ألا تعلم أن كل حركة من حركاتك يجب أن تكون تحت نظر الجماعة وموافقتها .. ألا تعلم أنك يجب أن تستأذن في كل شيء ... ثم استدار لممدوح قائلاً : أهملت التربية يا باشمهندس ... وعاد بوجهه إلى ناحيتي مكملًا : ألا تعلم أن الأخ سليم هو الذى حرض مجموعة الوسط على الإخوان وأصبح محاميهم ؟ فكيف تذهب إليه وقد فعل هذا !!

قلت وأنا أبدي اندهاشى : معقولة !! أفعل هذا ؟

وبطريقة اقرب للاستنكار قال ممدوح الحسيني : أو لم تعلم هذا يا أخ ثروت ... أو لم تسمع عنه أو لم تقرأ في الصحف عن رعاية سليم العوا لهؤلاء المطاريد ؟ أو لم تعرف أن المستشار مأمون لا يحب هذا الرجل لأفعاله تلك ؟

قلت بحسم : هذه موضوعات لا نتحدث فيها ولم يثرها أحد في الجمعية ... كما أننى لا أهتم بتداعيات موضوع الوسط .. ثم أن مسألة حب المستشار

مأمون له أو عدم حبه هي من خبيثة نفسه ... يا باشمهندس أنا لا أعلم خائنة  
الأنفس وما تخفى الصدور .. وحتى لو كان المستشار لا يحبه مالى أنا وهذا  
الموضوع ؟

زم ممدوح شفتيه ثم قال : دعك من الحب والكراهة .. ثم استطرد مستفهما  
: ولكن مجموعة الوسط أعضاء فى الجمعية أليس كذلك ؟  
قلت : ليسوا أعضاء فقط ولكن أعضاء فى مجلس الإدارة أيضا هل فى  
هذا شيء ؟

وكأنما ظن الحاج جودة أن إجابتي هذه هي الحبل الذى التف حول عنقي  
.. وأنه أن الأوان لإنهاء المحاكمة باعتراف رسمى فتدخل موجه حديثه  
للمهندس ممدوح : إقرأ يا ممدوح الاتهام الثانى .

نظر ممدوح فى ورقة أمامه وقال وكأنه ينطق بقرار اتهام : توافرت أدلة فى  
حق الأستاذ ثروت على أنه على صلة قوية بمجموعة حزب الوسط ويتردد  
عليهم بانتظام وذلك بالمخالفة لقرار الحاج مصطفى وقرار المستشار مأمون  
الهضيبى بمنع كل الإخوة من التواصل مع هؤلاء بأى صورة ومنع كل الإخوة  
من إلقاء السلام عليهم أو رد السلام إذا التقوا بهم قدرا فى أى مكان بلا  
ترتيب مسبق .

نظر لى الحاج جودة من وراء نظارته متخابثا ثم قال : ها ... ماذا ستقول  
فى هذه يا أستاذنا أظنك الآن قلت بفيك أنك تقابلهم فى جمعيتكم وطبعا  
تجلس معهم وتشاطرهم الحديث .

كانت نظرة الحاج جودة المشوبة بابتسامة نصر توحى أنه حاصرني وأنى  
لا محيص ساقع فى حفرة سؤاله مهما حاولت النجاة.

لم أنتظر أو أتمهل فى الإجابة فقد بادرت قائلا : يا حاج جودة سؤالك  
يحتاج استفهاما منى .

– استفهم كما تشاء

– أولا أريد أن أعرف متى صدر قرار الحاج مصطفى والمستشار مأمون  
، ومن الذى قام بإبلاغى به ممن هم أعلى منى فى التسلسل التنظيمى ولهم  
على حق الطاعة ؟ .

– صدر منذ بداية الأزمة التى يعرفها الكل ولا يجهلها أحد .. وتم إبلاغ  
المناطق كلها به .



- عفوا يا حاج أنا أعرف كل تفاصيل الأزمة وأعرف غضبة إخوانى على تلك المجموعة بل انعقدت كتيبة عندنا حضرها الأستاذ مسعود السبحى سكرتير المرشد وشدت النكير فيها على الوسط ورجاله وعاب عليهم خروجهم عن جادة الصواب وحكى لنا عن نزقهم وتشهيرهم بالجماعة فى الصحف ، والأكثر من هذا تقابلت ومعى بعض الإخوة مع المستشار مأمون وحكى لنا أمر هذا الانشقاق لكن لم يقل أحد شيئا عن تلك المقاطعة .. فقط أخبرونى عن أن الدكتور السيد عبد الستار المليجى ترك الإخوان إلا أننا يجب أن نقابله بالتوقيع اللازم وهو ليس من مجموعة الوسط .. ولذلك أريد أن أعرف من الذى أبلغنى بهذا القرار ؟ فى القانون يا حاج ( لا عقوبة إلا بنص ) ... وفى الشريعة .. ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) .

التفت الحاج جودة للمهندس ممدوح قائلا بنفاد صبر : ما الحكاية يا باشمهندس ألم تخبروا الإخوان بالقرار ؟

قال ممدوح بصيغة التأكيد : لا طبعا ... الكل يعرف ... فلقد طلبنا من كل مسئول شعبة إبلاغ شعبته .

وعلى الفور تناولت هاتفى المحمول وأعدت له بطاريته التى كنت قد انتزعتها لدواعى الأمن وناولت الجهاز لممدوح وأنا أقول له : اتصل بمسئول شعبتى وقت أزمطنا مع الوسط ودعه يحضر هنا ونقسم كلانا على ما إذا كان قد أبلغنى أم لم يبلغنى .

فقال ممدوح بل سأستفهم منه بطريقتى ... انزع بطارية هاتفك مرة أخرى يا أخى .. ثم أمسك بورقة وقلم وكتب بضع كلمات وخرج مسرعا من الحجرة وحين عاد بعد دقيقة قال موجه حديثه للحاج جودة : أرسلت أحد الإخوان من العاملين بمكتبى بورقة فيها هذا الاستفهام وسيحضر بالإجابة فورا .

تنهد الحاج جودة وأخرج علبة دواء من جيبه وأخذ من العلبة حبة صغيرة وضعها تحت لسانه ... فقال له المهندس ممدوح : أجهدناك يا حاج كان من المفروض أن يكتب لنا الأخ ثروت ربوده دون أخذ ورد ومناقشة وجدل لكن أظن أن المناقشة أفضل كى يستريح الأخ ويعلم أن العدل سياتخذ مجراه .. فلا تؤاخذنا .

قال الحاج جودة وهو يزدرد الكلام : لا أبدا هذا أفضل ... لكن يا أخ ثروت لا داعى لتحبيكها ... أنت بين إخوانك ولست فى محكمة .. يعنى لا

داعى لإصرارك فى كل نقطة على أن تناقش وتسال عن الأدلة وما إلى ذلك ...  
«اجعل بساطك أحمدي وصلّى على النبى وفضفض» .

لم أرد عليه إلا بابتسامة غاضبة مقتضبة ... فعقب المهندس ممدوح قائلا :  
العمل يترك أثره على صاحبه يا حاج .. فالمهنة غلابة ... والمحاماة تركت  
بصمتها على أخينا الحبيب ... عموما سنستريح إلى أن يأتى الرد .

شرد ذهنى وأنا أنتظر فى مكاني عودة الرسول وكأئننى كنت فى عالم آخر  
لا صلة له بهذا العالم أو كأئننى فى جب سحيق انقطع عن الدنيا وما فيها ،  
وحين التفت بعينى وخرجت ببصرى إلى العمارة المواجهة رأيت قفصا  
للعصافير معلقا فى إحدى الشرفات ، فعادت ذاكرتى القهقرى حينما قال لنا  
المستشار مأمون الهضيبي عن مجموعة الوسط أنه يستطيع أن يجعلهم  
يسيرون فى الطرقات " بلاييس " !! ترى لماذا كان الرجل متأكدا من سطوته  
واثقا فى تهديداته ؟ !! ... لأنه هو ومن سبقه من الآباء الأولين ممن كانوا  
على نهجه جعلوا من أعضاء الجماعة مجموعة من العصافير كتلك العصافير  
التي أراها الآن .. وأحكموا عليهم القفص .... لو فتح أحدهم الآن هذا  
القفص للعصافير فإنها حتما لن تغادر ولن تطير فقد أصبحت مهیضة الجناح  
... لن تستطيع الانطلاق فهي لم تعرف الحرية من قبل ولم تتعلم الطيران ..  
وإن غادرت وقعت وتهشمت ، يبدو أننى لم أستطع الخروج من قفص الإخوان  
خوفا من الحرية ، لذلك عدت من جديد وأنا ألتحف حجة واهية كأنها ملاة  
هواء .. عليها تقنعنى بالبقاء فى ذلك القفص الذهبى الذى طرزوه بالإسلام  
وزينوه بالخلافة وأستاذية العالم فخلبوا لى . واستولوا على مشاعرى ...  
وهكذا وقع العصفور أسيرا فى القفص ، وقع حينما استلبوا مشاعره  
ودغدغوا عاطفته وأحاسيسه الغضة النقية ؟ وإذ يدخل الواحد منا إلى  
القفص يصبح بضعة منه ... حيث يتزوج من الإخوان ويعمل عند أحد من  
الإخوان ولا يصادق إلا من الإخوان ويستأجر شفته أو يشتريها من أحد من  
الإخوان .. فيكون جاره إخوان وزميله فى العمل إخوان وصهره إخوان وهلم  
جرا .. يعيش فى دائرة من الإخوان لا يعرف غيرها ... أنظر إلى ممدوح  
الحسينى نفسه ... الذين يعملون عنده إخوان ... والذين يقطنون فى عمارته  
بالحي الثامن إخوان وعديله إخوان وجيرانه إخوان .... وهكذا الكل  
..انفصلنا عن المجتمع وكأئننا نعيش فى جيتو .. لنا خصوصياتنا وأسرارنا

وقواعدا ... دولة داخل الدولة وليس تنظيما فى الدولة !!!.. لذلك صدقت يا هضيبى .. لو خرج عصفورك من القفص فإن أوامرك ستسرى على الجميع ... سنقاطعه ونزدرية وسنطرده من عمله وسيخاصمه جيرانه ... لذلك سيمشى فى الطرقات بلا غطاء فقد استتر بالإخوان زمنا ولم يعرف غيرهم وما هم يخلعونه .. ولكن .. ألسنتُ مختلفا عن هؤلاء ؟ فلماذا أراى مكبلا فى قفصهم لا أستطيع مغادرته ؟ لم أتزوج ابنة أو شقيقة أحد منهم .. وليس فى مكتبى قضية من قضاياهم تغل لى مالا اللهم إلا القضايا التطوعية التى أنفق عليها أو قضايا المجاملات التى أتورع عن تقاضى أتعابها .. ولم أسكن فى عقاراتهم ولم أجاورهم ومعظم أصدقائى من خارج الإخوان .... هيا قم أيتها الطير الجريح واقفز من قفصك وطر ... أجنحتك قوية وستحملك ... أنت ما جرعتُ منهم إلا المشقة والأحزان وما أضافوا إليك إلا هذا القيد الذى يكبك .. حتى أنك عندما كنت تبحر فى طريق الدعوة كنت تخطب فى المساجد بعيدا عنهم ... طر واخرج من قفص التنظيم إلى سماء الدعوة فالطير لا يصدح بالغناء الشجى إلا وهو على الأغصان حرا ..

أفقت من شرودى على صوت المهندس ممدوح الحسينى وهو يقول : صح النوم يا أستاذ ثروت .. فنظرت إليه مبتسما وتحشرج صوتى وأنا أقول : لم أنم .. ثم تنحنحت .

فقال الحاج جودة وهو يتضحك معى : هنيئا لمن أخذ عقلك يا سيدى ... فنحن نحدثك من دقيقة وأنت سارح فى ملكوت الله .... لقد جاء الرسول بالرد يا أستاذنا

قلت بصوت خشن يشبه صوت من أفاق من غيبوبة فوجد ريقه قد جف : وأنا أنتظر من يقرأ لى هذا الرد

فأمسك المهندس ممدوح الورقة وأخذ يقرأ من خلال نظارة القراءة : بعد السلام عليكم ... قمت بإبلاغ كل الشعبية بالقرار وكان ذلك فى المعسكر السنوى للشعبة الذى تم فى رأس البر عام ١٩٩٦ ... نظر لى الحاج جودة وزفر زفرة كأنها مقدمة بركان بدأ فى الغليان .. إلا أن المهندس ممدوح أكمل القراءة وهو يتلعثم : وللعلم لم يكن الأخ ثروت حاضرا فى هذا المعسكر فلم يخبره أحد .. توقيع .. فلان الفلانى .

ابتلعنى الحاج جودة بعيون حانقة ثم قال وهو يكاد يتميز من الغيظ : ولكن

ألم تعرف خبر هذا القرار من أى أخ من الإخوة ؟  
قلت بثقة : سمعت به من بعض الإخوة من عين شمس.. منطقتكم يا حاج  
جودة .

فغر المهندس ممدوح فاه من الدهشة ورفع الأستاذ مجدى حاجبيه بعد أن  
التزم الصمت طول الجلسة ثم قال وكأنه استغلق عليه الفهم : ها .. أنت  
عرفت إذن !! فلماذا الإنكار ووجع الدماغ والكلام عن الأدلة وما شابه ...  
حرام عليك يا رجل .

ابتسمت ابتسامة عريضة وأنا أنظر ناحية الحاج جودة ثم قلت له بهدوء :  
يا حاج ... أعطنى عقلك دقيقة ... لو جاء لك أخ تثق فيه من منطقة أخرى  
وليس لك عليه حق السمع والطاعة وقال لك إن الإخوان أصدروا أمراً للإخوة  
عندنا بعدم الإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات البرلمانية أو المحليات ... فهل  
ستنفذ هذا الأمر ؟

قال وهو يغوص فى تفكير عميق : لا طبعاً ... يجب أن يتم إخطارى  
بالقرار رسمياً وفقاً للتسلسل التنظيمى .

قلت وأنا مازلت مصطحباً ابتسامتى أستخرج بها من داخلى ما تبقى فى  
قلبى من الصبر : الله ينور عليك ... هذه كنتك... أنظر يا حاج .. أنا رجل  
تنظيمى جدا .. إذا لم يأت لى القرار رسمياً ومن الشخص المنوط به إبلاغى  
فلن أنفذه أبداً حتى ولو أخبرنى به المرشد شخصياً ... نحن يا حاج فى  
المنطقة تنظيميون للغاية هكذا تعلمنا وهكذا درجنا .

ضحك المهندس ممدوح الحسينى منهيًا هذا الجزء من المحاكمة وهو يقول  
: عندك حق والله هذا كلام فى الصميم .

أشار له الحاج جودة كى ينتقل للجزء الثالث من المحاكمة فلبس ممدوح  
نظارة القراءة وتلا من ورقة أمامه " خالف قرار الحاج مصطفى المتضمن  
منعه من الخروج من بيته أثناء انتخابات المحامين وخروج طوال يوم الانتخابات  
... وقد شهد عدد من الإخوة أمام المستشار مأمون أنهم شاهدوه وهو  
يحرّض المحامين ضد قائمة الإخوان فى هذا اليوم "

وبعد أن تلا المهندس ممدوح الشق الثالث من قرار الاتهام خلع الحاج  
جودة نظارته الطبية وأخذ يمسح عدستها بطرف قميصه وهو يقول : ما رأيك  
يا أستاذ ثروت فى هذا الكلام

قلت وأنا أرفع كتفى وأمد شفتى وأقلبهما : والله يا حاج أنا فى قمة العجب والأسف والألم من وجود هذا الاتهام فى هذا التحقيق . إذ كان يجب على الإخوة التحقيق مع من زعم هذا الأمر الكاذب ومعالجته .. ومع ذلك فليجب المهندس ممدوح فإننى أفوضه فى الإجابة وأثق فى دينه وخلقه ... واستطردت بنبرة استولت عليها سحابة من الحزن : والله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وعندما هم المهندس ممدوح بالإجابة أسكته الحاج جودة وقال وقد بدا أنه تأثر من لهجتى : أعرف يا أخ ثروت ... حكى لنا المهندس ممدوح أنك كنت عنده فى هذا اليوم والحاج مصطفى يعلم هذا وقال أننا يجب أن نضع هذا الأمر فى الاعتبار أثناء التحقيق معك ... والله لنقتص لك أيها الأخ الكريم وسترى العجائب التى ستبهج خاطرك وتسعد قلبك ... ولكن لى عتاب عليك . قلت بمشاعر الابن المفعمة بالصدق والمتخمة بالحنان : اعتب كما تشاء يا حاج .

قال هامسا وكأنما يخشى أن تقع كلماته على أذن غريبة : هل يصح أن تكتب فى الصحف منتقدا إخوانك ؟ ... هل هذه أخلاقنا التى تربينا عليها ؟ لقد كانت مقالاتك هذه جزءاً من التحقيق ولكننا أغفلناها حرصا عليك وعلى وجودك بالجماعة .

قلت أبرئ نفسي : لم أنتقد الجماعة ولكن انتقدت بعض المحامين من الإخوان .

قال وكلامه يزداد همسا : الجزء يساوى الكل من انتقد البعض فقد انتقد الكل ... اسمح لى يا أستاذ .. أنت أخطأت .

قلت وأنا أستدرجه لمنطقى : هل لديك شك يا حاج أنهم ظلمونى ظلما بينا ؟ لقد عاينت بنفسك ورأيت أنهم قدموا ضدى شكوى كاذبة تزعم أنى خالفت قرار الحاج مصطفى وخرجت من بيتى ... وليس من رأى كمن سمع ... أليس هذا هو الظلم بعينه ؟ .

– نعم يا بنى ... أوافقك .. هو الظلم بعينه ، ولكنه لا يعطى لك الحق فى نقد الجماعة جهرا .

– كيف هذا يا حاج با لله عليك .. إن الله يعطينى إذا ظلمت الحق فيما هو أعلى من النقد . ألم يقل الله سبحانه وتعالى ( لا يحب الله الجهر بالسوء

من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما )  
- عموما سيكون هذا محل نظر إن شاء الله والله ولى التوفيق .. سعدنا  
بك اليوم وأرجو أن تغفر لنا وإخوانك وتسامحنا ... صحبتك السلامة  
وقفت وقفة اطمئنان وسلمت عليهم جميعا وقلت وأنا أهم بالانصراف :  
وعليكم السلام وأتمنى من الله أن تقيموا العدل .. ولا يجرمنكم شنآن قوم  
على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى .  
- سترى العدل الذى لن تنساه أبدا وستشهد لنا إن شاء الله .  
- ومتى سيصدر القرار إن شاء الله  
- سيصدر أقرب مما تتوقع فدع أمرك للذى لا يغفل ولا ينام .  
خرجت إلى الطريق بعد أن أمضيت ثلاث ساعات كاملة أو أكثر قليلا  
داخل محكمة الإخوان وكان الظهر قد اقترب فتوجهت إلى أقرب مسجد كى  
أصلى الضحى وأنتظر الظهر ، دخلت المسجد وأنا أتحرق شوقا لمعرفة الحكم  
الذى سيصدر من المحكمة الإخوانية وكانت نفسى تحدثنى بأننى هزمت فلول  
الظلم لا محالة.

## الفصل الثامن

### الطير والمصيدة

تستطيع أن تحيا بعقلية النملة ولكنك ستعيش أبد الدهر  
مخبوءاً خافت الأثر بين الحفر حتي ولو كنت في قمم الجبال ..  
أما إذا امتلكت عقلية الطير فتق أن العالم سيسمع تغريدك وأنت  
تحلق في السماء .

ذات ظهر مشمس من أحد أيام شهر يوليو القائط الذي هلّ إلى الدنيا  
عقب جلسة المحاكمة الإخوانية التي كنت أنتظر نتيجة الحكم فيها ، وجدتني  
مشيت الأذهن مضطرب الوجدان ممزق الهوى .. أنتظر في الجماعة وأصطبر  
عليهم ؟ أم أهجرهم ملياً ؟ أأسرع في مغادرتهم توا ؟ أم أتمهل وأنتظر  
نتيجة المحاكمة ؟

بعد أن خف وطيس الحر .. وأدى الناس صلاة العصر .. رأيت أن أجمع  
أشألي وأرتقيها رتقا كي أذهب لزيارة الدكتور توفيق الشاوي في بيته حتى  
أستأنس برأيه فيما حدث ، فوجدته طريح الفراش بعد أن دهمه المرض ،  
فاكتفيت أثناء الزيارة بالدعاء له ثم انصرفت ... خرجت من بيت الأستاذ وأنا  
أجرجر من خلفي خيبة الأمل ، فقد كنت أتوق لسماع كلماته النيرات التي  
يضيء بها طريقى وبيت من خلالها في ضميري لآلئ الحكمة والمعرفة .

جلست في سيارتي ساكناً كأنني ألوذ بها وأتحدث معها وأبثها أشجاني  
.. وبعد هنيهة أخذت أستمع لصوت الشيخ مصطفى إسماعيل وهو يتلو بصوته  
الشجي المعبر آيات من القرآن الكريم فانتابتنى لحظة صفاء صوفية جعلت  
قلبي يقفز من مكانه ويحلق بعيداً عني وكأن ذاتي انفصلت عن ذاتي ، كان  
الشيخ يتلو من سورة النمل قول الله سبحانه وتعالى (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ  
ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) أبداع الشيخ  
وهو ينطق بشكل تعبيرى فذ كلمة (نملة) إذ كان ينطقها بشكل يوحى بقلة  
شأن هذه النملة أو ضالة حجمها ، ومع ذلك فإنها كانت حريصة كل الحرص  
على سلامة التنظيم الذي يحويها ويؤويها .. فهذا هو جل همها وغاية مرامها  
وهدفها الأسمى الذي تتحطم رقاب أمم من النمل فداءً له ... فمساكنها  
ومساكن تنظيمها النمل المحكم ذات الحبكة المذهلة هي أولوية النمل الذي  
تتقاصر من دونه الأولويات ، لا يهم النمل في قليل أو كثير أن تجور نملة على  
حق نملة أخرى أو تفتئت على طعامها طالما أن مساكنها بخير حال ، فجرى



فى خيالى أن فكرة التنظيم وأهمية هذا المسكن التنظيمى قد استولت على عقلية الإخوان فى عصرنا الحالى ، فأصبحت الجماعة تعيش بعقلية النملة التى تخشى أن يتحطم بنيانها تحت غوائل الأيام !!! استغربت الفكرة عندما قفزت إلى عقلى وأخذت أقلبها رأسا على عقب وأستنطقها وأستشرف معانيها .

كانت فكرة استعادة الخلافة الإسلامية ذات يوم هى الفكرة الحاكمة عند الإخوان، وكان حلم الوصول إلى أستاذية العالم هو الخاطر الذى تعيش من أجله ، وكان بناء الفرد المسلم هو الوسيلة .. فإذا بالحال يتبدل ومآل الحلم يتغير ، ليصبح التنظيم وبنائه هو الهدف والحلم والخاطر والأمل .. وأصبحت الوسيلة هى بناء الفرد المطيع القادر على القيام بواجبات الجندية التنظيمية .. من أجل ذلك لا ضير عند التنظيم أن يسرق الأخ أخاه أو يغتابه أو يظلمه أو يأكل لحمه حيا أو ميتا طالما أن التنظيم يمشى سالما فى طريقه !! بيد أن هذه العقلية ذاتها لا تقبل أبدا أن يمس أحدهم أمن التنظيم ، وإن فعل .. فالويل والثبور وعظائم الأمور .. اختلفت الأولويات فاختلفت المواقف .

وعندما وصل الشيخ فى تلاوته لقوله سبحانه وتعالى ( وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدَى أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ \* إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ) قلت سبحانه الله .. ما أبعد الشقة بين النملة والهدد .. فهذه نملة تدب على الأرض ولأنها عاشت من أجل تنظيمها ومساكنها فإنها خشيت على هذه المساكن من النبى سليمان وجنوده ، وهذا هدهد يخلق فى السماء ... عاش من أجل الدعوة والتوحيد فإذا به ينطلق إلى أفاق بعيدة دون أن يتلقى تكليفا أو أمرا من قائده الأعلى الذى هو نبى الله سليمان عليه السلام ، بل ترك مكانه وأخذ يتفقد أمر التوحيد فى العالم كله .. طار بملكاته وقوته وموهبته إلى حيث يستطيع جناحه أن يحمله ولم يخش من سليمان الذى كان قد أمره أن يقف فى مكان محدد ، وغاية ما فعله حينما عاد أن مكث غير بعيد حتى يستطيع أن يخبر النبى الغاضب بأمر ملكة سبأ وعبادتهم للشمس من دون الله .. لم يزين الهدد كلامه أو يغلف عباراته بتفخيم النبى وتعظيمه ، إنما فاجأه بكلمات تامات ، فى شجاعة وقوة ( أحطت بما لم تحط به وجئتك

من سبأً نبياً يقين ) لم يقل له أنت نبي الله تعلم أكثر مما أعلم وترى ما لا أرى ، ولكنه صدح بالحق وغرد بقول تهتز له عروش ملوك الدنيا بأسرها : أنا أعرف ما لا تعرفه !! .

تأججت فى داخلى ثورة لم أتحكم فيها فارتفع صوتى وكأنى أحدث كل الإخوان بل العالم أجمع : أى حرية تلك ... بخ بخ لهذه الحرية !! وسحقا لعبودية أصحاب النملة (!) .

جمحت نفسى فى ثورتها المخبوءة والتي تكاد تمزق أحشائى : ترى لو كان هذا الهدهد من جنود الإخوان وخالف أمر المرشد أو أمر المستشار أو أمر الحاج فلان .. هل كنا سنقرأ فى قابل الأيام كيف كانت عاقبة من سعى إلى أمر الدعوة دون تكليف من المرشد الذى هو فى نظر الإخوة يعلم أكثر من الجميع ويفهم ما لا يفهمون .. هل كنا سنتحسر على ذلك الذى ادعى أنه أحيط علما بما لم يحط به ( إخوانه فوق ) ... ابتسمت لنفسى ساخرا : ( إخوانا فوق يعلمون ما لا نعلم ويرون ما لا نرى ) هه .. تلك العبارة البغيضة التى تبرر تلك السلطة المستبدة التى تهيمن على مقادير الأمور فى الجماعة .. والإخوة كلهم لا يعلمون أن الإخوة فوق لا يعلمون شيئا عن شيء اللهم إلا النذر اليسير لأنهم لا يرون إلا بأعينهم فقط .. قاموا بإغلاق عيون الجميع حتى لا يرى أحد إلا ما يرونه هم فخسروا عيوننا بصيرة مبصرة ، وكأنهم فرعون المستبد الطاغية الذى قال ( ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ) .. أغلق الإخوة عيونهم وكذبوا أفئدتهم واتبعوا قرارات ما أنزل الله بها من سلطان بعد أن غمى عليهم أن قمة إخوانهم يكتنفها الضباب والغيوم من كل جانب ، وتحج إليها السحب من كل صوب وحجب عنهم الرؤية . غامت الدنيا أمام عيني وأنا أستعيد شريط ذكرياتى مع الجماعة .. استدعيت فى خيالى أيام النور ، ذلك النور الذى خرج من مشكاة صافية هى مشكاة الدعوة الخالصة حيث الوسطية والاعتدال والفهم ، فرأيت البنا والتلمسانى والغزالى والقرضاوى وسيد سابق وفريد عبد الخالق وتوفيق الشاوى وآخرين على نهجهم ... واقتحمت بخيالى أيام الجمود والتصلب والبلادة والطاعة العمياء التى تمحو العقل وتجعل القلب رهينة فى غيابات الجب التنظيمى .. استمر صوت الشيخ مصطفى إسماعيل يداعب مشاعرى فى حين كانت الذكريات تتداعى على قلبى ، فتذكرت تلك الأحداث

التي رافقت خطواتي الأولى في الجماعة والتي كانت بالنسبة لى وقتها كالطلاسـم إذ لم أكن أفهم مغزاها وأسبابها ... تذكرت واقعة طريفة ، عندما طاف ذكرها فى عقلى ضحكت بصوت مسموع وبقلب موجوع ... كنت قد ذهبت فى بداية التحاقى بالجماعة إلى مدينة رأس سدر فى معسكر تأهيلى من معسكرات الإخوان ، وهناك حيث البحر بمدى وجزره ، والهواء بطلاقة وعنفوانه ، والطبيعة الساحرة والليل الذى تسبح فيه النجوم قضينا ليلتين فى تقشف وخشونة وعبادة ، وفى الليلة الثانية وبعد صلاة العشاء أقام مسئول المعسكر لنا حفلة سمر حيث المسابقات والجوائز والضحكات وأعطى كل واحد من أفراد المعسكر ورقة مطوية ترك له فيها أمرا يجب أن يقوم بتنفيذه حرفيا بلا تعديل ولا تغيير ، وعندما قرأت ورقتى كان الأمر فيها هو ( احمل كوبا زجاجيا من مطبخ الفيلا - لى كذا نقيم فيها - واذهب به إلى شاطئ البحر وقم بدفنه تحت كومة رمال .. وإذا جاء لك من يطلب تسليمه هذا الكوب فلا تجبه إلى طلبه مهما كان شأنه ومهما فعل ، ثم دافع عن هذا الكوب المخبوء تحت الرمال بكل قوة ثم استخرجه من تحت كومته وعد به سليما إلى حيث مكانه فى المطبخ ) .

وفعلت ما أمرتني به الورقة ولكننى أدركت أن الحيلة ضرورية فى هذا الموقف ، فقامت بدفن الكوب تحت كومة رمال قريبة من الفيلا ، ثم ذهبت إلى مكان آخر وأقامت فيه كومة ظاهرة من الرمال ووقفت عندها وكأنتى أحرس شيئا ما ، وبعد هنيهة وجدت أخين من الإخوة البارعين فى المجال الرياضى أحدهما كان بطل الجمهورية فى رياضة الكونغ فو والثانى كان بطل الجامعة فى المصارعة الحرة .. اقترب منى الأخان بحذر ثم قال لى أحدهما وهو يفتعل الجدية : يا أستاذ ثروت نحن نحبك ونقدرك ولكن جاء لنا أمر حاسم أن نأخذ منك الكوب الزجاجى الذى هو تحت هذه الكومة مهما كان الأمر حتى ولو اشتبكنا معك ، فأرجوك قم بتسليمنا الكوب حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه .. فأوهمتهما أننى سأقاوم ثم نثرت على وجهيهما حفنة من الرمال وتركتهما مسرعا وهما يظنان أنهما نالا مأربهما ، إلا أننى توجهت إلى الكومة الحقيقية حيث استخرجت الكوب وذهبت به إلى الفيلا سليما فى الوقت الذى كان فيه الأخان يبحثان عن الكوب تحت الكومة المزيفة ... يومها قال لى الأخ المسئول على مرأى ومسمع من كل أفراد المعسكر أننى لم أقم بتنفيذ الأمر ولم ألتزم

بالسمع والطاعة فقد كان من المفترض وفقا لظنه أن أذاع عن الكوب بجسدى ولكنى دافعت عنه بعقلى !! وهذا ينتقص من سلوكياتى كأخ عليه السمع والطاعة الحرفية ، وعندما ناقشته أبدت رفضى لمنطقه الغريب وقلت له : يا أخى إن سليمان النبى عليه السلام عندما طلب عرش ملكة سبأ قال لمن كان يجلس فى مجلسه ( يا أيها الملأ أياكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ) حينئذ قال عفريت من الجن صاحب قوة جسدية ( أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين ) ولكن الغلبة كانت يا أخى لصاحب العلم والفهم ( قال الذى عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) ..وقبل أن أستكمل المناقشة والاستدلال أبدى المسئول تعجبه واندعاشه وقال : يا أخى الأخ يسمع ولا يناقش ، فمن ناقش هلك !! (أصبح مسئول المعسكر بعد ذلك قيادة إخوانية كبيرة أما الأخان اللذان حاولا الاستيلاء على الكوب الزجاجى فقد تركا الجماعة - بعد سنوات قليلة من انخراطهما فيها - إلى غير رجعة ) .

وبعد سنوات علمت بمحض المصادفة أننا عندما عدنا إلى القاهرة كتب هذا المسئول توصية مفادها أننى لا أصالح كأخ عامل حيث أنه لا تتوافر بشأنى شروط الانخراط فى الجماعة لأننى أفكر ، ولكنما كان التفكير ضد الإخوان !! إلا أن علاقتى وقتها بمختار نوح وقيادات أخرى فى الجماعة ألقت بهذا التقرير فى سلة المهملات وجعلته كالهباء المنثور ... طاف صوت الشيخ مصطفى إسماعيل بأذنى وأنا أهمهم بصوت خافت :

السمع والطاعة المطلقة هما دين الإخوان .. رفعت الجماعة من شأن تلك الخصال فتم عسكرة الجماعة وتم مصادرة عقلها ... أعتب على نفسى أن تركتني نهبا لمن لا يدركون قيمة العقل وقيمة النفس البشرية التى كرمها الله سبحانه وتعالى ... وبإلم ممض وقلب متوعك أخذت أحدث نفسى وأقول لها : عشرات المواقف مرت عليك يا ثروت دون أن تشور ودون أن تحرك نفسك بعيدا عن تلك الجماعة ، وقفت فى مكانك ساكنا فلم تغضب لنفسك ولو لطرفة عين لأنك كنت تستشرف فيها ومن خلالها الإسلام الصحيح والصحة الطبية ، ولكن غلبت عليهم مفاهيم دخيلة لم تكن من سمتهم .. فهموا الطاعة على غير نسقها الصحيح ... هل تذكر ذلك اليوم الذى طلبوا فيه منك أنت وأفراد أسرتك الإخوانية أن تسيروا من منطقة الزيتون إلى مسجد عمرو بن

العاص بمصر القديمة سيرا على الأقدام لا شيء إلا لتدريبكم على السمع والطاعة بلا مناقشة !!!.. هل تذكر عشرات المواقف التي انعدمت فيها العدالة .. فهذا أحمد سيف يخرق كل قواعد الإخوان ويثير امتعاض الجميع ولا يستطيع أحد الاقتراب من حياضه ، وهذا ذلك الذى أصبح عضوا بمجلس نقابة المحامين فى قائمة طوسون ثم قام بسرقة عشرات الآلاف من الجنيئات من أموال المحامين والإخوان يعلمون كل شيء عن سرقاته ، ولكن لم يفعل أحد منهم شيئا فى مواجهته ولو من باب الحفاظ على أموال استأمنهم المحامون عليها .. هل تذكر مأمون الهضيبي حين جلس فى ندوة من الندوات السياسية التى أعدتها نقابة المهندسين عام ١٩٩١ حينها أخذ يوجه العديد من الإهانات لكبار السياسيين المصريين وأخذ يمنع هذا من الكلام وذاك من إبداء الرأى وعندما اعترض إبراهيم شكرى على طريقة الهضيبي فى إدارة الندوة قال الهضيبي : أنا صاحب هذا المكان وأنا الذى أسمح وأمنع .. وكأنه يتحدث مع مجموعة من التلاميذ الصغار الأمر الذى أغضب الكل منه ، ولم يستطع أحد من الإخوان محاسبته رغم الشكوى التى تقدم بها ضده المهندس أبو العلا ماضى .. واسترسلت أفكارى الغاضبة فى التدفق إلى أن فرغ النصف الأول من تلاوة الشيخ على جهاز التسجيل ، وقتئذ انسكبت ذاتى فى ذاتى وعدت من حالة الوجد التى استغرقتنى إلى دنيا الناس وأنا أغمغم بصوت شبه مسموع : لك أن تعيش بعقلية النملة أو أن تحلق بأجنحة الهدد ... ونظرت من حولى فإذا قرص الشمس المستدير قد ارتدى غلالة حمراء واصطحب الشفق معه كى ينصرف فى موكب الغروب من السماء إلى حيث يشاء الله ، فأسرعت بسيارتى إلى بيتى أسابق بها هذا الموكب العجائبي الخلاب.

هدأت زوجى من روعى إذ وجدتني مُتعباً قلقاً متهدج الأنفاس :

" اعرض ما حدث على كتاب الله "

" . فإن وجدت منهم زيفاً عن الحق فاتركهم .. "

" كن مع الله . ولكن معهم إن رأيت أنهم مع الله... فإن حادوا عن طريق الله

فلا تكن معهم "

" الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبّهات "

" ليسوا سواء .... منهم الصالحون ومنهم دون ذلك "

” دخلتُ إلى الإخوان تقرباً لله ، فإن خرجتُ فليكن لله ”  
” عطلتك تلك الأحداث وأوقفتك فلم تستثمر مواهبك وقدراتك في سبيل الله .  
” كم طلبتُ منك من قبل أن تظل معهم رداً تصدقهم ، والآن أن لى أن  
أطلب منك أن تغادرهم ، واحتسب ما حدث لك عند مولاك الحكم العدل  
اللطيف الخبير ”

” وهبك الله مواهب عديدة فكلوها ... فخلق في سماء الدعوة من دونهم إن  
رأيت ذلك .. وهم مع ذلك إخواننا ظلمونا ولكننا لن نظلمهم ”  
” عشت معهم ولم يعرفوك حقاً ، وسيعرفونك ذات يوم ”  
” يستطيع المسلم أن يكون أمة ... فكن أمة ... وكُن للحق ، ولا تحزن إن  
جهلوا مقصدك فالله يعلمه ”

فاستراحت نفسي وهداً خاطرى واجتاحتنى فرحة غامرة لم أدر سببها ،  
ولعلها فرحة السجين الذى اقتربت حريته.. فأمسكت بورقة وقلم وكتبت خطاباً  
مطولاً لمختار نوح أخبرته فيه عن تفصيلات تلك الأحداث التى مرت بى وعن  
تلك المحاكمة الغريبة ، وأنهيت الخطاب بعبارات واضحة قلت فيها : ” أن لى أن  
أترك الجماعة بلا عودة فهى جماعة لا يهتمها فى قليل أو كثير ماذا قال الله  
وماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما يهتمها فقط (ماذا قال المرشد  
وماذا قال المستشار ) ” .

وفى اليوم التالى تحدثت هاتفياً مع صديقى أحمد ربيع المحامى الإخوانى  
وكننت قد انقطعت عنه زمناً منذ أن تمت الانتخابات ، فأسررت له بعبارات  
موجزة جملة ما حدث لى وما فعلوه معى فأخذه العجب وقال لى : إن ما حدث  
معك علامة فارقة تؤرخ للجماعة .. ثم أضاف قائلاً والحسرة بادية فى صوته  
المكتوم : أنا أخجل نيابة عن كل أخ حر مما حدث لك ، ويبدو أنهم فعلوا ذلك  
لسبب من اثنين ... فإما أنهم جهلوا قدرك فتمادوا.. وإما أنهم علموا قدرك  
فأرأوا أن يقزموك لأن ديدنهم وأد الملكات الذاتية فى الأخ حتى يتماهى فى  
الجماعة ويصبح جندياً يدين لهم بالولاء والطاعة ... واستطرد معبراً عن أسفه  
: عبر تاريخى كله فى الجماعة رأيتهم يحاربون أصحاب المواهب والملكات  
بدعوى قتل حظ النفس .. أما الآن فإنهم لا يقتلون حظ النفس فحسب ،  
ولكنهم أيضاً يقتلون الكرامة والرجولة (!) .

سكت ربيع لبرهة ثم قال بصوت مخنوق : عجوز هى جماعة الإخوان ،

ولكنهم قدموها لنا فى غسق الليل فلم نرها .. زينوها بالخلافة والوسطية والاعتدال إلا أن هذا كله كان زينة لعجوز احدودب ظهرها .. جماعة الإخوان يا صديقى هى تماما كما قال الشاعر :

”عجوز يُرجى أن تكون فتية ××× وقد غارت العينان واحدودب الظهر”  
”تدس إلى العطار سلعة بيتها ××× وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر”  
”وما غرنى إلا خضاب” بكفها ××× وكحل” بعينها وأثوابها الصفر”  
وجاعوا بها قبل المحاق بليلة ××× فكان محاقا كله ذلك الشهر فأخبرته عن العزم الذى انتويته وعن الخطاب الذى كتبته لنوح ، فقال والأسى يملأ جوانحه :أنا أغبطك على الحرية التى ستنالها ، وأتمنى أن أفعل مثلك إلا أنك أقوى منى ، وقد يصلح الله هذه الجماعة على يدى أنا وبعض إخوانى وقد نعيد لها شبابها وقد نستطيع الانتصار لعقلها وفك الأغلال التى كبلتها .. ودعا لى بالتوفيق وأنهينا الحديث على وعد بقاء قريب .

وبشق الأنفس استطعت تهريب خطابى الحاسم إلى مختار داخل السجن عن طريق أحد الجنود الذين تعودنا أن نعطيهم هبة أو عطاءً ما نظير القيام بهذا العمل ...ثم انتظرت ساعة أو بعض ساعة أمام بوابة السجن الداخلية على أمل أن أتأكد من وصول الخطاب لصاحبه ، وما إن تأكدت حتى تنفست الصعداء ... فقد وصل الخطاب إلى مختار .. وأن لى أن أغرد بعيدا عن سرب الإخوان ... ولكن يبدو أن بعضهم كان قد أحكم التدبير والمكر وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال .. وبعد أيام بدأت أحداث شيبتنى وزلزلت فؤادى .

★★★

بعد أن أقمت الدعوى القضائية الأولى التى تستهدف الإفراج عن مختار نوح والمحبوسين معه ، لاحظت أن هناك سيارة ( هونداى ) فضية اللون تتبعنى فى الذهاب والإياب بحيث تكاد لا تفارقنى أبدا .. وكنت أنظر لقائد تلك السيارة وأنقرسه مليا على حين غرة منه فأجده شابا يافعا يلبس فى كل الوقت - حتى فى الليل - نظارة شمسية عريضة وكأنه يخفى بها ملامح وجهه .. فلم أحفل بهذا الأمر ووقع فى خاطرى أن بعض الجهات الأمنية تريد أن تتابع خطواتى كى تعرف مآل القضايا التى بدأت فى تحريكها .. ولا أخفيكم سرا أننى بذلت جل همى ونزفت جهدى لتأصيل هذه القضايا من الوجهة

القانونية ... ولكن والحق أقول لم يكن الجهد جهدى وحدى إذ لا أنسى الجهد الذى بذله معى المحامى مصطفى عمر الذى يعمل بمكتب مختار نوح - وهو من شباب الإخوان - وكان للمناقشات القانونية التى أجريناها مع مختار نوح وخالد بدوى أثناء زيارتنا لهما أثر فاعل فى التكييف القانونى للقضايا ... كما تضافرت معنا جهود ثلة من كبار المحامين فى مصر منهم المحامى الوفدى العلم الأستاذ محمد علوان وأستاذ القانون النابه دكتور عاطف البنا والدكتور محمد عصفور الفقيه الدستورى الكبير - والذى فقدته مصر بعد ذلك فى مشهد حف بالانكران والجحود فلم يشهد جنازته أحد ولم يشيعه إلى مثواه إلا قلة من الأوفياء - وكان معنا أيضا المحامى النابه القدير عصام الاسلامبولى ، وكان أن نشرت الصحف خبر تلك القضايا ودارت التكهينات بشأنها وشأن المتوقع منها ، وأجرت معى إذاعة لندن حوارا حول الخلفيات القانونية والسياسية لتلك القضايا ، ودارت عجلة الجلسات القضائية ... وممرت الأسابيع... وانشغلت بالمرافعات وكتابة المذكرات والأبحاث القانونية وخلق حالة إعلامية تواكب تلك القضايا وتبرزها للرأى العام .

كنت قد انقطعت عن حضورى اللقاء الأسبوعى لأسرتى الإخوانية رغم تكرار سؤال الدكتور حسن عبد الحليم - نقيب الأسرة - عنى بشكل دورى.. وخفت اهتمامى بنتيجة التحقيق والمحاكمة التى تمت معى خاصة أن أحدا لم يحدثنى عنها أو يفتح معى حوارا بشأنها رغم وعدهم المغلظ أن النتيجة ستعلن فى غضون أيام قليلة فكان أن نسيت - أو تناسيت - أمر هذه المحاكمة والمؤامرات التى حيكت ضدى داخل الجماعة ، وكان ظنى أن الإخوان أغلقوا باب هذه المحاكمة بعد أن تيقنوا من تهافت الاتهامات وعدم صحتها وقلت وأنا أحدث نفسى : يبدو أنهم ثابوا إلى رشدهم .

ومن ناحية أخرى كنت قد اعتدت على هذا الشاب اليافع الذى يراقبنى ليل نهار فأصبح كائه جزء من حياتى إلا أننى لم أحفل به ولم أحرص على الهروب من مراقبته .

ومع تواتر الأيام انتهت إلى أن الجدية التى صبغت بها حياتى آنئذ أغلقت خافقى فلم يفتّر ثغره عن ابتسامة - ولو مصطنعة - تنعكس على محياى الأمر الذى جعلنى أبدو أمام الناس جهما متجهما على غير طبيعتى .

أه أيها القلب ما أشبهك بالأرض .. إذا أنزل الله الماء على الأرض اهتزت



وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .. والقلب كذلك ينتظر قطرات إذا لم تصل إليه جف وتشقق كالأرض الهامدة .. وكان أول الغيث الذى انهمر على قلبى قطرة .. فقد تلقيت خطابا من مختار أدركت منذ وقعت عليه عيني أنه يحاول فيه أن يثنيى عن المضى فى قرارى .. قرأت الخطاب على مهل إلا أننى لم أتدبر معانيه وكأننى احتجرت عقلى عن التفكير حتى أشارك الدكتور توفيق الشاوى فى القراءة فحملت الخطاب وقلت لنفسى وأنا أعاتبها : أن لى أن أعاود زيارة الدكتور - وكنت أناديه بالأستاذ - فقد تعافى من سقمه وحقت الزيارة ، وقد تكون الفرصة حينها سانحة حتى أتحدث معه باستفاضة وأقرأ معه هذا الخطاب الفريد ... وحدث أخطر وأعرق حوار بيننا .

فى حجرة الصالون التليدة ذات الطراز الفرنسى جلست على كرسى مواجه للأريكة التى كان يجلس عليها الأستاذ ، لم أترك شاردة أو واردة إلا وأخبرته عنها ، كانت خلجات وجه الرجل ترتعش فى بعض المواضع وكانت ابتسامته تنطلق حتى تكاد تتحول إلى قهقهات فى مواضع أخرى ، وكان يغمغم بعبارات تتم عن الأسى ثم يقول : حقا صدق الأولون إذ قالوا "هم يضحك وهم يبكى " .. وعندما أخبرته عن خطاب مختار نوح الذى أرسله لى من سجنه أشرق وجهه بابتسامة هادئة مريحة ثم قال وهو يخفى دمعة كادت أن تنزلق من عينيه : ظلموه هذا الولد ... ولكن الظلم الأكبر سيقع عليه من إخوانه بعد أن يخرج من محبسه.. إذا كتب الله لى عمرا .. سأذكرُك بكلماتى هذه ... اسمع يا بنى سيخرج نوح من سجنه إن أجلا أو عاجلا ولكن هناك نفرا من إخوته لن يتركوه وشأنه وسيطردونه حتما خارج الجماعة .

قلت وأنا أشكك فى توقعاته : يطردونه !! كيف يطردونه ؟ يبدو أن فضيلتك لا تعلم أن مختار من المقربين للمستشار مأمون الهضيبي !.

ضحك ضحكة خفيفة أقرب للحسرة ثم قال : مأمون هو الذى سيضع بقلمه الحرف الأول من قرار الطرد والإبعاد ، وقد أخذ الضوء الأخضر بذلك من المرشد مصطفى مشهور.. أما باقى القرار فسيصدر من محمد حبيب نجم المستقبل وأعوانه ،

قلت مستفهما : أعوانه .. من أعوانه ؟

قال موضعا : محمد طوسون مثلا الذى تسبب فى محاكمتك .. هو رجل طيب ولكنه أحد رجال محمد حبيب وله طموحاته الخاصة ... صدقنى يا بنى

فأنا أعرفهم كما يعرفون أنفسهم أو أكثر .. هذا هو أسلوب حبيب .. كل الذى حيك ضدك كان من نسجه .. وهو لا يبنى يدبر الخطط التى سترمى مختار بعيدا عن الجماعة ذات يوم ... وسيلحق به عبد المنعم أبو الفتوح الذى يعيش داخل الجماعة على أمل الإصلاح ومن قبلهما السيد عبد الستار المليجى ولن ينجح عضام العريان فى الحصول على مساحة له رغم ذكائه التنظيمى وسيظل مهمشا طول عمره وأظن أن إبراهيم الزعفرانى فى طى النسيان الآن .. ثق تمام الثقة أن ما حدث معك هو شكل من أشكال الضربات التى يوجهها حبيب لنوح .. وسيوجه غيرها له بعد ذلك بطريقة الملاك الذى يجهد منافسه ويستنفذ قوته .... فلا تظن أنك مقصود لذاتك ولكنك مقصود لغيرك ، والهدف هو إفساح الطريق لطوسون كى يتسلطن على نشاط الإخوان فى نقابتكم .

قلت متعجبا : الغريبة أن مختار يحاول فى خطابى إثنائى عن قرارى الذى اتخذته بترك الإخوان ، ولا أظن أنه يعرف أى شيء عن هذا الذى تقوله الآن .  
- ليس من المطلوب أن تترك الإخوان الآن ... أنا معه فى ذلك ، ولكنى معك فى أنه لا يعرف شيئا عن ذلك الذى يدور داخل دهايلز الجماعة وأروقته الداخلية .

- هل أفهم من حديثك أن حبيب يحلم بخلافة الحاج مصطفى فى موقع المرشد .

- لا أبدا .. حبيب يدرك أن أوانه ليس الآن ، فما زال مأمون موجودا وليس فى إمكان أحد أن ينافس له .. ولكنه يحلم بفترة ما بعد مأمون ، ولكن يشق عليه وجود خيرت الشاطر ويخشى من عبد المنعم أبو الفتوح .. لذلك يقوم بإقصاء من يظن أنهم سيكونون مع غيره ويسعى إلى تنصيب رجاله فى المواقع الهامة انتظارا لتلك اللحظة التى سيقطف فيها ثمرة جهده .  
- ولكن خيرت قوى .

- خيرت ليس سهلا بالمرة ويسعى إلى ما يسعى إليه حبيب وهو أحد مراكز القوة فى الجماعة ... لذلك حبيب يهادنه مؤقتا ثم سينقض عليه .. حبيب وخيرت هما نجما العشر سنوات القادمة ولكن مشكلة خيرت ثقته المفرطة فى ذكائه إذ تجعله هذه الثقة لا يأبه لذكاء الآخرين .

- وعبد المنعم أبو الفتوح .. أين هو ؟

- عبد المنعم طيب ومحترم وصديق وظاهره كباطنه .. ليس له فى المؤامرات

والدسائس ويعيش على أمل الإصلاح من الداخل وأنا معه فى هذا وأؤيده بكل قوة فى مسعاه رغم أنهم يمررون ما يريدونه بعيدا عن ذقنه .. ولكننى أخشى عليه أن يضيع بين أقدام المتحاربين .

– هناك خامات جيدة فى الإخوان قد تقوم لهم قائمة ، وأظن أن بروز اسم دكتور جمال حشمت نائب دمنهور فى الآونة الأخيرة يعطى أملاً فى غلبة فريق عبد المنعم أبو الفتوح .

– جمال حشمت ولد ممتاز وأفكاره رائعة وهو واسع الأفق ثاقب البصيرة وهو مثلك ناظم على الأوضاع المتردية ولكنى أخشى أن يسحقوه .. يعيبه أنه لا يتمتع بدهاء الآخرين الأمر الذى يجعله يلجأ لمداهنتهم فى بعض الأحيان حتى يحتفظ بمكانة ما فقد تعلم من مشكلة حزب الوسط واستوعب الحكمة التى تعلمها من رأس الذئب الطائر .

– وهل كانت له علاقة بحزب الوسط ؟

– نعم كان مؤسسا ولكنهم أجبروه على إلغاء التوكيل الذى كان حرره لأبو العلا ماضى فخضع لهم ولم ينبس ببنت شفة ... ليس هو فحسب ولكن جمهرة من الإخوان المؤسسين ساروا خلف قرار مأمون بإلغاء التوكيلات .

– هل تعلم يا أستاذى أن جزءا كبيرا من محاكمتى قام على صلاتى بأعضاء حزب الوسط وبالدكتور سليم العوا .. ألهذا الحد يمثل حزب الوسط عنصر قلق للإخوان !!!

ضحك الأستاذ ضحكة أسى وهو يقول :

– لم تُحاكم أو تحاسب أنت وحدك يا بنى ، فمن قبل تمت محاسبة الدكتور حامد عبد الماجد حساب الملكين .. أنت تعلم أن حامد كان عضوا باللجنة السياسية فى الجماعة .. رآه مأمون وهو يمسك برنامج الحزب فكانت الحاققة والطامة الكبرى والنازلة .. ولم يشفع لحامد أنه دكتور فى العلوم السياسية وبرامج الأحزاب تدخل فى تخصصه بل زاد الطين بلة أن حامد قال لمأمون أنه أخذ البرنامج من عصام سلطان أثناء زيارته له ، فثار مأمون لأن زيارة المارق عصام فى قانونه جريمة كبرى .

نظرت لسقف الحجرة وأنا أكاد أتميز من الغيظ .. وسادت بيننا لحظة صمت ، وقبل أن استرسل فى الحديث انشغل الأستاذ بالرد على مكالمات تليفونية وبعد أن وضع الهاتف قال وكأنه يستدرك : أنا قلت من قبل فى

تصريح صحفى أننى أؤيد مساندة القرضاوى والعوا لحزب الوسط وقلت أنه ينبغي للإخوان أن يساعدوا هذا الحزب لا أن يقفوا ضده وقد أثار هذا التصريح غضب مأمون إلا أننى لم أعر غضبه التفاتا .

استرسل الأستاذ كأنه يستدعى ذكرياته : هل تصدق أن الحال وصل بمأمون لدرجة أنه غضب غضبة شديدة على الصحفى الكبير محمد صلاح مدير مكتب جريدة الحياة فى مصر لأن محمد يجرى حوارات مع مجموعة الوسط ، ويبدو أن مأمون ظن أن محمد صلاح عضو تحت قيادته فى التنظيم فحدثه فى الهاتف وطلب منه قطع صلته بمجموعة الوسط وعندما رفض محمد صلاح هذا الطلب وهو يتعجب أصدر مأمون قراره بمقاطعة الإخوان لجريدة الحياة .

خرجت الدهشة من وجهى ولكأنما كانت بشرا سويا إلا أننى استخرجت نفسى من حالة الدهشة وقلت للأستاذ مستفهما : ما الذى جعل الإخوان ينقمون على الوسط كل هذه النقمة .

قال الأستاذ بهدوء المعهود : ضيق الأفق وقلة الوعى وضحالة الفهم السياسى .. جماعة الإخوان يا بنى تسير حاليا بلا عقل .. تستطيع أن تقول إنها جماعة فقدت رأسها .

- يا الله !! أين نحن ؟ وكيف يكون هذا هو أمر جماعة تدعو لله ؟

- يا بنى " اعلم أن الخيرية ليست صكا يمنحه الله سبحانه وتعالى لفريق من الناس على بياض دون غيرهم أبد الأبدى لمجرد أن اسمهم (الإخوان المسلمون) .. ولكن الخيرية مرتبطة بالنية والإخلاص والعمل .. فإذا ضاعت منا الخيرية تاهت خطواتنا ووقعنا فى حفر لا أول لها ولا آخر ، ولن ينفعنا ساعتئذ اسمنا أو شعارنا أو هتافاتنا .. "

" لن ننجح إلا بالحب .. ومن أسف فإن الغل حل محل الحب والطموحات الخاصة غيبت المصلحة العامة للأمة .. فكيف تقوم لنا قائمة "

" كنا طلاب آخرة فأصبحنا طلاب دنيا ... ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه "

" أتجرع حسرتى على جماعة أفنينا أعمارنا فيها من أجل الله فذهب القوم بها إلى غايات أخرى "

وسكت الشيخ وهو يتنفس الصعداء وينظر لى بطيبة سخية وكأنه أبى ...

فقلت له وأنا أُسرى عنه :

- أريد أن أقرأ لك بعض سطور الخطاب الذى وصلنى من مختار فلعل بعض كلماته تبهج خاطرك .

ابتسم وهو يقول :

- تفضل على الرحب والسعة ... وأنا أحب أن أسمع .

- " أخى الحبيب ثروت أخى إلى الأبد إن شاء الله بحكم الأخوة وحكم

الفضل

" رسالة شكر وعرفان أرسلها إليك ..وصلنى خطابك الغاضب فى قراره العاقل فى لفظه ولقد أحسست فيه بأنفاسك وهى تتصاعد ويوجهك وهو عابس ولا أرى داعى لذلك أبدا ..

وأرد أولا على بعض النقاط التى سقتها فى خطابك .. وأبدأ بأخر فقرة .. وآخر سطر والذى تقول فيه " ولكنى عازمت بعد خروجك إن شاء الله على التفرغ لعملى ولحياتى الخاصة "

أشار الأستاذ بيده إشارة تدعونى إلى التوقف ثم قال : أنت تنقل له خبر رغبتك فى ترك الجماعة بعبارات ضمنية وكأنك تخشى عليه من وقع هذا الخبر

- هذا سبب .... ولكن العبارات الضمنية أيضا لها أسبابها الأمنية فقد يقع الخطاب فى يد الأمن والاحتياط واجب.

ضحك الأستاذ ضحكة خفيفة ثم أشار لى أن أكمل القراءة .

- " لا أعرف يا صديقى أنك أصبحت تنفرد بالقرار وتطبقه على نفسك دون مناقشتى .. أليس فى ذلك إهدار لحقى عليك .. فكما أنى قد مكنتك من قرارى قبل دخولى وأسكنتك داخلى فحق لى أن اسكن داخلك وانعم بالتمكن من قرارك .. وأحسب أن سيارتك الفيات شهدت وفاة العديد من القرارات وكذلك ميلاد أخرى .. عندى وعندك على السواء .. الآن حان التمرد والانفراد بالقرار .. فإن فعلتها أنت ما أنا بفاعل ... القرار الذى ستتخذهُ أنا به أولى أو خالد بدوى لأن ما تعرضت له من إيذاء لا يساوى واحداً على مليون مما تعرضت له أو مما تعرض له خالد "

قاطعنى الأستاذ قائلا : ألم أقل لك .. لن يسلم نوح من الإيذاء هذه خطة محكمة ... خطة الصراع من أجل المستقبل .. من أجل موقع المرشد .. ذلك

الموقع الذى أذل أعناق الرجال .. هه .. أكمل .

استكملت القراءة بتأني " لا تنظر إلى الحياة على أنها شهر واحد ولكن انظر إليها على أنها سنوات وأجيال قادمة ووفر انفعالك ... وقد عرضت خطابك على إخوة معنا أولهم خالد فطلب أن أضع توقيعه على الخطاب منضما لى فى كلامى أما الآخر فهو أخ فاضل أثق فى رأيه أما الثالث فهو الدكتور بديع وهو له وضعه فى الدعوة وقد أفادنى الدكتور بديع بما هو نصه : أن تقييم الموقف من ثلاث زوايا .. فأما الأولى فهى تحليل ما يحدث وهنا أكد لى أن سبب ما يحدث هو أن ما فعله ثروت أظهر قصور الآخرين لاسيما وأن العمل النقابى لا يبدو على ما يرام .. فسامح هو الشخصية الظاهرة ولم نسمع عن مشروع قدمه الإخوان فى نقابة المحامين طوال الأشهر الماضية .. وعلى المستوى الأخرى لم يقدم لك - أى مختار وخالد - أحدهم شيئا يستقيم ومعنى الأخوة .. فثروت كالعداء السريع الذى أظهر عجز الآخرين والغيرة هى الأساس .. وأما الثانية فهى أن معالجة ثروت للأمر كانت على خير ما يرام ولكن عليه ألا يقرر هو أى شيء وحده .. لا تقاعد ولا بعد ولا كسل وإنما يمشى فى طريقه وعليه أن يستشهد بالدكتور بديع والدكتور محمد بشر بالذات لأن خطة تصدير القلق هى خطة المسجونين وقد نقلناها إلى طوسون ومع ذلك لم تنفذ الخطة .. وتستطيع أن تستشهد بهما أو بأحدهما عما قدمته لنا بينما عجز الآخرون طواعية .. ومنى أنا أقول عليك طلب شهادة الدكتور بديع والدكتور بشر عن دورك الإعلامى والقانونى الذى وفقك الله فيه وتستشهد تحديدا بالدكتور بشر فى أمر خطة تصدير القلق وأطلب منك زيارة سريعة جدا ولو عن طريق حمدى خليفة وأنا أعرف مدى صعوبة ذلك وإلى هذا الحين اعلم أننا جميعا نحبك فى الله خاصة أنا وخالد "

نظرت إلى الأستاذ فوجدت ملامحه قد اكتستت بابتسامة رضا وساد الصمت بيننا وبدا أن الرجل استغرق فى تفكير عميق ... فاحترمت صمته ولم أشأ أن أقطع عليه حبل تفكيره حتى تنحنح الشيخ الوقور وقال : كلام طيب من نفسية طيبة .. معادن الرجال تقاس بقلوبهم لا بعقولهم .. لا تصاحب يا بنى إلا من تثق فى صفاء قلبه وأصالة معدنه .. ومختار ولد طيب النفس والقلب أصيل المعدن .. ولكن فى نفسى شيء من الدكتور بديع والدكتور بشر

– الدكتور بديع داعية من الطراز الأول ويجيد ترقيق القلوب بخواطره وطريقته المحببة فى الحديث

– أعرفه طبعاً وأعرف حديثه وطريقته ومنهجيته الفكرية .. لقد كان أحد المتهمين فى قضية سيد قطب عام ١٩٦٥ وهو لم يعرف فى حياته إلا قيود التنظيم وآلياته فاعتمد عليها وأصبح جزءاً منها .. هو طبعاً طيب القلب ويعمل لما يظن أن فيه صالح الدعوة وفقاً لخلفيته الفكرية ولكن أفكاره بعيدة تماماً فى منبتها عن أفكار حسن البنا .. فهو من العاشقين لسيد قطب ويحفظ كتابه "معالم فى الطريق" عن ظهر قلب .. إلا أنه فى لحظة واحدة من الممكن أن ينساک تماماً بل من الممكن أن ينكر ! ومن اليسير عليه أن يتنكر لما قاله لمختار فلا تراهن عليه أبداً ويبدو أن مختار تأثر من رقائقه .

– الذى أعرفه أن بديع مثقف ثقافة متنوعة

– ليست الثقافة هى الكم المعرفى الذى يخزنه الشخص .. فالحاسب الآلى يخزن معلومات ليس فى إمكان بشر أن يخزنها .. ولكن الثقافة سعة أفق ومرونة وسلوك وقدرة على التمازج مع الواقع ... أضرب لك مثلاً ..عندك عبد المنعم أبو الفتوح ليس لديه الكم المعرفى الذى عند محمد بديع أو عند خيرت الشاطر ولكنه أكثر ثقافة منهما لما لديه من مرونة وسعة أفق وقدرة فائقة على التعاطى مع الواقع المحلى والدولى .

– وماذا عن الدكتور محمد بشر ؟

– الدكتور بشر عقلية ممتازة ولكنه متخاذل ليس له موقف محدد واضح ... تارة هنا وتارة هناك .. من السهل عليه أن يتخذ قراراً فورياً حماسياً بتأييدك والمنافحة عنك .. ومن الأسهل عنده أن يتراجع عن تأييدك ومناصرتك بلا أدنى سبب ولا أدنى شعور بالحرج !!... أفضل ما فى محمد بشر هو ابنه هانى .. ولد فلته من فلتات جيل الشباب .. عقله مستنير بحق لذلك لن يبقى فى الإخوان أبداً .

– إذن مختار يزاهن على جوادين هما فى الأصل مع غيره !!

– مشكلة صديقك مختار أن حساباته التنظيمية قامت على صلته بالأستاذ عمر التلمسانى رحمه الله .. ثم قامت على صلته بمأمون الهضيبى ... ولكن هناك مراكز قوة حقيقية داخل الجماعة تشيب من هولها الولدان أهملها ولم يحسب حسابها .

حانت منى التفاتة لساعة الحائط فوجدت الوقت قد انسرب دون أن أشعر به فقامت أقبل رأس الشيخ وأودعه وأستودعه الله الذى لا تضيع ودائعهُ وأنا أطلب منه الدعاء ، فدعا لى وألح عليّ أن أكرر الزيارة مرات ومرات .  
وأسفل بيت الأستاذ وجدت السيارة الهونداى الفضية تنتظرنى .. فجرى فى عقلى أن أجعلها تقتفى أثرى لبرهة يسيرة ثم ألوذ بالفرار منها فلا تلحق بى .. وبالفعل تحركت بالسيارة بطريقتى المعتادة وعندما أطمأن من يطارندى غافلتُهُ وانجذفت يمين الطريق فى الوقت الذى كانت إشارة المرور قد أوقفت السيارات التى من خلفى فضعت منه ولم أجد له أثرا من خلفى .



بعد لأى مضمّن وجهد مستميت استطعت الحصول على تصريح فريد لزيارة كل الإخوة المساجين مرة واحدة !!... ستة عشر مسجوناً سأنورهم جميعهم فى يوم واحد ووقت واحد .. لم تكن تلك الزيارة بشكلها وطريقتها قد أتاحت لى من قبل كما أنها لم تتح لى بعد ذلك أبداً .

كان يوم الأربعاء هو اليوم الموعد للزيارة وكان فصل الصيف قد ألقى بجمرات من حرّه وصهده على الخلق أجمعين .. لذلك رأت إدارة السجن أن تكون حديقة ملحقة مزرعة طرة هى المكان المخصص للزيارة خاصة أن أحد الضباط سيمكث معنا أثناءها ... واصطفت المقاعد بشكل دائرى تحت مجموعة من الأشجار ذات ظلال وارفّة وكأننا سنعقد اجتماعاً لمجموعة من الأصدقاء فى أحد الأندية ، وما إن جلست على أحد المقاعد حتى بدأت وفود المساجين من الإخوة تتوافد على المكان وكان أولهم هو الدكتور محمد بديع الذى ما إن رآنى حتى أقبل عليّ والبشاشة تنطلق من وجهه وأخذ يعانقنى ثم قبل رأسى وهو يهمس فى أذنى : والله الذى نفسى بيده لأنتصر لك فور خروجى وسأعلمهم كيف يُنزلون الناس منازلهم فأنّت صاحب فضل علينا بعد الله سبحانه وتعالى وليس هذا جزءاً من وقف يصد عنا غوائل الأحكام فلا يصح أبداً أن يكون جزاؤك هو جزاء سنمار.. ومن بعده كان الدكتور محمد بشر الذى بدا الحبور والبشر على وجهه وهو يقبل رأسى وكتفى ثم قال متحسراً : لا تحزن يا أخى من أفعالهم .. أعلم أنهم أتعبوك ولكن ثق أن الحق سيظهر وسأصك أذانهم بكلمة حق مدوية ستخلع أفئدتهم .. وسيعلمون حينها أنهم أخطأوا فى حقنا بما فعلوه معك قبل أن يخطئوا فى حقك أنت ... وكان



المهندس مدحت الحداد هو ثالثهم وقد أفرط فى تطييب خاطرى وقال : بوجه خاص يا أستاذ ثروت أنا من أكثر المعجبين بك وبكتابك .

وهكذا توالى الجمع وظهر مختار نوح وخالد بدوى وهما يشقان الطريق ناحيتى مسرعين حيث عانقانى وقبلا رأسى ثم جلس الجميع من حولى وأخذنا نتحادث بشأن القضايا التى أقمتهما وشرحت لهما فكرة قضية الإفراج عنهم لمرور ثلاثة أرباع مدة العقوبة وكنت قد أحضرت معى لائحة السجون وظهر من المناقشة أنهم استغرقوا من قبل فى جدل عميق حول تلك القضية ... وانتهت الزيارة بحصولى على موافقة جماعية بإقامة تلك الدعوى وقد شكر لى الجميع الجهد المبذول فى القضيتين الآخرين وأبدوا إعجابهم بالنشاط الإعلامى الذى بذلته من أجل إحياء قضيتهم أمام الرأى العام ... وفى النهاية وأثناء انصرافى كرر لى الدكتور بديع كلماته المشجعة حيث همس فى أذنى قبل أن يستدير بوجهه عائداً إلى محبسه : سترى عند خروجى تغير الأحوال إلى ما يسرك .. والله يا أخى لأفعلن بهم الأفاعيل .

وعندما انصرفت بسيارتى رأيت من خلال المرآة تلك السيارة التى تطاردنى صباح مساء .. وكان شعورى بالضيق قد أخذ فى الازدياد من تلك المطاردة المقيتة وأثناء محاولتى الهرب من المطاردة سمعت رنين الهاتف المحمول وعندما قمت بالرد سمعت صوتاً خشناً عريضاً يقول : - السلام عليكم يا أخى الكريم .

- وعليكم السلام ورحمة الله

- أنا أخوك عبد المنعم أبو الفتوح

- يا ألف مرحبا بك يا دكتور ما هذه الظروف السعيدة التى ذكرتك بى

- الله يبارك فيك ... ولكنها للأسف ليست ظروفًا سعيدة

- خير إن شاء الله

- إن شاء الله خير ... لكن هناك أمر يخصك فى منتهى الخطورة أريدك من أجله بشكل عاجل ... وسأنتظرك غداً فى بيتى بعد صلاة العصر .

شكرته ووعده بالذهاب إليه فى الموعد المضروب ، وأغلقت الهاتف وأنا أدندن مع المذيع رائعة إبراهيم ناجى التى غرّدت بها أم كلثوم

اعطني حريتي أطلق يدى .. إننى أعطيت ما استقيت شيئاً

أه من قيدك أدمى معصمى ... لم أبقه وما أبقى علياً

ما احتفاظى بعهود لم تصنها .. وإلام الأسر والدنيا لدياً



## الفصل التاسع

### الرحيل

«ولكن رجع الصدي عاد إلى صاحبه مكللا بالحزن والألم ،

وي كأنه يبكي وقتها كما يبكي الرجال ... هل تعلم كيف يبكي الرجل ؟ يبكي قلبه ورأسه مرفوعة وشفته منفرجة عن ابتسامة خفيفة خفية ، لا ينكس رأسه أبدا ، هكذا يكون الرجل وهكذا يبكي صاحبنا .

يمتلك الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح شقتين فى إحدى العمارات الكائنة فى المنطقة السادسة بحى مدينة نصر ، وقد جعل من الشقة الكائنة بالدور الأول مقرا لسكنه ، وجعل من الشقة الثانية الكائنة فى الدور الأرضى عيادة طبية لزوجه طبيبة النساء والتوليد ، وفى الموعد المحدد كنت أطرق على استحياء باب شقته السكنية ... بشّ الدكتور فى وجهى وأحسن الترحيب بى ثم اصطحبني إلى شقة العيادة الكائنة فى الدور الأرضى والتي كانت خالية وقتها ، ويبدو - والله أعلم - أنه كان قد أعد هذه العيادة لمقابلاته الخاصة مع الإخوة إذا كان الموضوع محل المقابلة خاصاً أو به قدر من السرية .

عندما جلسنا فى إحدى حجرات العيادة نتبادل بعض عبارات المجاملة أخذت أستشرف وجه الدكتور عبد المنعم وأتفرسه علنى أستشف من قسّمات وجهه سبب هذه المقابلة أو الدافع لها كئنى وأنا أتفرس وجهه أقول له : " ماذا وراءك يا رجل وهل سأجد لديك الخبر اليقين " .

وأثناء حوارنا عن الأحوال والدنيا وأخبار منطقة مدينة نصر - الإخوانية - وحالة مصر السياسية دخل علينا عبد الرحمن ابن الدكتور عبد المنعم وهو يحمل صينية الشاي ووضع أمامى كوب الشاي بأدب جم فقلت فى نفسى " هذا الشبل من ذاك الأسد " .

وأثناء ارتشاف الشاي انقطعت العبارات الخفيفة التى كانت تدور بيننا عندما رنّ الهاتف الأرضى إذ استأذنى الدكتور عبد المنعم فى الرد ، وبابتسامة موحية أذنت له ... لم يصل لوعى صوت الدكتور وهو يتحدث فى الهاتف ، فقد تملكتنى ذكريات قديمة طفت على سطح وجدانى وسيطرت على وعى وحواسى وكئنى أراها الآن شاخصة أمام بصرى .. ذكريات من زمن بعيد مضى وانقضى إلا أنه ترك فى نفسى أثرا .

كان ذلك منذ ربع قرن تقريبا وقتها كنت طالبا يافعا وكان الرئيس السابق

أُتور السادات قد دعا قيادات العمل الطلابي فى الجامعات المصرية ليتحدث معهم حديث الأب للأبناء ، وكان قد تم نقل الحوار بكامله فى التلفزيون عبر الأثير ، وتطرق حديث الرئيس لمؤامرات الشيوعيين على نظام حكمه وأعلن بصراحة أن مصر هى دولة العلم والإيمان ... ظهرت صورة الطالب عبد المنعم أبو الفتوح أمامى وكأنه من فرط شجاعته وجراته يمتطى جواد الجسارة .... وقف أبو الفتوح - وقتها - يتكلم مع رئيس الدولة فقال له بقلب شجاع ولسان فصيح وهو يقف أعزل ليس معه سلطة إلا سلطان الإيمان : أنت تعلن أننا دولة " العلم والإيمان " فى حين أن هذا الشعار يخالف التطبيق .. ثم استطرد قائلا : أنت تقوم بوقف الشيخ محمد الغزالى عن الخطابة فى مسجد عمرو بن العاص فى الوقت الذى تترك فيه المنافقين الذين من حولك ينافقونك .

فرد الرئيس بعد أن قطب جبينه واكفهر وجهه والغليون يرتعش بين يديه : إلزم مكانك أنت تتحدث مع رئيس العائلة وأنا لا أقبل النفاق وليس هناك من ينافقنى .. قف .. قف .. إلزم مكانك .. مكانك .. ثم تبعثرت كلمات الرئيس وجحظت عيناه وتفصد جبينه عرقا وخرج الرذاذ من فمه يتطاير فى أنحاء المكان .

استعادت عيني صورة أبو الفتوح وهو واقف رابط الجأش بون أن يهتز له جفن أو يتتبع له لسان فى موقف تذل فيه أعناق الرجال ، واستعادت أذنى صوته وهو يقول : أنا أقف مكانى ، ثم ان كلماتى واضحة ، فالبون شاسع بين أن يكون هناك من ينافقك وأن تقبل أنت هذا النفاق ، لقد تم نقل الشيخ الغزالى دون سبب والمسئولون فى الدولة تنصلوا من قرار النقل فمن نقله إذن ؟ وأنت طلبت أن نتكلم معك بصراحة وأنا أعرف حدودى .

عدت من رحلة ذكرياتى عندما أغلق أبو الفتوح الهاتف ثم تنحنج قائلا : والله يا أخ ثروت أنا أريد أن أنقل لك خبرا هاما فقد كانت هناك بالأمس جلسة لمكتب الإرشاد وكان أمر محاكمتك هو البند الرئيسى لجلسة المكتب ... والحقيقة أنا لم يتصل علمى بخبر هذه المحاكمة إلا أمس فقط ومن خلال جلسة المكتب ، وقد وجدت أن هناك عددا من إخوانك فى مكتب الإرشاد يتحاملون عليك خاصة أن القرار الذى صدر من لجنة المحاكمة هو فصلك من الجماعة .

فصلى من الجماعة !! فصلى !! هه !! كدت أقفز من مكانى عندما زف

لى أبو الفتوح خبر فصلى من الإخوان ثم ضحكت ضحكة قصيرة مغلقة بالدهشة وقلت بصوت حشرجة الألم : كيف طاوعهم قلوبهم وضميرهم على قرار كهذا ؟

كيف بعد أن استبان لهم كذب الاتهامات وتهافتها بل وتزويرها يخالفون الحق الذى كان ماثلاً بين أيديهم ويركنون إلى الباطل ؟  
ألهذا الحد غابت العدالة عن الإخوان ؟

أظن أنني الرابع وهم الخاسرون .

وبعد أن أخرجت مشاعرى العارمة من مكمن نفسى وناولتها لعبد المنعم شعرت براحة غريبة إلا أنها كانت راحة مغموسة فى الدهشة .. لم تكن الدهشة من قرار الفصل ولكن الدهشة كانت من نفسى التى ثارت من قرار الفصل .. ترى أكنت متمسكا بالإخوان إلى هذا الحد وأنا الذى كنت أنهر نفسى لعدم خروجى من تلك الجماعة .. ما سبب هذا الألم الذى اعترانى ؟ .. الظلم .. نعم الظلم .. ليس ألقى مبعثه قرار الفصل فقد كنت أوشك على ترك الجماعة غير أسف عليها ، لقد كان من حقى الآن أن أقول لهم كما فى المثل الشعبى ( بركة يا جامع أن جاءت منكم ) والحمد لله أن حصلت على حريتى بعد أن كنت سجيناً فى سجن الإخوان ، ولكن الظلم والافتئات على الحق والجرأة على الله من جماعة ترفع لافتة الدعوة هو الذى لطم مشاعرى .

طالت فترة الصمت بيننا إلى أن قطع أبو الفتوح نسيج الصمت الذى غلفنا بكلمات هادئة : على العموم لم يعتمد المكتب هذا الحكم وقد كانت المناقشات حامية ولكن يبدو أن الصورة التى وصلت عنك لإخوانك فى المكتب هى صورة مزيفة ، وقد انتهى التصويت بيننا على رفض فصلك بفارق صوت واحد وكان سندنا فى رفض الفصل هو أن اللجنة التى حاكمتك هى لجنة غير مختصة بحسب أنها لجنة تمثل منطقة شرق القاهرة فى حين أن الخطأ المسند إليك والذى دارت من حوله المحاكمة متعلق بنشاطك فى قسم المهنيين وبالتالي كان من المفترض أن تكون لجنة المحاكمة مشكلة من المهنيين فهى أولى وأجدر من لجنة المنطقة فى معرفة الظروف وتطبيق قواعد العدالة على الخلاف ... ولكن قل لى يا أخى ما هى قصة خلافك مع باقى إخوانك من المحامين .. الغريبة أنني لم أعرف شيئاً عن هذا الموضوع .

- ألم يصدر قرار تشكيل هيئة المحكمة من مكتب الإرشاد ؟ -

- لا للأسف ولكنه صدر من الحاج مصطفى مشهور ولم أكن متداخلا فى هذا الموضوع ، فهو بين الحاج مصطفى والمستشار مأمون .

أطرقت بوجهى إلى الأرض ثم أخذت والأسى يعتصرنى ويهز أوردتى أحكى القصة بكاملها ، واسترسلت فى الحديث بلا انقطاع وحالة الحزن تغلف كلماتى وتشدها من ألم كان من الحرى أن يسكتنى ، فما أقسى الظلم وما أوجعه على القلب إن كان من الغريب فماذا لو كان من ذوى القربى ؟! ماذا لو كان ممن أحببتهم ونسيت نفسك من أجلهم ؟ حقا وصدقا .. لم يكن هناك من ميراث البشر أشد وطأة على النفس بعد الكفر إلا الظلم .

سار حديثى للدكتور عبد المنعم على وتيرة واحدة وعندما ذكرت له تفصيلات قرار الحاج مصطفى بمنعنى من الخروج من بيتى قاطعنى قائلا : وهل استجبت فعلا لهذا القرار المعيب العجيب !!؟

حركت يدي حركة من ليس بيده حيلة وقلت بأسف : نعم استجبت .. كان الكل عندنا فى مدينة نصر غاضبا من القرار ولكنهم كلهم طلبوا منى بالحاج طاعة هذا القرار لتفويت الفرصة على الآخرين ، كما أنني مضيت يوم الانتخابات عند المهندس ممدوح الحسينى من باب إثبات تنفيذى للقرار ومع ذلك كانت المحاكمة تدور فى ركن منها على مخالفتى للقرار يوم الانتخابات !!

هن الدكتور عبد المنعم رأسه علامة الرفض وقال بحسم : لقد أخطأت يا أختى بطاعتك لهذا القرار .. أنت رجل مهذب جماعة الإخوان ليست جماعة عسكرية ولكنها جماعة إنسانية أنا شخصا لو جاء لى أحدهم بمثل هذا القرار لضربته على أم رأسه .

استكملت باقى القصة وحكىته له عن بنود المحاكمة وعن اتهامى بإقامة صلات بالدكتور سليم العوا ومجموعة حزب الوسط ... قاطعنى أبو الفتوح للمرة الثانية وقال بصوت ارتفعت نبرته : - كيف تقبل محاكمتك على صلاتك الإنسانية بإخوانك وإن اختلفوا مع الإخوان ؟! .

- هذا الأمر لم يكن مطروحا فى تفصيلات المحاكمة التى تم عرضها على مكتب الإرشاد بالأمس !! .

- المفروض أن تدور المحاكمة فى شقها الرئيسى على مخالفتك قرار تأييد المحامى رجاى عطية فى انتخابات النقابة .

- بالطبع لا يصح للإخوان محاسبتك على موقفك الانتخابى لك كإمام الحرية أن تفعل ما تشاء ، بل لك كامل الحرية ألا تقف مع الإخوان فى الانتخابات ، والأكثر من هذا من حقد أن تقف ضد مرشحيهم إذا كان فى تقديرهم أن مرشحيهم لا تتوافر فيهم الشروط الشرعية .

- ولكن الإخوان حاليا يا أخى الكريم كما تعلم لا ينتظمون فى فهم واحد ولكنهم أشتات وخليط من مشارب متنوعة ، تجمعنا عاطفة دينية واحدة نعم ولكن عقولنا متفاوتة .

- كان من المفروض يا أخ ثروت أن تزورنى وتحكى لى قبل المحاكمة إن ما حدث معك تهريج ولكنه لن يستمر .

أغرورقت عيني بالدموع فقد شعرت بالمهانة التى لحقت بى من إخوان كنت أظنهم سهاما لى فكانوها ولكن فى فؤادى ، شعرت بأننى أهنت نفسى عندما مكثت داخل الجماعة غير بعيد ولم أغادرهم من قبل .. فالتفت عبد المنعم بحسه المرفف إلى الناحية الأخرى حتى يجعلنى لا ألحظ أنه رأى دموعى ، كان عبد المنعم يدرك قيمة دموع الرجل ويعرف باليقين لحظات الضعف الإنسانى التى تنتاب من قهره الظلم فأراد أن يجعلنى منفردا بنفسى حتى أكون مع دموعى على سجيتى بلا قيود ولا رقيب فاستأنن وغادر الغرفة هنيهة ثم عاد بعد دقيقتين كنت قد كفكت فيها دموعى .

- يا أخ ثروت سأقول لك ما قاله سيدنا يوسف لأخيه .. قال له : لا تبتئس بما كانوا يفعلون ، وقد قمنا فى المكتب كما قلت لك بإلغاء القرار ولكن يجب إعادة المحاكمة على أسس صحيحة وقد طرحت فى المكتب أن يتولى محاكمتك أخونا الكبير الأستاذ محمد هلال وأنت تعرفه طبعا ، وقد رحب الرجل .. وهو بمثابة أب وطبعا باليقين هو غير من حاكموك من قبل ، وسينتظر غدا منك أن تكلمه لتحديد موعد تسافر له فيه إلى المنصورة وسينتهى الموضوع قريبا بأقل الخسائر إن شاء الله وأرجو ألا يصيبك يأس فأنا أرى فى عينيك رغبة واضحة فى ترك الجماعة ولكن إن تركتها أنت وأنا وغيرنا من أصحاب العقول والضمائر والأفئدة فمن يصلح حالها إذن ؟ هى ليست جماعتهم هم ولكنها جماعتنا نحن .. هم يتركونها إذا أرادوا أما نحن فسنبقى فيها ... أريد وعدا منك يا أخى بأن تذهب لأخيها محمد هلال .. لا تجعلهم ينتصرون عليك .. ثق

بى .



- وهو كذلك ... قلتها وأنا نصف مقتنع ونصف رافض .

خرجت من عند الدكتور عبد المنعم وكان هناك مغناطيس يجذبني إلى الجماعة رغما عن أنفي ولا يريد أن يتركني لحالي .. آف لهذه الحيرة وآف لهذا التردد الذي أثقل كاهلي .

كانت نفسي ثائرة مهتاجة أخذت أحدثها وكأنتي ألوها : متى أترك هذه الجماعة ؟ أما أن لي أن أحمل متاعى وأرحل إلى حيث الحرية .. أما أن لي أن أترك ضيق التنظيم إلى سعة الدعوة ؟ أكلما قررت الخروج منها عدت إليها !! .

ما هذا التردد الغبي ؟ .

هل العناد هو الذى يدفعنى للبقاء أم أنه الانتصار للحق ؟ .

أم ترى هو الانتصار للنفس ؟ والنفس لا تقبل هزيمة أو مذلة ؟ .

أم أننى خلطت بين النفس والحق ؟ .

ولم أكون أنا على حق ؟ ألا ترى أن نظرة الإنسان نسبية وأنه لا يستطيع أن يحيط بكل شيء علما ؟ .

أنت ترى أنك صاحب الحق وهم أيضا يظنون أنهم أصحاب الحق وأصحاب الفضيلة ؟ ترى من منا يقف على أرض الحق ومن منا يقف على أرض الباطل ؟ .

ليس لدى مثقال ذرة من شك أنهم يعرفون فساد مواقفهم وإلا كيف يستسيغون من ناحية الشرع استقدام شهود زور؟ وكيف يقيمون محاكمة فاسدة خالفت الإسلام فى كل كبيرة وصغيرة ؟! أيصبح الحرام حلالا لأن صاحبه يظن أنه بالحرام سيصل إلى حلال ؟!!

أيجوز أن نقيم شرع الله بوسائل تخاصم شرع الله !! .

كيف نرفع راية الإسلام فوق ربوعنا ونمزق هذه الراية فى أفئدتنا ، كيف نطلب تطبيق الإسلام فى بلادنا ونحن لا نطبقه على أنفسنا ؟ .

كيف نسى الإخوان قول إمامهم الشهيد حسن البنا " أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم تقم فى بلادكم " ؟ .

ثم ألم يقل لنا الله ( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ) وقال ( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ) .. مالهم كيف يحكمون ... مالهم كيف يفكرون .. والله إنى أراف بحالهم .. كيف

سيقفون أمام الله سبحانه وتعالى ؟ .

ما هذه الجراءة على الله من رجال يقولون أنهم أهل الله وخاصته ؟  
تضاربت الأفكار فى رأسى ثم قفزت خاطرة فى ذهنى وكأنتها شخص آخر وقف أمامى يحدثنى : ليس من المفترض أن تنتصر للحق ولكن من الحتمى أن تنتصر لما تعتقد أنه حق ... وليس من المفترض أن تنتصر على الباطل ولكن من الحتمى أن تقف ضد الباطل مهما كانت نتيجة هذه الوقفة .. وعندما استرحت لهذا الخاطر أدت محرك السيارة وذهبت لأصلى المغرب فى مسجد "الأرقم" القريب من بيت الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح ... إلا أننى لاحظت تلك السيارة التى ما فتئت تراقبى منذ فترة وهى تتبعنى حتى أن المراقب العتيد غادر سيارة المراقبة ودخل معى المسجد وكأنته سيراقيب الملائكة وهى تثنى أعمالى !! .

بعد الصلاة أخذت أستنشق بعمق رائحة زكية تجوب أفاق المسجد .. بثت هذه الرائحة راحة نفسية فى قلبى فغشيتنى حالة وجد شعرت من خلالها أن طاقة نور اندفعت من أعماقى دفعتنى إلى أن أسبح الله وأستغفره ، ثم رأيت أن أتوضأ على وضوئى ليكون الوضوء نورا على نور ، وبعد الوضوء حملت المصحف الشريف وجلست معه فى ركن من أركان المسجد وكان أن فتحت المصحف على سورة "سبأ" فأخذت أقرأها على مهل إلى أن وصلت إلى قول الله سبحانه وتعالى ( وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ،، قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) .. وهنا تملكنى العجب فاعدت القراءة عدة مرات ثم قلت فى نفسى بلسان قلبى .. سبحان الله .. الكلام هنا فى تلك الآية الكريمة على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ... فقد بدأ الله جل فى علاه فى مخاطبته بقوله ( قل من يرزقكم من السموات والأرض ،، قل الله ) أى قل يا محمد للكفار الذين يجادلونك إن الله هو الرزاق ثم قل لهم ( إنا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) يا لعظمة الإسلام ، ويا لأدب الاختلاف ، لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم للكفار أنه هو على الهدى وأنهم هم على الضلال المبين ، رغم أنه كان كذلك ، ولكنه قال "إنا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" فساوى فى الخطاب بينه وهو صاحب الحق وبينهم وهم أصحاب الباطل وأهله ... وعندما استمر معهم فى الجدل قال لهم كلمة تدل على قمة الأدب فى خطاب المختلفين حتى ولو كانوا كفارا ..

قال لهم ( لا تُسألون عما أُجرمنا ) يا للهول يكاد الفؤاد ينخلع من هذه الكلمة .. سرت قشعريرة فى جسدى كله ثم قلت لقلبي وكأنه انخلع من مكانه : أنظر وتأمل .. الله سبحانه وتعالى أمر الرسول وهو يخاطب الكفار أن يقول لهم أنهم لا يُسألون عما أُجرم المسلمون وهم لم يجرموا ، ولكن اقتضى الحال ذلك لأن الكفار كانوا فى عقيدتهم يظنون أن المسلمين ليسوا على شيء .. وإذا كان من الطبيعى فى السياق ذاته أن يقول الرسول مستطردا ... ولا تُسأل عما تُجرمون .. ولكن كان الأمر على غير ذلك .. كان قول الله سبحانه وتعالى هو ( لا تُسأل عما تعملون ) رغم أنهم يجرمون يقينا ... قمت واقفا مبهوتا بطريقة فجائية وأخذت أتجول فى المسجد دون هدف ... كانت دفقة سعادة وراحة بال قد غمرتني .. رغم أنني قرأت القرآن قبل ذلك عددا من المرات لا أستطيع حصره واستمعت للقرآن بصوت معظم القراء خاصة قراء مصر المبهرين إلا أنني لم انتبه لهذا المعنى من قبل .. أخذت أحدث نفسى وأنا أتجول فى المسجد رائحا غاديا بصوت مسموع حتى ظن المصلون الذين ينتظرون صلاة العشاء أن بى خبل .. ارتفع صوتى قليلا وأنا أقول : الرسول وهو على الحق يقول للذين هم على الباطل إنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين أى أن هناك طرفا منا على الحق وطرفا على الباطل .. ثم يقول كلمة مذهلة ( لا تسألون عما أُجرمنا ) .. أُجرمنا .. رغم أنه على الحق ولم يجرم فى الاعتقاد والإيمان أو فى أى شيء .. أوجد أدب يماثل هذا الأدب ... هذا الأدب مع الكفار .. أدب المناظرة .. فماذا لو كانت معركة الحق تدور بين إخوة ؟ .. تدور بين من نطقوا بالشهادة وأمنوا بالإسلام دينا ودنيا ؟ ... ألا يكون هذا داعيا لى أن أصبر وأتحلى بأدب البحث عن الحق وأدب المجادلة فيه .. فالبحث عن الحق له أدابه والمجادلة فيه لها أخلاقها ... الآن لا يهم أن أبقي فى الإخوان أو أن أغادرهم .. الأهم هو أن أصدق بالحق الذى أعتقده وأواجه به الباطل بدأب لا أخشى فى الله لومة لائم ، لا يهم أن أنتصر ولكن الأهم أن يجد الباطل من يواجهه ... الله بقدرته سينتصر للحق .. فهامى آية مبينة تأتى فى سورة "سبا" يقول الله فيها ( قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ) نعم إن لم يظهر الحق فى الدنيا سيجمع الله بيننا ثم يفتح بيننا بالحق ، وأنا خصيمهم أمام الله يوم الدين .. جلست فى زاوية المسجد وأنا أقول : سأكون مع الحق الذى أعتقده سواء كنت فى

الإخوان أو كنت خارجهم .

\*\*\*

لم أنقطع عن أنشطة الإخوان فى منطقتى ولكنى كنت متكاسلا عنها ولم أكن متحمسا لها ، فقد وقع فى نفسى شيء من المهندس ممدوح الحسينى الذى كان عضوا فى هيئة المحاكمة التى حاكمتنى وانتهت إلى إدانتى رغم الحق الذى استبان لهم واضحا جليا ، كما أننى وجدت أن معظم المسؤولين يقدسون الإداريات ويرفعون من شأنها على حساب أشياء كنت أرى أنها أكثر أهمية ، وأدركت من واقع الحال أن هناك مجموعة من القطبيين الذين يؤمنون بفكر سيد قطب - الإقصائى والتكفيرى - يتكاثرون وكأن الجماعة تستسخمهم ثم تسند إليهم وحدهم دون غيرهم مناطق النفوذ وكأن هذا الفريق يطبع صورته الخاصة على الجدد فيكون الجديد صورة ممسوخة من القديم ... ومن هؤلاء ظهر على سطح الأحداث أحد المسؤولين الجدد فى المنطقة والذى كان يعمل فى الخليج من قبل ثم حمل متاعه وعاد ليتبوأ مقعده من الإدارة رغم حداثة عهده بالإخوان وما ذلك إلا لأنه كان من تلاميذ محمود عزت عضو مكتب الإرشاد .. كان هذا الأخ ذو موقع غير محدد لائحيا إلا أنه كان يصدر القرارات ويحدد المهام ويعين نقباء الأسر وكأنه مسئول المنطقة بأسرها ... هاتفتنى هذا الأخ ذات يوم وطلب مقابلتى فقلت له على الرحب والسعة يا أخى ساتى إليك بعد مكتبى .. وعندما بدأ لقائى بالأخ عاتبنى عتابا شديدا إلا أنه وضع عتابه فى غلاف من الكلمات الرقيقة المهذبة وكان سبب العتاب هو أننى ذهبت إلى الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح دون أن أستاذن أحدا من المنطقة .. قال لى الأخ من ضمن ما قال : أنت من الإخوة الكبار عندنا وأنت قدوة لمن هم دونك من الشباب وقد هالنى ما فعلته منذ أيام ولم أصدق أن تقع أنت بفكر وثقافتك وخبرتك فى هذا الخطأ التنظيمى .. أظن أنه سهو ؟ - خطأ !! أى خطأ ؟

- لقد ذهبت إلى الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح

- نعم ذهبت وهل فى ذلك شيء .. الرجل طلبنى !! ولكن كيف عرفت بزيارتى للدكتور .. من أخبرك ؟ هه .

تجاهل الأخ الإجابة عن سؤالى وقال بتؤدة : له أن يطلبك كما يشاء وفى الوقت الذى يشاء فهو أخونا وأستاذنا ولكن كان من المفروض وفقا للوائح أن

يطلبك من مسئولك .

– هذه مشكلته إذن لك أن تعاتبه إذا أردت !

– لن نعاتبه فليس لنا سلطة عليه ولكننا نعاتبك أنت .. فانت منا ونحن منك .

– وماذا كنت أفعل إذن عندما طلبني .. أكنت ترى أن أعتذر عن لقائه .

– لا طبعاً ولكن كان يجب عليك أن تستأذن من مسئول الشعبة الذي كان سيستأذن لك من مسئول المنطقة فإذا أذن كان لك الحق وقتها في الاستجابة لزيارة الرجل .

وضعت يدي على خدي وكأني أحفظ رأسي من الوقوع ثم نظرت إليه وأنا أزدرد كمية من الحنق كادت عيوني أن تصبها في وجهه وقلت بكلمات بطيئة وأنا أسايره في منطقته : ولكن الدكتور عبد المنعم طلبني في الهاتف وقال لي أريد مقابلتك غدا في بيتي ولم يقل لي أن المقابلة سببها أمر من أمور الجماعة ونظرا لأنه بيني والدكتور عبد المنعم بعض الصلات الإنسانية الخاصة التي لا علاقة لها بالتنظيم لذلك ذهبت إليه دون أن أستأذن .

– على العموم حصل خير ولكن في المرة القادمة يجب عليك أن تخبر إخوانك بأي زيارة للدكتور عبد المنعم حتى ولو كانت في أمور شخصية .. يا أخى نحن نريد المحافظة عليك فانتبه لخطواتك .

قلت وأنا أفق متأهبا لمغادرة المكان

: جزاك الله خيرا وشكرا لك على النصيحة فهكذا يكون الأخ ونعم الأخ أنت ولكنني إذا ذهبت إلى أى شخص مهما كان قدره أو مكانته في الجماعة فلن استأذن من أحد .. أنا يا أخى في جماعة مدنية دعوية ولست في منظمة عسكرية .

عندما دخلت إلى بيتي بعد هذه المقابلة العجيبة أخذت أحوقل وأسترجع وأستغفر ( لا حول ولا قوة إلا بالله إنا لله وإنا إليه راجعون أستغفر الله العظيم ) وعندما رأتني زوجتي على هذه الحالة انزعجت أيما انزعاج وقالت بصوت مخضوض : ما الذى حدث ؟

نظرت إليها بابتسامة مطمئنة ثم قلت : إما أنني فقدت القدرة على الفهم أو أن الجماعة فقدت عقلها ورشدها .. وأنا على يقين أنني ما زلت قادرا على الفهم .

تبدأ إرهابات الخريف فى مصر وقد حملت فى أحشائها غضبا مستترا ثم ما يلبث هذا الغضب حتى يعلن عن نفسه فى بعض السنين أو يظل مستترا كامنا فى جوف النيل فى بعض الأعوام ، ولذلك يقول بعض المؤرخين إن خريف مصر كالبحر مزاجه متقلب فتارة يكون هادئا لينا سهلا وتارة يكون هادرا منفلتا ، أما فى هذا العام "الإخواني" - عام ٢٠٠١ ميلادية - ١٤٢٢ هـ - الذى شهد أحداثا طويلة مرهقة فقد بدأ فصل خريفه وفقا للتوقيت الرسمى مع يوم سفرى إلى المنصورة لمقابلة الأستاذ محمد هلال عضو مكتب الإرشاد الذى كان من قدره - وقدرى - أن يفتح معى ملف الخلافات والاختلافات الذى أصبح ثقيلًا متخما .. كنت قد اصطحبت معى آناء السفر صديقا لى اسمه سمير تاج الدين وقد كان هذا الصديق أخا شقيقا لأحد المحامين من الإخوان اسمه جمال تاج الدين ، ومن الغريب أن جمال هذا كان قد أخذ موقفا متشددا منى وانضم إلى فريق محمد طوسون رغم أن الصلات الإنسانية - قبل الإخوانية - التى تربطنى به منذ أشهر معدودة كانت فى منتهى القوة ، ويبدو أن القلوب تتقلب مع تقلب الأيام لذلك انقلب جمال وأصبح من ألد الخصام !! إلا أن أخاه الأكبر سمير - ولم يكن من الإخوان - ظل على صلته الوثيقة بى .. وكان أحد أبناء سمير تاج قد التحق بكلية الهندسة جامعة المنصورة فأخذ يرتب له شأن إقامته هناك فاستأجر له شقة مفروشة ، وما إن علم سمير بخبر سفرى حتى أثر أن يصطحبنى ليخفف عنى ملل الطريق ولينتهز الفرصة بزيارة ابنه ... كان الطريق إلى المنصورة طويلا متعرجا مملا وكانت السيارة تنهب الأرض نهبا ، وكانت قطرات المطر - على غير العادة فى هذا الوقت من العام - تنساب على زجاج السيارة الأمامى برتابة مملّة فأوجست فى نفسى خيفة .. أترى كان هذا المطر بشير خير أم نذير شر ؟ وأين السيارة التى كانت تراقبنى من قبل ؟ ولماذا غابت عن هذه الرحلة ؟ .. وهكذا أخذت الأفكار تتزاحم فى رأسى إلا أن تفاؤلى دحر فلول التشاؤم فانشرح صدرى فكان أن انطلقت بالسيارة وانطلقت فى ذات الآن فى الحديث مع صديقى عن أخطاء الإخوان المسلمين التاريخية والحركية والسياسية حتى وصلنا إلى المنصورة فأوصلته إلى الشارع الذى يقطن فيه ابنه - وكان بالمصادفة قريبا من الشارع الذى يوجد فيه مكتب الأستاذ محمد هلال -

فتركته لينصرف إلى شأنه وذهبت إلى مكتب هلال ... لم نمكث في المكتب إلا دقائق فقد أثر الرجل الهرم النشيط الذى بلغ من الكبر عتيا أن يصطحبني إلى نادى المهندسين النهري الذى يقع على شاطئ النيل بطلخا ، وهناك وجدت عددا من المهندسين من الإخوان يستقبلوننا استقبالا حافلا حتى أنهم التفتوا حول الرجل وكأنهم يلتفون حول أحد الملوك وكانوا يتسابقون إلى تقبيل يديه فى إكبار وتقدير ... وكان الأستاذ هلال يتصرف وكأنه صاحب هذا المكان والمهيمن عليه حتى أنهم أفردوا لنا - وفقا لتعليماته - غرفة نجلس فيها وحدنا وأمر أن يتم إعداد طعام الغداء على أن يكون جاهزا بعد أن نفرغ من حديثنا. كان الأستاذ محمد هلال عضوا قديما بمكتب الإرشاد وقد شارف على الثمانين أو أوشك أن يقع فيها ، وكانت صلتى به طيبة فهو يمارس المحاماة مثلى - أو على وجه الدقة أنا مثله - وكان كثيرا ما يلجأ لى لحضور بعض جلسات قضاياها فى القاهرة فضلا عن أنه كان طلب منى فيما سبق من الأيام أن أكون وكيلها عن ابنته فى قضية خاصة كانت قد أقامتها على صاحب شركة مقاولات نصب عليها وأخذ منها ومن آخرين مبلغا كبيرا من المال ليستثمره ثم فر هاربا .

وعلى مستوى الإخوان كانت العديد من اللقاءات قد جمعتنى به خاصة بعد قضية المهنيين عام ١٩٩٩ وقد رأيت فيه رجلا هادئا بشوشا طيبا قليل الكلام إلا أننى لم أجد فيه ثقافة مميزة أو علما واسعا بالعلوم الشرعية أو خبرة قانونية عالية تتناسب مع سنوات عمره التى قضاهها فى المحاماة حتى أن الإخوان لم يسندوا إليه المرافعة فى أى قضية من قضايا الإخوان التى انهمرت عليهم كالطر بعد عام ١٩٩٥ .

وبدأ الحديث ... فتح لى الأستاذ هلال ملفا كان يحمله معه ثم ناوله لى قائلا : إقرأ هذا الملف بعناية .

أخذت أقرأ الملف فإذا به يحوى أوراق التحقيق والمحكمة التى تمت معى من قبل والتى كان الحاج جودة شعبان رئيسها وكانت هذه الأوراق بمثابة الإصاعة التى هبطت على رأسى فأذهلتنى ... ففيها وجدت شهادة مكتوبة من أحد المحامين من الإخوان - وكان من الذين وقفت معهم ضد غوائل الأيام - يشهد بأننى حرصته ضد قائمة الإخوان فى انتخابات النقابة وهو الأمر الذى لم يحدث أبدا !! ووجدت شهادة أخرى من أحد الإخوة من المحامين - الذين

ارتبطوا معى بصداقة قوية إبان قضية المهنيين – يشهد بأننى كنت أدير مؤامرة على الإخوان بتحريض من مختار نوح الذى كان يرزح تحت أغلال السجن وقتها !! ووجدت شهادة ثالثة يشهد صاحبها الإخوانى بأننى خالفت قرار المرشد المتضمن منعى من الخروج من بيتى وخرجت يوم الانتخابات ووقفت ضد قائمة الإخوان !! قلت للأستاذ هلال

: يا للعجب الإخوان يشهدون زورا !! .

ألم يسمعوا عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه (ألا وشاهد الزور ..) .

ابتسم الأستاذ هلال وقال بهدوء أكمل الملف يا أستاذ ... وهنا وقعت عيني على قرار المحكمة الذى قضى بفصلى من الإخوان - والذى تم العدول عنه - فإذا بى أقفز من مكانى غير مصدق .. المهندس ممدوح الحسينى الذى مكثت فى مكتبه يوم الانتخابات حتى أحبط خطة الآخرين وأفسد مكرهم وأثبت للإخوان أننى لم أخالف قرار المرشد بمنعى من الخروج من بيتى وأننى لم أذهب للنقابة ولم أدل بصوتى يكتب قرار إدانتى ويؤسسه على أننى خالفت القرار وزهبت للنقابة ووقفت ضد قائمة الإخوان وحرضت الآخرين يوم الانتخابات على عدم انتخاب الإخوان !! قاضى المحكمة الإخوانية يوقع على الباطل ويشهد فى حكمه شهادة يأبى الضمير أن يبتلعها .

من أى فقه استمد المهندس ممدوح دارس الفقه هذا الذى ذهب إليه!! .  
أمن فقه سيد قطب الذى يقسم المجتمع لقسم مسلم وقسم جاهلى !!! ... نظرت للأستاذ هلال وأنا أضحك ضحكة سخرية واشمئزأ من هذا الذى قرأته ثم وجهت وجهى لصفحة نهر النيل أتفرسه وأتأمل حركته الرتيبة التى تبعث الهدوء والراحة فى النفس ... ووقع فى خاطرى أن النيل نعمة ، ولكن النعمة تغادرنا إن خالفنا قوانينها ... نعم للنعمة قانون ، وشكر الله على النعمة من قوانين بقاء النعمة بل وزيادتها ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم ( لئن شكرتم لأزيدنكم ) ... وهما هو نهر النيل يطفح أمام نظرى بالمخلفات التى ألقيناها فيه فخالفنا بذلك قواعد شكر النعمة ..

وجهت نظرى مرة أخرى للأستاذ هلال بعد فترة صمت وقلت : هل تعلم يا أستاذنا أن كلمة النيل فرعونية ومعناها "نعمة الله" .

ضحك الأستاذ هلال وقال بحميمية : لا والله .. لا أعرف هذا .. ولكن "هو



انت بتتكلم فرعونى " كنت فاكرك بتتكلم إخوانى بس " .. هههه.  
شاركته الضحك وأنا أقول : لا أنا فى الإخوان من فريق الصم والبكم  
فالذى يتكلم فى الإخوان برأى إما أحمق أو متهور ... ألم تسمع يا أستاذ  
هلال بذلك الذى قال .. وافق أو نافق أو فارق ..  
قال الشيخ بأبوية وقد اصطنع تجهما صوريا لم يستطع إخفاء ابتسامته  
ندت عنه : يا ولد .. الإخوان دعوة ربانية .

قلت وأنا أستدرجه فى الحديث : النيل نعمة من الله فماذا فعلنا بتلك  
النعمة .. أنظر يا سيدى لتلك المخلفات الرهيبة التى لوثت النيل لقد أضعنا  
النعمة من بين أيدينا حتى أننا ونحن على ضفة النهر نشرب معاً مياه معدنية  
!!!... والإخوان دعوة ربانية .. نعم الدعوة نفسها ربانية بقربها من القرآن  
والسنة .. ولكن الأفراد الذين ينضون تحت لواء التنظيم ليسوا ربانيين .. هم  
أفراد يرتكبون الأخطاء ويكذبون ويؤذيون ويشهدون زورا ، فإذا ابتعد أفراد  
الحركة من حيث التطبيق عن كتاب الله وسنة رسوله ابتعدوا عن الربانية  
وفقدوا خيريتهم .

تنهد الشيخ ثم قال : لا تقل هذا الكلام لأحد ولا تنتقد إخوانك .. اخفض  
جناحك للإخوان ولا تمس الرموز .

حركت رأسى ذات اليمين وذات اليسار وأنا أقول : هذا هو توثين الرموز  
أى جعلهم أوثانا ، وهذا ليس من الإسلام فى شيء .. هناك من الصحابة  
من سرق ومن زنى ولم يصدر من رب العالمين تشريع بتوثين الصحابة ومنع  
النقد ، بل إن حق النقد وحق إبداء الرأى من الحقوق الأصلية فى الإسلام  
ولكننا للأسف قد جهلنا هذا الحق عبر مئات السنوات ، الآن صرنا يا شيخنا  
أقدس من الصحابة وقمنا بشخصنة الدعوة فأصبح قادتها فوق مرتبة البشر  
بزعم أنهم يحملون راية الدعوة وأمسى من ينتقد الإخوان كأنه ينتقد الإسلام  
!.

وضع الشيخ وهو يمازحنى بيده على أذنه وكأنه يقول : وكنتى لم أسمع  
شيئاً .. هذا كلام تضيع من أجله الرقاب وأنا أخاف على رقبتى .. دعنا ندخل  
للموضوع .. ما رأيك فى هذا الملف الذى بين يديك ؟

قلت وأنا أهرز رأسى يمينا ويسارا علامة الرفض والامتناع : هذا الملف  
فى حد ذاته جريمة ففيه شهود زور وفيه قاض اتبع الهوى فمال عن الحق ...

لست فى حاجة إلى أن أدافع عن نفسى ولكنهم هم جميعا بما فيهم أعضاء المحكمة الصورية فى حاجة إلى أن أصفح عنهم .

تنفس الأستاذ هلال نفسا عميقا وقال وهو يتناول منى الملف : اسمع يا ثروت .. يقول الشاعر : سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعيش ثمانين حولا - لا أخا لك - يسأم؟ وأنا قد بلغت الثمانين وليس لى فى الدنيا مأرب وليس لى عند الإخوان حاجة وأتمنى أن أتقاعد من عضوية مكتب الإرشاد قريبا ، وقد قرأت الملف جيدا وكنت معترضا على قرار فصلك ، وأنا أصدقك دون أن تشق على نفسك وتدافع عن موقفك فقد علمت بيقين من خلال مصادرى فساد الوقائع التى نسبوها لك وقد أغضبني أن البعض يتبع طرقا غير شرعية للوصول إلى غاياته التى تبدو بعيدة عن نصررة الإسلام ولا علاقة لها برفع راية لا إله إلا الله .. وقد أحزننى ومزق قلبى وقائع المحاكمة السابقة التى عقدها لك فهى محكمة باطلة لا تساوى قطميرا ، والذين جلسوا ليحاكموك لا يفهمون شيئا غفر الله لهم فالحاج جودة رجل خالى الوفاض على الفطرة ، أما ممدوح والآخر فهما لا حيلة لهما .. ثم خفض صوته وكأنه يقول سرا ثم همس : ها أنا ذا أنتقد الإخوان كما تفعل أنت .. ثم ضحك وهو يستكمل : لا تقل لأحد نقدى هذا وإلا فصلونى مثلك .. ثم عاد إلى حديثه وقال : أنا أرى أن تضرب الصفح عن هؤلاء وتبدأ مسيرتك من جديد مع الإخوان وأقترح عليك أن تعتزل قسم المحامين وتتفرغ لأنشطة الإخوان فى منطقتك ولنغلق هذه الصفحة ، أما عن مكتب الإرشاد ومحاكمتك فسأقوم أنا بتسوية هذا الأمر وسأذهب للحاج مصطفى وهو رجل طيب ولكنهم نقلوا له عنك نقلا غير صحيح وأفهموه أنك تدبر مؤامرة ضده شخصا ، وسأخبره بأن تحقيقى انتهى إلى عدم ارتكابك أى مخالفة وربنا يسامحنى سأكذب من أجلك وسأنقل له حبك للإخوان وحبك له شخصا .. وأنهى الشيخ كلامه بضحكة ثم قام من مكانه ليطلب من أحد العاملين وضع الطعام على إحدى الموائد التى ترى النيل عن قرب .

★★★

عدت إلى مصر ليس بخفى حزين كما يقول المثل العربى ولكن بمتاع حزين كله - إن كان لحزين متاع - وكان أول ما فعلته بعد عودتى وقبل ذهابى لمنزلى هو توجهي إلى مكتب ممدوح الحسينى حيث وجدته يجلس مع بعض الإخوة فرحب بى ترحيبا كبيرا ووضع يده على كتفى فى مودة ظاهرة واصطحبني

إلى غرفة جانبية كى ينفرد بى وعندما جلسنا سألنى وهو يبدى القلق : ماذا فعلت يا أخى الحبيب عند الأستاذ هلال ؟

أبدت عدم الاهتمام بالسؤال وباغته قائلاً : هل وضعت توقيعك على قرار فصلى ووافقت على زعمهم بأنى خالفت قرار الحاج مصطفى وذهبت للنقابة يوم الانتخابات ؟

سكت ممدوح وتنحنح ويبدو أنه فوجئ من سؤالى إذ قال لى : نعم .. هه ؟ أعدت عليه السؤال وأضفت : كنتُ فى مكتبك وفى رحابك وفى ضيافتك فى هذا اليوم .. جئتُ إليك باتفاق وافق المرشد عليه فكيف انقلب الحال وكيف طاوعك قلبك وقلمك على أن توقع على شهادة زور .. كيف واتتك الجرأة على ذلك .

تلعثم ممدوح وهو يقول : أنا مجرد عضو بالمحكمة ولم يكن هذا القرار قرارى .

احتد صوتى وأنا أقول : ولكنك وافقت عليه ووقعت على تفصيلاته بما يعنى قبولك هذا التزوير !! ألم يقل لى الحاج جودة يومها أنه عرف منك وجودى معك وأن هذا الزعم باطل وأنه سيرد كيدهم ؟!!

استمر ممدوح فى تلعثمه وهو يقول : الحمد لله .. هذا يعنى أننى قلت الحق

بأدركه ساخرا : ولكنك وقعت على الباطل .

زفر ممدوح زفرة من أصيب بالضجر وقال : والله هذه أوامر من المستشار مأمون الهضيبي شخصيا ، هو الذى تسلم منا التحقيق وهو الذى كتب القرار ، وكان دورنا مقصوراً على التوقيع على أسباب قراره دون أن نتدخل فى شيء .. القرار جاء لنا من فوق يا أخى ولم نكن نملك حياله شيئاً .

وهنا وقفت متأهبا للمغادرة وفى منتصف الغرفة استدرت له وأنا أقول : ذات يوم سيتم إحالك لمحكمة استثنائية وسيأتى الحكم من فوق وسيكون دور أعضاء المحاكمة هو التوقيع على قرار حبسك .. يا أستاذ ممدوح .. كما تدين تدان .

★★★

بعد أسبوع من عودتى من المنصورة تلقيت اتصالا على هاتفى المحمول من الأستاذ محمد هلال الذى طلب منى فى كلمات قصيرات مبتسرات أن أقبله

باكر أسفل مكتب الإرشاد بالمنيل وقبل الموعد المحدد كنت أجلس فى سيارتى فى المكان المتفق عليه وكنت أستمع لصوت فيروز وهى تغنى أغنياتها الشهيرة عن القدس .. كنت أشاركها الغناء بصوتى وبمشاعرى (( لأجلك يا مدينة الصلاة أصلى .. لأجلك يا بهية المساكن .. يا زهرة المدائن ..

يا قدس يا قدس يا قدس يا مدينة الصلاة .. أصلى .. عيوننا إليك ترحل كل يوم .. ترحل كل يوم .. تدور فى أروقة المعابد .. تعانق الكنائس القديمة .. وتمسح الحزن عن المساجد

يا ليلة الإسراء .. يا رب من مروا إلى السماء .. عيوننا إليك ترحل كل يوم .. وإننى أصلى ))

واسترسلت فيروز فى الأغنية وهى تقول

(( البيت لنا و القدس لنا و بأيدينا سنعيد بهاء القدس بأيدينا للقدس سلام للقدس سلام أت للقدس سلاماااااااا أت أت أت )) .

وعلى حين غرة وجدت الأستاذ هلال يقف مبتسما بجوار السيارة وهو يقول : قالت لك الست فيروز أنه سيأتى سلام وصممت وأكدت وقالت أت أت فإذا بهلال هو الذى أتى وليس الأخ سلام .. نزلت ضاحكا وأنا أعانقه قائلا : غزة يتم دكها ليل نهار بالصواريخ والقنابل وأطفالها يُقتلون بلا رحمة وجماعة الإخوان غيرت أولوياتها فأصبحت فلسطين فى الذيل .. جماعة الإخوان بجلالة قدرها وهى راعية الإسلام وداعيته منشغلة بقضها وقضيضها بثروت الخرباوى وطوسون ونقابة المحامين وسفاسف الأمور ونسيت غزة والقدس وأهلنا هناك .. فمن أين سيأتى السلام ؟

بادرنى وهو يمزح : اخفض صوتك إنك بالوادى المقدس وادى الإخوان الكائن بالمنيل وتحت مقرهم ألا تخاف من أن يسمعك عمك الحاج مصطفى مشهور عموما شكك " هاتعكها " انتظر هنا ولا تصعد معى وسأنزل إليك بالخبر اليقين .

عدت إلى السيارة وأدرت شريط أغنية القدس لفيروز مرة أخرى ، وبعد نصف ساعة هل الأستاذ هلال مرة أخرى ليقول وقد قطب جبينه مدعيا التجهم : مبروك يا سيدى وافق الإخوان على تبرئتك ولكن الأخ مأمون الهضيبي صمم على توقيع عقاب ولو صورى فوافقنا على أن يتم إيقافك مدة شهر عن نشاط أسرتك الإخوانية ونشاط الكتيبة على أن يبدأ تنفيذ العقاب

من أول شهر رمضان ، وأنت تعلم أن نشاط الأسر والكتائب يتوقف أصلا في رمضان فلا عقاب إذن .. سيصل القرار لمنطقتك في خلال يومين .. هيا اذهب لمصالحك ولا تنسانا من صالح دعائك.

رفعت كتفى علامة اللامبالاة وكدت أقول له : لا يهمنى قرار الوقف " فأحمد هو السيد احمد " وقراركم كالهباء المنثور أو كالزبد الذى يذهب جفاء لأنه لا ينفع الناس إلا أنني دفنت كلماتي فى جوفى احتراماً لشيخوخة الرجل وسعة صدره وجهده الذى بذله .

وقبل أن يتركنى الشيخ وينصرف إلى شئونه لمحت الشخص الذى كان يراقبنى بسيارته عبر الشهور الماضية والذى كنت أظن أنه من إحدى الجهات الأمنية وقد أوقف سيارته على مقربة من البناية التى بها مكتب الإرشاد .. نزل هذا الشخص من سيارته إلا أنه لم يكن وحده كان معه آخر .. يا للمفاجأة المذهلة .. أحقا ما أراه .. كان الذى معه هو الدكتور محمود عزت عضو مكتب الإرشاد والأمين العام للجماعة وكان يتأبط ذراعه وكأنه ولى حميم .. صحت فى وجه الأستاذ هلال قائلًا : من هذا الذى مع الدكتور محمود عزت .. فتعجب من صيحتى وقال : مالك هل هناك شيء ؟ هذا أخ من الإخوان من الذين يعملون مع الدكتور محمود عزت فى منطقته وهو أخ ثقة ودائما ما يكلفه بمهام إخوانية خاصة .

ارتسمت على وجهى مئات علامات الاستفهام والتعجب .. لقد كان الشخص الذى يراقبنى ويعد عليّ أنفاسى هو أحد الشباب الذين يعملون فى جهاز سرى داخل الجماعة اسمه جهاز أمن الدعوة !! .  
انصرفت ذاهلا دون أن أودع الشيخ



## الفصل العاشر

### وداعا شاوشانك

« لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرا قالها سيدنا علي بن أبي طالب فسمعناها ثم جعلنا من أنفسنا عبيدا لغيرنا ، أما طاغور فقال ثقيلة هي قيودي والحرية هي مناي ولكنني لا أستطيع أن أحبو إليها فمن استعبدوني رفعوا لافتات الفضيلة وجعلوها حائطا بيني وبين حريتي لذلك لا تجزع إن رأيت لافتات الفضيلة والشرعية والخلافة قد أصبحت هي جدران السجن الذي يتم استعباد الغافلين المتدينين فيه » .

مر شهر رمضان الكريم بروحانياته وقيامه .. قرأنا القرآن فاهتزت قلوبنا رهبا ورغبا وسجدنا لرب العزة فاندفعت أنوار الإيمان إلى صدورنا .. مرغنا جباهنا في التراب طاعة لله ودعونا الواحد الأحد وبكينا وتحرينا ليلة القدر .. تعبدت لله وأنا موقوف من الإخوان ، ، وكنت أتعبد لله قبل أن يتم إيقافي .. فما الفارق إذن ؟ هل سينتقص الله من حسناتي لأن الإخوان أوقفوني ؟ هل سيكون في صيامي شك لأن المرشد لم يرض عني ؟! وهل الوقف الإخواني يجعل الموقوف فاطرا ؟! .

من الغريب أنني كنت أفضل في هذا الشهر من أيام سابقات، بل كان من قدر الله أن وقفت في هذا الشهر المبارك خطيبا على المنابر في أيام الجمع في أحد المساجد بالمنطقة الأولى في مدينة نصر ، كما كنت ألقى خاطرة دينية في مسجد بالمنطقة الثامنة بين صلاة القيام ، كان هذا من نشاطي الدعوى الخاص بى بعيدا عن الإخوان فمن أثر الوقف أن أتوقف عن أى نشاط دعوى ، كما أنه لم يكن أحد من الإخوان من كبيرهم إلى صغيرهم يعلم شيئا عن ممارستي الخطابة والدعوة في المساجد .

تأملت وأنا في خلوتي الروحية حال الكثيرين من الإخوان الذين دخلوا إلى الجماعة بمشاعر دينية متدفقة ، وملكات نفسية وذهنية متنوعة ، يحملون في طيات أنفسهم مواهب دفينه هي كالماس الذى يبحث عن مكتشف له .. وبغير ما يبتغون تحولت طاقاتهم وملكاتهم ومواهبهم إلى ثروة مبددة .. انطمرت الماسات تحت وسائل تربوية عقيمة ترفع من شأن السمع والطاعة ويتوه الأخ معها فى الإداريات .. فإذا كان كل تنظيم أو تيار لا يرتفع إلا على أكتاف أصحاب "التوهج الفكري" فقد أصبح التنظيم الإخواني صاحب أكبر ثروة



بشرية إلا أنها لا تكاد ترى النور بعد أن تم تخزينها هناك فى خزينة الجماعة .. تكاد الجماعة فى هذا تشبه الرجل الذى امتلك كنزا ثميناً فبذره فى التراب وطمره فى الطين .

هل كنت وحدى الذى نال حظه من التكبير ؟ .. هل كنت فريدا حينما ضيقوا على الخناق ؟ لن تكون الإجابة إلا بكلا ولا ولن ولم .. فيقينا لم أكن بدعا منهم ، فجماعة الإخوان دخلها وخرج منها من هم أعلى منى قدرا وقيمة وفكرا وموهبة .. جماعة الإخوان متخمة بالمواهب وأصحاب الطاقات والملكات فى المجالات الدعوية والفكرية إلا أنهم يرسفون فى أغلال وقيود التنظيم التى حرصت على إخفائهم عن جمهور الناس ، ومن استطاع منهم أن يفر من التنظيم خرج إلى سماء الدعوة ونال شهرة فى مجاله وأصبح قائدا ومؤثرا فى تخصصه وكأنه يقول للجماعة بقيودها ومثالبها .. يا بارى القوس بريا لست تحسنه / لا تظلم القوس وأعط القوس باريها ، خرج أبو العلا ماضى ومعه مجموعة الوسط فأصبحوا أصحاب أنضج تجربة فكرية إسلامية حركية حتى أن رجب طيب أردوغان صرح بأنه استلهم فكرة حزبه التركى من تجربة حزب الوسط وأبو العلا ماضى ، وخرج عمرو خالد فأصبح أشهر داعية فى عصرنا الحالى وتطور فى طريقته حتى استطاع اجتذاب فئات من الشباب عجزت الجماعات والحركات والدعاة عن اجتذابهم إلى طريق الالتزام ، وامتد تأثير عمرو بعد تحرره من قيود الإخوان إلى كل العالم الإسلامى ، أما الشيخ القرضاوى بقدرة وعلمه وتأثيره فقد أثر أن يفك أغلال التنظيم من معصمه ويهب نفسه وعلمه وفقهه لكل العالم الإسلامى ومن قبل هؤلاء خرج الشيخ الفقيه سيد سابق والشيخ الربانى محمد الغزالى رحمهما الله وغير هؤلاء كثير بحيث يصعب الحصر ... ولكن للأسف ما زالت ثلثة من أصحاب الملكات والمواهب والطاقات من الإخوان يقبعون فى سرايب الجماعة تخيفهم أضواء الشمس ويزعجهم الصوت المرتفع إذ لم يتعودوا النور ولم تقو عيونهم على استقبال أشعته كما لم يعرفوا إلا الهمس والسرية خوفا من الأمن أو خوفا من النقيب أو المسئول أو المرشد .... مع هذا التغيب لكل المواهب ما زالت الجماعة تزعم أنها تسعى لأسلمة المجتمع واستعادة دولة الخلافة الإسلامية .. ستستعيدها وستأسلم المجتمع بفريق من البكم الذين لم يتعودوا الكلام !! والصم الذين لا يسمعون !! والأكفاء الذين أدمنوا النظر للظلام !!

ستستعيدها بالمشلولين الذين لم يعرفوا الحركة ويوغر صدرهم أن يروا غيرهم يتحرك !! وحقا قال شيخنا القرضاوى " إن الجماعة لم يبق فيها بعد أن تفلت منها أصحاب المواهب إلا المتردية والنطيحة وما أكل السبع " .. ذات صبح استيقظنا من نومنا فوجدنا أن دعاة الإخوان الذين كانوا يملأون الدنيا دينا ودعوة قد اختفوا تماما وغابوا عن مصر وظهر غيرهم من غير الإخوان مثل الدكتور عمر عبد الكافى وصفوت حجازى وخالد الجندى .. وظهر أيضا أرتال من دعاة السلفيين مثل الشيخ محمد حسان والشيخ أبو إسحاق الحوينى والشيخ محمد حسين يعقوب وبسطوا نفوذهم الفقهى على جمهور واسع حتى بات جمهور السلفيين يفوق جمهور الإخوان ثلاثة أضعاف.

تداعت إلى ذهنى الخواطر وأنا فى خلوتى التعبدية التى عشت فيها وبها فى رمضان ودفعتنى هذه الخواطر إلى وضع مقارنة بين عهدين عشت فيهما .. عهدى فى الإخوان ... وعهدى وأنا موقف عن أنشطة الإخوان لمدة شهر ، وكانت المقارنة فى غير صالح إخوانيتى التنظيمية ... دخلت إلى الإخوان للدعوة ومن أجل أن أتعبد لله فإذا بالجماعة تبعثر فى طريقى وطريق غيرى الأشواك الإدارية التى من شأنها يقينا أن تمنعنى من الدعوة وأن تشل حركة الشباب المتدين من أصحاب الطاقات والملكات الخلاقة .. وأظن أننى دخلت الإخوان وأنا ذا على وشك الخروج - أو الفرار - منهم ولم يسأل أحد منهم ذات يوم : فى أى شيء تميز هذا الرجل وما هى موهبته .. أهى فى مجالات الكتابة أم الخطابة أم علوم المفاوضة أم الدعوة أم فنون السياسة أم غيرها ؟ سجر فؤادى من الاسترسال فى المقارنات وختمت حديث النفس إلى النفس بحقيقة أظنها لا ينبغى أن تغيب على أحد وهى أن الجماعة كمؤسسة لم يكن من دينها أو نظامها الاهتمام برصد الموهوبين وتوظيف مواهبهم فهذا أبعد ما يكون عن الإخوان !!

لا ريب عندى أن شهر رمضان الكريم كان بمثابة إعادة صياغة حقيقية لتفكيرى ، فقد صب فى روحى شلالا نورانيا رأيت فيه رحابة الإسلام وضيق التنظيم ، ومن خلاله أيقنت أن التنظيم الضيق مهما كانت قوته لا يمكن أبدا أن يستوعب رحابة الإسلام ، وأن الذين يريدون إدخال الإسلام فى تنظيم مهما كان قدره كأنهم يحاولون إدخال جمل فى سم الخياط وهم يقينا يجهلون الإسلام ويخطون بينه وبين التنظيم عمدا أو جهلا .

ولأن الشهور تمر والزمن ينقضى ، مضت أشهر بعد انتهاء مدة الوقف .. انتهى الوقف وكان له أن ينتهى إلا أن نشاطى فى الإخوان ظل متوقفا بإرادتى فلم أنتظم فى أسرة ولم أحضر كتيبة ولم أسدد اشتراكا ، ومما يدهش الألباب أن الأخوة الذين كانوا يلتفون من حولى ويظهرون مشاعرهم المساندة لى لم يهتموا بغيابى وضاعت عبر الأثير الإخوانى كل الأخوة وكل معانيها ، ويبدو أن الأخوة تكون عندهم فى التنظيم وليس فى الإسلام .. فمن كان معنى فى التنظيم كان أخى ومن اختلف مع التنظيم ليس أخى .. فهى أخوة فى التنظيم قطعاً وليست أخوة فى الإسلام !!! .

وأخيراً ... وبعد شهرين من انقطاعى المتعمد عن الإخوان زارنى الأخ حسن عبد الحليم الذى كان قريباً منى ذات يوم ، والذى كان يمتص غضبى ما وسعه الجهد عند بداية الخلافات، إلا أنه غاب عنى واحتجب عن واقعى فيما بعد ، وكأنه نفض يديه من " الجمل بما حمل " على رأى المثل .. وقع فى ظنى - وقد كنت سليم الطوية - أن الزيارة ربما تكون أخوية وأن مبعثها هو الاطمئنان عن سبب غيابى عن الإخوان ، وقد كانت عبارات الاطمئنان بالفعل هى العبارات التى بدأ بها حسن حديثه معى وسرعان ما عرج إلى أمر آخر كان قد تاه عنى وغاب عن وعيى وهو أمر الاشتراك الشهرى الذى يجب أن يدفعه كل أخ وهو يمثل نسبة ما من إجمالى دخله والذى كنت قد امتنعت عن سداذه فى الشهرين الماضيين .. سألنى حسن : أين الاشتراك يا سيدنا ؟ .. إخوانك يسألون لماذا توقفت عن سداذه .. تفجرت ينباع الدهشة فى أعماقى .. أهذا كل همكم .. واحسرتاه على جماعة لم تهتم بقلب الأخ وكرامته قدر اهتمامها بجيبه !! .. قلتها فى نفسى ثم نظرت إليه بابتسامة وقلت وأنا أنتقى الألفاظ : إن شاء الله .. ادع لنا بالخير والرزق .

اللهم ارزق ثروت أخى رزقا وفيرا طيبا وبارك له فى ماله وصحته .. قالها حسن ثم قام مستأذنا وقد أيس أن يأخذ منى شيئا .



كان عام ٢٠٠٢ يجرى فى سباق محموم مع نفسه حتى اقترب من منتصفه أو كاد ، ومع ذلك كانت أيامه مترعة بالأحداث ، فمن ناحية تعاقبت القضايا التى أقمته أمام القضاء الإدارى بهدف الإفراج عن إخوان " قضية النقابات المهنية " العسكرية وتعددت زياراتى لـ مختار نوح وإخوانه فى محبسهم من

أجل مناقشة تطورات القضايا ، وكنت ألقى من إخوان السجن كل دعم نفسى وتأييد معنوى خاصة من الدكتور محمد بديع والدكتور محمد بشر ، ومن ناحية أخرى زاد فتورى ونفورى من البقاء داخل الجماعة فكنت أسير فى طريقى وكأنتى أجمع طرفى مقص ما أن يلتقيا حتى يفترقا .. وكنت قد رأيت ألا أشغل تفكيرى بأمر الإخوان وأركن إلى الهدوء والوحدة ، إلا أن الأحداث كانت لا تدعنى لنفسى طرفة عين .. فكيف أبتعد عن الأحداث والأحداث لا تبتعد عني !!؟ .

أخذت أرقب ما يدور فى نقابة المحامين عن كتب خاصة أن الخلافات بدأت تعلن عن نفسها بين إخوان النقابة وسامح عاشور نقيب المحامين ، إذ كان عاشور قد بدأ فى استقطاب الكثيرين ممن تحالف الإخوان معهم ونجح بغربة شديدة فى جذب حلفاء الإخوان إلى فريقه الصغير ، وهامهم الإخوان يفقدون الواحد تلو الآخر من الناجحين على قائمتهم حيث كانوا يذهبون رهبا أو رغبا إلى "حصالة" النقيب سامح عاشور التى يجمع فيها الهاربين من قائمة الإخوان .. وزاد الطين بلة أن فقد إخوان النقابة بعضا من رجالهم من أعضاء التنظيم فقد سارع أحدهم بالتحالف مع سامح وانقلب على إخوانه بغية تحقيق مصالحه ، ومن الغريب أن هذا العضو الإخوانى المنقلب كان ممن شهدوا زورا ضدى !! فكان انقلابه درسا ينبغى أن يفهموه ولكن أنى لهم أن يفهموه ؟ أما الأعجب فهو أن إخوان التنظيم لم يتحركوا بتحقيق أو محاكمة لهذا العضو الذى انقلب عليهم ويبدو أن إخوان المحامين أحجموا عن التحرك فى مواجهة هذا الأخ حتى لا يفضح الكثير من مخالفاتهم التى شهدت لها فيما بعد تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات .

وفى خضم الأحداث المتلاحقة توثقت صلتى بمجموعة حزب الوسط الذين خرجوا من الإخوان ليعلنوا على الملأ مشروعهم السياسى والفكرى ، ومع زيادة صلتى بهم تبين لى أنهم وصلوا بحزبهم - تحت التأسيس - إلى درجة من النضج السياسى والفكرى والفقهى قد يصل إليها الإخوان بعد خمسين عاما إن تخلوا عن جمودهم وتيبسهم .

كان من البديهي أن يكون عاطف عواد هو همزة الوصل بينى ومجموعة الوسط .. فعاطف كان من مجموعة الوسط حتى عندما كان فى قلب الإخوان ، كما أنه كان من الأصدقاء المقربين لى وكان رفيقى فى معظم الأحداث التى

مرت بى سواء وأنا فى الجماعة أو عند اختلافى معها ، فضلا عن أنه كان مشتركاً معى فى خطة ( إنجاح سامح عاشور على رجائى عطية ) ولم يتخلف عاطف عن مساندتى - أو بالأحرى مساندة نوح وبدوى - فى القضايا التى أقمتها ، فكان معى فى كل الجلسات كتفا بكتف ، وكان يصاحبنى فى مسيرة التحالف القانونى والسياسى مع كبار المحامين من كل الأطياف .. ظل عاطف معى رداً يصدقنى ويشد من أزرى فكان معى ثانى اثنين إذ ذهبنا للفقيه الدستورى محمد عصفور - رحمه الله - نطرح عليه أفكارنا القانونية ، وعند ذهابنا للمحامى الحكيم محمد علوان نرشف من حكمته وأفكاره الصائبة .

كانت تجربة عاطف مع الإخوان فريدة من نوعها وكان قد حسم أمره فى غضون النصف الأخير من عام ٢٠٠٠ وترك الإخوان غير أسف على ذلك متجهاً بعقله وقلبه وكل كيانه إلى حزب الوسط تحت التأسيس ، وقد اعتبرته أكثر شجاعة منى فقد فعل ما عجزت عن فعله - وقتها - .

أما عن الخاتمة التى ختم بها عاطف وجوده مع الإخوان فقد كانت خاتمة طريفة غاية الطرافة .. ذلك أن مجموعة حزب الوسط كانت قد بدأت فى الاكتتاب لإنشاء صحيفة تعبر عنهم وتعبر عن أفكارهم وأعلنت فى الصحف عن ذلك المشروع وعن فتح باب الاكتتاب .. وطرق طارق خفى على بوابة الإخوان ليخبرهم أن عاطف عواد من المارقين وأنه حتماً اكتتب ودفع من ماله متبرعا من أجل إنشاء صحيفة حزب الوسط !! فكان أن أوعز أحدهم إلى بعض الإخوان من المحامين بهذا " الجرم الافتراضى " الذى ارتكبه عاطف ، فما كان منهم إلا أن تقدموا بشكوى ضده وكانت هذه الشكوى بطبيعة الحال من نصيب "الرجل الطيب" قاضى الإخوان فى منطقة شرق القاهرة الحاج جودة شعبان حيث أسندت له الجماعة أمر التحقيق واستجلاء الحقيقة .

كان عاطف محاميا داهية يتميز عن غيره بمنطقة وسرعة بديهته ، أما الحاج جودة فهو رجل على سجيته كجدول ماء ضحل ترى الحصباء فى قاعه دون أن تمعن النظر فيه .. ويبدو أن عاطف كان قد انتوى ترك الإخوان قبل التحقيق إلا أنه أسر هذا الأمر فى نفسه ولم يبيده لهم ، لذلك لم يلق بالا بالتحقيق وما سيسفر عنه .

ذهب عاطف للحاج جودة ودخل يقبل كتفيه - كما يفعل الإخوان فى

بخمسين أخ ولكن الإخوان للأسف الشديد لم يكن من ديدنهم الحفاظ على الأخ اللهم إلا إذا كان أخا باهتا عديم الأثر لا يعرف إلا السمع والطاعة مستسلما كالميت تحت يد مغسلة يقلبه كيف يشاء .. أنهيت مكالمتي معه وأنا أدعوه للحضور معى فى جلسات محكمة القضاء الإدارى التى أطالب فيها بالإفراج عن إخوان السجن وقلت له قبل أن أغلق الهاتف : عما قريب ستجدنى خارج الجماعة إن شاء الله فقد حانت لحظة خروجى من الإخوان ولن أسمع لنفسى بالتردد مرة أخرى ..

ويبدو أن مكالمتي مع "أبو الفتوح" فتحت لى باب الحديث مع أصدقائى فما إن أغلقت الهاتف مع أحمد حتى اتصلت بعاطف عواد وطلبت منه أن يمر على فى مكتبى بعد العصر لأمر مهم .

وفى الموعد المحدد جلست فى غرفة مكتبى مع عاطف واستعرضت معه الأحداث الفائتة كلها بالترتيب وأخبرته بنبأ الموعد المضروب لى مع المستشار مأمون الهضيبي بعد صلاة العشاء.

قال عاطف وهو يتنهد : يا صبرك يا أخى .. أظن أن الصبر مل من صبرك

ضحكت قائلاً : ليست المسألة متعلقة بالصبر ولكننى أردت أن أقيم الحجة عليهم .. على الجماعة بأسرها أمام الله سبحانه وتعالى .

قال بمنطقه المعهود فيه : أظن أنه لو تم تخييرك بين الصواب والبقاء فى الإخوان فيجب أن تختار الصواب

بادرته بحميمية : يا سلام على الحكمة يا عم عاطف .. ولكن هل يطاوعنى قلبى على أن أترك جماعة أحببتها .. أتركها والفساد يعيش فى رأسها ويضرب بجذوره فى أطنابها .. لك أن تعرف أن العديد من الإخوان النبهاء من أصحاب العقول النيرة والقلوب المضيئة يجاهدون داخل الجماعة حتى لا تصبح خاوية على عروشها بلا مصلحين ... فلماذا أتركهم وحدهم ؟ أكون حينئذ قد تخليت عنهم .

قال وقد نفذ صبره : يا سيدى .. الإصلاحيون لا يستطيعون التنفس داخل جماعة " كتم النفس " هذه .. عبد المنعم أبو الفتوح يظن أنه يستطيع الإصلاح ويحاول أن يجمع معه جيل الوسطيين مثل إبراهيم الزعفرانى وآخرين ولكنهم جميعهم يعيشون على وهم لن يتحقق .. إن الفريق الذى سرق الجماعة يقوم

بدوره بنجاح ملحوظ وهم يسحبون حاليا كل الملفات التي كان أبو الفتوح مسئولا عنها ، أصبح عبد المنعم الآن يجلس فى الجماعة بلا عمل .. وأظن أنه سيستيقظ ذات يوم من حلم الإصلاح هذا على قطار الإخوان وقد ابتعد عنه وتركه وحيدا بلا جماعة .

تأملت قوله وانتابتنى لحظة صمت وسرعان ما قطعتها قائلا : أصدقك القول .. لقد كنت أشعر منذ أمد طويلة أن هذه الجماعة سجن وقيود وأنا السجين الذى لا يستطيع أن يحبو إلى حريته .. ثقيلة هى قيودى ... ندت عنى ابتسامة ساخرة وأنا أقول : أخشى أن أكون قد أدمنت السجن والسجان .

أومأ عاطف وكأنه يؤكد إيمان السجن : يبدو أنك نسيت ذلك النشيد الذى كنا ننشده فى المسرحية الإخوانية التى قمنا ببطولتها فى أوائل التسعينيات على مسرح نقابة المهندسين .

قلت بصوت أقرب إلى الهمس وكأني أنشد : سجن فى شرق بلادى سجن فى غرب بلادى سجن هى كل بلادى سجن سجان وسجوهون .

قال عاطف بمنطقة : لاشك عندى أنك تحفظ النشيد بل وتحفظ المسرحية كلها فليس هناك من يضاهيك فى ذاكرتك ولكننى أردت أن أ استدعى هذا المعنى .. معنى السجون .. نحن نعيش فى سجن كبير .. والإخوان قطعة من هذا السجن ولكن خطورتها تكمن فى أن جدران السجن وقضبانه هى لافتات الفضيلة والشرعية التى ترفعها الجماعة كى تستعبد المساجين وتستغفر طاقاتهم من أجل السجن لا من أجل الإسلام .

وكان عباراته أيقظت وعيى الذى كان مخدرا ومتبلدا فقلت وأنا أستجلب أمرا من أعماق ذاكرتى : هل تتذكر فيلم وداعا شاوشانك ذلك الفيلم الأمريكى الذى شاهدناه معاً منذ سنوات ؟

أومأ عاطف : أتذكره ولا أنساه .. كان عن سجن شهير اسمه شاوشانك لا يدخل فيه إلا من صدر ضده الحكم بحبسه أكثر من خمسين عاما أو مدى الحياة وقد قام ببطولته تيم روبنز ومورجان فريمان وأظن أنه حصل على الأوسكار وبدأت منه شهرة مورجان فريمان .

أكملت قائلا : كانت قواعد هذا السجن تقتضى خروج السجين الذى أمضى خمسين عاما إذا كان سجله خاليا من المخالفات وكان حسن السير

والسلوك ، وكانت لائحة السجن توجب أن يتم إلحاق السجين المفرج عنه بعمل فى المدينة التى يقع فيها السجن فضلا عن تسكينه فى أحد الفنادق .. هل تذكر يا عاطف ذلك السجين الذى خرج بعد خمسين عاما .. دخل السجن شابا يافعا وخرج وهو يحبو نحو الثمانين .

قاطعنى عاطف بقوله : لم يقو هذا السجين على الحرية فقد تعود على السجن بل أدمنه .. لم يعرف غيره وليس له أصدقاء إلا فى داخله .. أهله هم السجناء وحياته هى السجن .. لم يسبق له أن رأى المدينة منذ أكثر من خمسين عاما .. عندما خرج إلى الطريق كاد عقله يجن ، وكادت السيارات تدهمه .

أخذت منه طرف الحديث وقلت وكأئننى أحدث نفسى : لم يتحمل الحرية فانتحر بعد أسبوع من خروجه من السجن .

بادرنى وهو يضحك : وفى ذات الفيلم رأيناهم وهم يحملون سجيننا آخر حان وقت الإفراج عنه فإذا به يبكى بحرقة وهو يحاول التملص منهم . قاطعته قائلا : أما تيم روبنز فقد استخدم كل الحيل لكى يهرب ، لم يقبل زنازنته .. ولم يرض عن قيوده .. لم يقبل التعذيب الذى تعرض له من بعض المساجين الذين لا يتحركون إلا بأمر من مدير السجن ، لم يتحمل المهانة التى أصابته من المحاكمات الداخلية الجائرة والسجن الانفرادى ، فهرب .. ظل يخطط للهرب مدة عشرين عاما حتى استطاع الخلاص من سجنه ونيل حريته .

عاد عاطف إلى الحديث وهو يستكمل الأحداث معى : أما مورجان فريمان فلم يجاهد للحصول على حريته كما جاهد تيم روبنز ولكنه ساعد روبنز على الهرب .. انتظر مورجان إلى أن مرت عليه خمسون سنة .. كان مورجان قد قضى أكثر من نصفها بالفعل قبل دخول روبنز إلى السجن ولما كان روبنز قد قضى فى شاوشانك عشرين سنة قبل هروبه.. لذلك لم يمر خمس سنوات إلا وقد خرج مورجان حرا طليقا .

أنهيت القصة قائلا : مورجان كان يتوق إلى الحرية ولكنه لم يسع إليها .. انتظر إلى أن أتت له .. وحين خرج ذهب إلى تيم روبنز فى مكان ما كانوا قد اتفقا عليه ... هناك بعيدا على شاطئ بحر شديد الاتساع كان اللقاء بين من سعى نحو الحرية ومن انتظرها .. ويبدو أن شاطئ البحر هذا كان يرمز



باتساعه إلى الحرية .

سألنى عاطف وقد غير وجهة الحديث : هل ستذهب للمستشار مأمون ؟  
أومأت بالإيجاب وأنا أقول : نعم سأذهب لأقول له وداعا شاوشانك ..  
وداعا للإخوان .

ولأن صوتى كان يبدو فيه التردد وعدم الحسم ارتفعت ضحكة عاطف إلى  
سقف الحجرة وهو يقول : والله أنا خائف منك .. إذ من الممكن أن تقول له  
بالأحضان يا شاوشانك .



رغم كل ما مر بى إلا أننى لم أكن قد حسمت أمرى بشكل نهائى .. كان  
التردد لا يزال ينصب شباكه أمامى ، وكنت أمل أن أجد المستشار الهضيبى  
رحمه الله يحمل عقلية حكيمة وبصيرة نافذة تستوعب ولا تتفر ، تستقطب ولا  
تبدد ، تهدد ولا تهدد .. ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن ... لذلك  
كانت مشاعرى ملتاعة حين خرجت من معية الرجل .. ولكن كيف كان لقائى به  
؟ هل تعرف كيف يكون هو شعور الإنسان عندما يصاب بخيبة أمل ؟  
البعض يشعر أن قدرا من الماء قد تم صبه عليه ، والبعض الآخر تذهله خيبة  
الأمل عن التفكير وقد تصيبه بحالة من الوجود أو لربما قد يظن أنه مستغرق  
فى حلم ، أما أنا فقد أصابتنى خيبة الأمل عند لقائى بالمستشار الهضيبى  
بفرحة غامرة وسعادة بالغة مشوبة بحزن شفيف - وهو شعور شديد الندرة -  
فقد أيقنت أن ما مر بى من أحداث - وكانت خاتمته هذا اللقاء - سيكون  
عظيم الأثر فى قرارى الحائر .

كان من المفترض وفقا لما وقر فى يقينى أن لقائى بالمستشار مأمون  
الهضيبى سيكون ثريا له قيمته .. فالرجل يحمل فوق كتفيه تاريخا ويختزن  
فى مكنون ذاته كما متنوعا من المعارف القانونية والخبرات السياسية  
والتنظيمية .. إلا أننى تذكرت عند لقائى الأخير معه ذلك المثل العربى الذى  
يقول " ليس كل ما يتمناه المرء يدركه " .. ويبدو أن معارف الإنسان وخبراته  
قد تكون عبئا عليه - أو يكون هو عبئا عليها - إن لم تكن له بصيرة وسعة أفق  
، كذلك الجواهرى الذى وهبه الله ذهبا وجواهر نفيسة فقذفها فى اليم إلى  
غير رجعة !.

كانت العديد من اللقاءات الإخوانية التنظيمية قد جمعتنى بالمستشار

الهضيبي سابقا إلا أنه فى الغالب الأعم كان قليل الكلام يميل إلى الاستماع ولا يعقب إلا بكلمات قليلات ... وكانت معظم الحوارات التى جمعتنا تدور فى مجملها حول شئون تنظيمية وحركية لا علاقة لها بالفكر كما لم تكن لها علاقة بالإنسانيات والمشاعر ، لذلك لم تتح لى الفرصة كى أختبر عن كثب بصيرة هذا الرجل وقلبه ، إلا أنه وقد تلاحظ لى من خلال خبرتى فى التعامل معه - كما تلاحظ لآخرين - أنه يتسم بضيق الصدر وسرعة نفاذ الصبر .

كان المستشار هو الذى فتح لى باب فيلته وأدهشنى أنه نظر لى بدهشة إلا أنه دعانى للدخول بكلمة مقتضبة وبعد أن جلست فى أحد مقاعد الصالون قال بصوته الحاد الرفيع وهو لا يزال واقفا : ما الذى جاء بك هنا ؟

تعجبت من السؤال وارتبكت المعلومات فى رأسى إلا أننى قلت بهدوء : هناك موعد بيننا اليوم على ما أظن .. هكذا قال لى عبد المنعم أبو الفتوح . استمر فى حديثه ثم جلس على مقعد مواجه لى وهو يقول : لا علاقة لى بما تقطن .. كان موعدنا أن تأتى لى فى مكتبى فى " الشغل " بعد صلاة ظهر اليوم وقد انتظرتك ولم تأت .

ظهرت على قسمات وجهى مخايل الدهشة حتى أننى كدت أهز رأسى لأعيد عقلى إلى مكانه المعهود ، ثم قلت متباطئا بعد أن أدركت أخيرا معنى عبارة " فغر فاه " التى يكتبها الأدباء إذا أصيب أحدهم بالدهشة : شغل .. أى شغل ؟!! .

كنت أعرف أن المستشار مأمون "على المعاش" لا يعمل فى أى جهة وأنه متفرغ للإخوان لذلك أصابتنى كلمة " شغل " التى قالها بالدهشة للدرجة التى ظننت بسببها أننى دخلت بيتا آخر على سبيل الخطأ .

قال المستشار وهو ينظر لى كأنه ينظر إلى رجل عيى بطيء الفهم : "الشغل" ألا تعرف "الشغل" !! ألا تعرف مكتبى فى المنيل فى مقر الجماعة؟ ألا تعرف أن "شغلتى" هى نائب المرشد ؟!

تجاهلت السؤال الذى أظهر لى الرجل فى صورة لم أكن أتمناها له ثم قلت له بعد أن قمت واقفا متأهبا للانصراف : أعتذر عن اقتحامى وقتك ولكن يبدو أن عبد المنعم اختلط عليه الزمان والمكان فقد أخبرنى هذا الصباح أنك تنتظرنى فى بيتك بعد صلاة العشاء وقد وفيت بموعدى وإن شاء الله سأتى إليك فى وقت آخر فى " الشغل " .

أشار لى بيده يأمرنى بالجلوس وهو يقول : أقعد .. أقعد .. هل تظن أن " دخول الحمام كما الخروج منه " .

جلست وأنا أقول فى نفسى بعد أن غالبت ابتساماة طففت على سطح وجهى " طالما أن الرجل يعتبر بيته حماما فكان من المفروض أن أدخل بقدمى اليسرى وأقول وأنا داخل: « اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث » ... وبعد أن تفرست وجه المستشار أدركت أن الرجل يتبع معى سياسة " كسر الأنف " وسياسة " الإرباك " وهى سياسة يعرفها الملاكمون - وقد مارس الرجل الملاكمة وهو فى طور الشباب - ويبرع فيها أساطين فنون المفاوضة .. وبيتغى من يتبع هذه السياسة كسر عناد من يحاوره وإصابته بالحيرة والارتباك حتى يكون منهزما نفسيا قبل أن يبدأ المفاوضة .. فقطعا كان عبد المنعم أبو الفتوح واعيا للموعد من حيث المكان والزمان.

ولكن الهضيبى رحمه الله أراد بدهائه وأد أى معارضة قد تبدر منى ، فالمفروض أننى بهذه الصورة قد اقتحمت بيته دون موعد ولذلك يجب أن أجلس وأنا فى حالة خجل لا تسمح لى بمناقشة أو معارضة . ارتفع صوت المستشار مناديا : يا هشام هات لنا زجاجتين من مشروب الكولا .

قاطعته مسرعا : لا داعى

- لماذا لا داعى .. نحن عرب .. والكرم واجب .. قالها ثم أعاد النداء على ابنه هشام مرة أخرى إلا أننى قلت بتؤدة : صدقت .. نحن عرب لذلك لا داعى لمشروب الكولا فكما تعلم هناك مقاطعة للبضائع الأمريكية والإسرائيلية والكولا من مشروبات المقاطعة .

- أه .. هل أنت منهم .. هه أنت من أنصار المقاطعة ؟ قالها بلهجة تنم عن التهكم فبادرته بنفس لهجته : نعم أنا منهم ولكن يبدو أنك لست منهم .

تجاهل المستشار الهضيبى تعقيبى وأعاد النداء على ابنه هشام : هات شأى يا بنى وحاذر ألا يكون من أنواع المقاطعة .. فالأستاذ مقاطع.

ودون تمهيد بادرنى بلهجة يشوبها الاستعلاء وكأنه رئيس مجلس إدارة شركة يخاطب أحد الموظفين عنده : أنت أخطأت فى حق الجماعة يا ثروت .. ويبدو أنك لم تعرف ما قاله حسن البنا .. قال نحن جماعة انتظمتنا فى صف واحد فإذا خرج منا واحد لن يقول الناس خرج واحد ولكن سيقولون صف

أعوج ..وقوفك مع سامح عاشور كان خطأ .. ومحاولاتك المستمرة التى تسعى من خلالها إلى دعم سامح ونقض تحالفات من اتفق معنا خطأ .... سامح ليس رجل الحكومة ونحن نسعى للتحالف مع من يستطيع أن يقربنا من دوائر صنع القرار ورجائى هو رجل الحكومة وهو من سيقوم بهذا الدور ولكنك أفسدت علينا خطتنا .. هذه خطة كاملة للجماعة لا شأن لها بمن تم حبسه أو بمن سيتم حبسهم فى المستقبل .. نحن تحالفنا فى الأطباء مع حمدي السيد ومع حسب الله الكفراوى فى المهندسين لهذا السبب .. وأى شخص قريب من دوائر السلطة العليا سنتحالف معه ولن نقبل أن يخرج أى واحد منا على هذا القانون .. هذا هو دستور الجماعة .. دستور الجماعة .. وأنت رجل قانون . انتظرت إلى أن استكمل كلامه ثم قلت : قانون التحالف مع من يكون قريبا من السلطة أظن أنه من الممكن أن يكون وسيلة مرحلية وليس دستورا دائما .

ظهر الضيق على وجهه ثم قال بنفاد صبر : لا تجادلنى .. أنت رجل قانون .. لماذا وضعت الدولة قانونا للمرور .. طبعا حتى لا تتصادم السيارات .. ماذا لو خالفت سيارة قانون الدولة وقطعت الإشارة الحمراء .. قطعاً ستقع حوادث وستضطرم السيارات بالمارة .. ماذا لو أقام أحدهم بناية دون ترخيص من الحى وفقا للقانون ... سيصبح الحال فوضى ... هناك قانون للعقوبات .. من يخالفه يكون قد ارتكب جريمة أليس كذلك ؟ . تنفست الصعداء وأنا أقول : لا ليس كذلك . - ماذا تقصد ؟ قالها مقاطعا وهو يبدى استغرابه .

أكملت كلامى وأنا أتناول كتابا كان على المنضدة وكأنه لم يقاطعنى : هناك مواد فى القانون تتم محاكمة الإخوان بموجبها مثل المادة ٨٦ من المدونة العقابية .. وبالمناسبة الإخوان يخالفون هذه المادة ويرتكبون بمخالفتهم هذه جريمة إنشاء تنظيم دون أن يكون لهذا التنظيم رخصة من الجهات الرسمية .. فإذا كان قانون الجماعة فى رأيك يجب أن يتم احترامه كما نحترم قانون المرور وقانون العقوبات فحينئذ يجب أن نعلن عن حل الجماعة لأنها تخالف قوانين الدولة لأنها نشأت دون رخصة كما البنايات التى تنشأ من غير رخصة ، وإلا لأدت هذه المخالفة إلى اصطدام السيارات ووقوع الحوادث وإشاعة حالة فوضى .. أليس كذلك ؟ .

هب الرجل واقفا وهو يقول بعصبية وحدة : المراقبة انتهت

تجمع فى ذهنى فى تلك اللحظة كل العمر الذى قضيته فى الجماعة وكل ما  
مر بى من أحداث ... مر شريط الذكريات وكأنه دهر ولكنه مر فى جزء من  
الثانية ... رأيت أمام عين خيالى تلك المشاهد الرائعة التى شاركت فيها أو  
اقتربت منها أو تفاعلت معها ... رأيت أشخاصا رباينين وهبوا أنفسهم للدعوة  
.. رأيت أفذاذا فى الفقه والفهم وسعة الأفق .. رأيت عقولا موسوعية وقلوبا  
نورانية .. والآن واحسرتاه أرى جماعة بلا قلب .. هذا هو قلب الإخوان !! ..  
فى مكانه فراغ !! فقد تبخر القلب وتناثر خلف من ماتوا ومع من خرجوا ..  
اندثر القلب وضاع من يد مَنْ قَلَبَ الإخوان إلى ناحية أخرى ... الآن أن لى  
أن أختار .. أن لى أن أحسم أمرى .. أحببت جماعة الإخوان ووهبتها قلبى  
ومشاعرى وعقلى .. فضلتها على نفسى وبيتى وأولادى .. لم أكن أحبها  
لذاتها كذلك المحب الوله العاشق الذى يتدله حبا فى محبوبته لذاتها .. ولكننى  
أحببتها لما ترمى إليه .. لأنها دعوة وحكمة ووسطية وفهم واعتدال .. والآن  
تبدل الحال فلم أبقى ؟ لما أظل أسيرا فى حبال تلك الجماعة التى فقدت قلبها  
.. لم أرضى بالأسر والحبس فى أسوار عالية تمنع الرؤية وتحجب الرؤيا ..  
فلا خيال ولا إبداع ؟ أأظل رهينة فى محبسهم مكبلاً بأغلالهم وأنا من تآقت  
نفسه إلى سماء بلا قيود وأرض بلا حدود كطائر الباتروس الذى يقضى  
حياته محلقا فوق مياه البحار والمحيطات .. طرأها الطائر .. غادرهم ..  
أذهب إلى سماءك .. واحذر من أولئك الذى سيقولون لك أنك ستطير فى سماء  
ملبدة وتسير فى أرض مظلمة .. فالنور فى قلبى وبين جوانحي فعلام أخشى  
السير فى الظلماء ؟ علام أخشى الطيران فى العتمة .. كن كالنسر فوق القمة  
السماء ولا تكن كدودة الأرض فى جحر كئيب وجب سحيق .. لك نظر ولك  
بصيرة ، فأين انتفاعك بنظرك ونظرتك ؟ لله در المتنبى حين قال :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره .

إذا استوت عنده الأنوار والظلم

قم الآن وامعن النظر ويجب إذا نظرت أن تحسن الخروج كما أحسنت  
الدخول .

قمت متثاقلا ثم قلت بهدوء وأنا أنظر إلى الناحية الأخرى : المراقبة  
انتهت قبل أن تبدأ .. الآن أن لى أن أختار الصواب .. أنا الآن لست معكم

فى الإخوان .. أنا فى طريق وأنتم فى طريق .. ثم رفعت صوتى مناديا : يا هشام هات كوب واحد من الشاى ويا ليتة يكون شايا أمريكيا فالوالد ليس من أنصار المقاطعة ههه.

ما كادت قدمى تطأ الطريق حتى خلت نفسى طائرا يكاد يحلق فى الأجواء .. كنت خفيفا فى حركتى وكأن أجنحة السعادة تحملنى ، وكان قلبى منتشيا يتنسم رحيقا كاد ينساه .. رحيقا يجهله الجاهلون ويبذل عارفوه أعمارهم من أجله .. رحيق الحرية .

ولأن درس الحرية يجب أن يكتمل فقد أعطانى الله بعد مقابلتى للمستشار الهضيبى بشهر .. وبعد تجربة الخروج من تبعية العباد والتنظيمات منحة ربانية بدت للجاهلين وكأنها محنة ولكنها كانت الجائزة الكبرى .. جائزة الخروج من تبعية العباد إلى تبعية خالصة لرب العباد.

\*\*\*

### ما أروع السجود لله

كان ذلك بعد شهر واحد من خروجى من الإخوان ، اتصل بى هاتفيا بمدوح الحسينى وطلبنى لأمر مهم .. قلت له : لست معكم الآن .. أتمنى لكم التوفيق ولكننى لست معكم .. فقال وهو يلح عليّ بالذهاب إليه : أريدك لأمر خاص .. وعندما ذهبت إليه أخبرنى أن المرشد أصدر قرارا بفصلى من الإخوان !! .. أبديت دهشتى وقلت ممتعضا : ألم يخبركم المستشار مأمون أننى قابلته وأن المقابلة انتهت بتركى الجماعة !! .

تركته وانصرفت وأنا أتعجب من أحوال النفس البشرية .. وأحوال الجماعات التى صيغت بعقلية استبدادية .. الجماعة التى تزعم أنها جماعة راشدة تأبى - كما فى الأنظمة الشمولية - أن يستقيل أحد .. وتصمم أن تقيل هى الأخ الذى اختلف معها .. سبحان الله .

بعد يومين تقريبا من هذه المقابلة منحنى الله تجربة فريدة .. تجربة ما فتئ القلب يستعيد ذكرها وما برح الجسد يتجرع ألمها كلما ألم به ريحها .. وسبحان الله الذى يغير ولا يتغير ..

ما بين طرفة عين وانتباهتها

يغير الله من حال إلى حال ...

كنت أخطو خطواتى رافع الرأس واثقا مترفعا داخل إحدى المحاكم حيث

كنت أمارس مهنتي ، وكان بجوارى شاب نابه من شباب المحامين من أصدقائي الأعزاء اسمه محمود النادى ، وكنت ساعتها أشدد به أزرى فى إحدى القضايا ، وعلى حين فجأة لم أشعر بقدمى !! كأنها زالت من مكانها ، ثم إذا بى أسمع صوت فرقة طفيفة صادرة من ركبتى اليمنى ومن بعد ذلك اعترانى ألم رهيب لم تكن له سابقة فى حياتى ، فكان أن فقدت الوعى من وطأة الألم ، وعندما استعدت وعى وجدت صديقى وهو يبذل ما وسعه الجهد فى إفاقتى ، ثم قام بحملى هو ومجموعة من الزملاء إلى المستشفى حيث مكثت ساعة أو بعض ساعة داخل اسطوانة أشعة الرنين المغناطيسى التى أشعرتنى كأننى أدخل إلى قبر مظلم - خاصة بعد أن عصبوا عيني وصموا أذنى - ذلك القبر الذى سيكون حتما نهاية ذلك الإنسان الذى تشغله الدنيا بزيتها عن حقيقة هى أبعد ما تكون عن خاطره رغم أنها أقرب إليه من حبل الوريد ، وبعد أن أجريت الأشعة أبدى الطبيب عجبه مما حدث وقال لى ( لديك قطع عجيب فى عضلة اسمها العضلة الرباعية وموضع هذه العضلة فوق الركبة مباشرة وهى من أقوى أو أقوى - على حد ذاكرتى - عضلة فى جسم الإنسان ومن المستحيل أن تتعرض لقطع دون سبب !! أنا لم أر مثل هذا من قبل ، فهذه لا يمكن قطعها إلا فى حادث مريع!! ) وفى غرفة العمليات استشعر فؤادى الموت واختلطت معانيه بحشاشات قلبى فبعد ثانية أو أقل يدخل الواحد فى نوم التخدير الذى قد لا يقوم منه أبدا ، وقد يذهب منه إلى عالم البرزخ ، عندها تذكرت قولك يا الله يا حى يا قيوم ( كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) وانتهت الساعات الثلاث فى غرفة العمليات وعدت من جديد إلى دنيا الناس وقد أحاط الجبس ذلك الموضع الذى يقع من أخمص القدم إلى أعلى الركبة ، وظللت حبس هذا الجبس عدة أشهر حيث رافقتنى عصاى أتوكأ عليها ، وظلت عصاى معى لا أجد لى مندوحة فى غيرها حتى أذن الله لى بشفاء من عنده ، كانت هذه التجربة من أعظم التجارب التى مرت على حياتى وقد أطلقت عليها ( تجربة الافتقاد ) ولم يكن الافتقاد هنا افتقاد وفاء لأصدقاء وأخوة عرفتهم فى الله وامتزجت معهم عندما كنا معاً فى الإخوان ثم لم أرهم فى محنة المرض وقد كنت لهم - أو لبعضهم - وجاء عندما أدار لهم الزمان ظهر المجن ، فما أكثر من طرحنى من ذاكرة قلبه ولم يعدنى وقتئذ ولكن الذين حملونى فى

قلوبهم واحتملوني فى مرضى أكثر ، ولم يكن الافتقاد هنا افتقاد دنيا ستفنى بزخرفها إن أجلا أو عاجلا ، فلم يهب الله لى من زينة الدنيا ورزقها كما وهب لى فى هذه الأيام وكأن الله سبحانه وتعالى يضع آية نصب عيني مفادها أن الرزق يأتى إلى العبد لا محالة سواء كان فى صحة أو مرض فى قوة أو فى ضعف ، ولكن الافتقاد الذى أعنيه هو افتقاد السجود لله حينما عجزت عن وضع جبهتى على الأرض أثناء الصلاة ، إذ مكثت عدة أشهر لا أصلى إلا قاعدا ، افتقدت حينها تعفير وجهى فى الأرض لله رب العالمين فى موضع لا يكون إلا لله حيث تكون العزة للعبد حين يذل لله العلى القدير ، ما أروع تلك السجدة التى افتقدتها فى تلك الأيام الكالحة ،،، وحينما حانت تلك اللحظة النورانية التى من الله عليّ فيها بالسجود ووضعت جبهتى على الأرض ارتجف جسدى رجفة لم تحدث لى من قبل وارتعشت أناملى وهى تحاذى رأسى على الأرض وانهمرت دموعى تترى بلا حول منى ولا إرادة وقد احتوتنى لذة روحية لم تصادفها روحى قبلها قط ونطق قلبى قبل أن ينطق لسانى قول الله سبحانه وتعالى ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ) .

بعد أن سجدت لله الواحد الأحد وارتعش قلبى رعدة المحب الوله الذى احترق شوقا للسجود لله أدركت روحى قيمة العبودية لله .. لله وحده .. وقيمة الذل والتذلل لله .. لله وحده .. واستبصر فؤادى قيمة الحرية حين سجدت لله .. نطق لسانى وقتها رغما عنى وكأن قلبى أنطقه : الآن أن لى أنا أسجد لرب العالمين لأنال حرىتى الكاملة وأتذلل لرب العزة حتى أنال عزتى ... ومع السجود جاءت الفطنة .. فطنة الإيمان ، وحين سكنت اللسان نطقت خلجاتى : حين كنت فى الإخوان كنت فيها لتقربنى إلى الله زلفى والآن وأنا أضع جبهتى فى التراب .. اسجد لله وحده .. سجد وجهى للذى فطرنى ، وقبله سجد قلبى لرب العالمين بلا وسيط ولا وساطة .. هانا ذا أخرج حقا وصدقا من تبعية العباد إلى تبعية رب العباد .. آاه ما أروع السجود لله .



## خاتمة الكتاب

لكل شيء نهاية.. الإنسان له نهاية.. فكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حذاء محمول .. والدنيا بزخرفها لها نهاية .. فزينة الدنيا وإن طالت إقامتها يوما إلى زوال نفسه سيزول .. لذلك يجب أن يكون لهذا الكتاب نهاية .. فكل ابن حرف وإن طالت كتابته يوما على آلة الطبّاع منقول ... وخاتمتنا هنا هي نهاية الكتاب وليست خاتمة الأحداث .

قاطعني الإخوان كلهم إلا من رحم ربى .. وامتنع الكثيرون منهم عن إلقاء السلام عليّ إذا تصادف وقابلني .. وحين أصابتنى محنة - أو منحة - المرض لم يزرنى من الإخوان إلا حسن عبد الحليم - إلا أنني لم أره بعد ذلك - وجمال تاج الدين ، أما الإخوان الذين كانوا فى السجن فلم يرسل لى منهم رسالة أطمئنان إلا مختار نوح وخالد بدوى .

نأتى إلى الشخصيات التى ساهمت فى أحداث هذا الكتاب .. ما الذى حدث لها وأين هى الآن ؟ لن نتحدث بطبيعة الحال عن كل الشخصيات بل عن الشخصيات التى رأيت أنها ساهمت فى دفع عجلة الأحداث .

أما عن نفسى فقد مارست حياتى منطلقا من كل قيد .. أحمل للإخوان عرفانا لا أنكره إلا أن هذا العرفان لم يحل بينى وبين نقد حركتهم .. فكتبت العديد من المقالات طرحت فيها أفكارا أظن أنها أثارت قدرا من الحوار داخل الجماعة وخارجها .. ثار الإخوان على كتاباتى وانتقاداتى إلا أنني لم أحفل بثورتهم وسوء ظنهم فتحى وإن جهلوا مقصدى فإن الله مطلع على السرائر .. والحق يظهر وإن غاب ربحا من الزمن ... رفضت الجماعة انتقاداتى المبصرة حيناً من الدهر ثم اعترفت بها ضمناً على ألسنة بعض الكبار فيها حين ظهرت الخلافات بين الفريقين فريق "القطبيين" وفريق "الحساسنة" - نسبة إلى حسن البنا - ... وبعد خروجى من الإخوان كان انخراطى فى حزب الوسط تحت التأسيس وجمعية مصر للثقافة حيث أصبحت مؤسساً فى هذا وهذه .

وماذا إذن عن الآخرين ؟ نبدأ بمختار نوح الذى خرج من محبسه وعانى من الإخوان الذين استخدموا معه كل طرق الإبعاد والتجميد والإقصاء .. ورغم أن اللائحة تعطى له الحق أن يعود لرئاسة قسم المحامين بحسب أنه

منتخب من محامى الإخوان لهذا الموقع إلا أن المستشار الهضيبي رحمه الله رفض إعادته لموقعه كما رفض أيضا الأستاذ مهدى عاكف نفس الأمر !! .. وإزاء هذا الصلف والتعنت وجد مختار أنه ما باليد حيلة فماذا يفعل وقد حيل بينه وبين تحقيق العدالة فى جماعة ترفع فى شعارها المصحف الذى فيه (اعدلوا هو أقرب للتقوى) وفيه ( وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) فما كان منه إلا أن أعلن تجميد عضويته فى الإخوان وهو تعبير مهذب يعبر فيه عن خروجه من صف الجماعة إلى رحابة العمل الدعوى غير المنظم .. وبعد ثلاثة أعوام من خروج مختار من محبسه رأى أن يرشح نفسه نقيبا للمحامين فى انتخابات نقابة المحامين الفرعية بالقاهرة ومن عجب أن الإخوان رشحوا أمامه منافسا من حزب الوفد زعموا - زورا - أنه هو المؤسس الحقيقي للجنة الشريعة الإسلامية وكان من قدر الله ألا تكتمل الجمعية العمومية وبالتالي لم تتم الانتخابات ، ثم رشح مختار نفسه عام ٢٠٠٩ نقيبا للمحامين كمنافس لسامح عاشور إلا أن الحكومة قامت باستبعاده من الترشيح بحجة أنه صدر ضده حكم جنائى من المحكمة العسكرية يمنعه من الترشيح ويسلب منه حقوقه السياسية .. وبعد أن حصل مختار على حكم قضائى بإلغاء قرار الاستبعاد قبل الانتخابات بأيام رأى أن ينسحب لأن فرصته فى الدعاية لنفسه كانت قد تبخرت أثناء سعيه لإلغاء قرار الاستبعاد ، ووقف نوح مع حمدى خليفة مؤيدا له ليسقط سامح عاشور .

نأتى إلى خالد بدوى الذى أصيب وهو فى محبسه بانزلاق فى إحدى فقرات العمود الفقرى وظل يعانى من مرضه وكان المرض والسجن اجتماعا عليه فى آن واحد فكان رهين الحبسين ، وبعد أن خرج من السجن عاد إلى نشاطه الدعوى كخطيب مفوه وداعية مرهف وهو الآن يمارس المحاماة فى مكتبه بمدينة نصر .. أدعو الله أن يوفقه وأن يغفر لنا وله .

هل تذكرون أسامة الغزاوى الذى كان أول من فتح عينى وعقلى على الخلافات التنظيمية والاختلافات الفكرية فى الجماعة .. كان أسامة من إخوان الزيتون كما تعلمون ، الآن هو خارج الإخوان .. ليس وحده الذى تركها وانشغل بحياته وأسرته ولكن أكثر من أربعين من إخوان الزيتون تركوا الجماعة فى الفترة من عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٤ إلى غير رجعة .. كلهم ينتقد الجماعة فى جلساتهم الخاصة ولكن صوت انتقاداتهم لا يصل إلى أحد فقد إنكفأوا على ذاتهم وتركوا العمل العام بعد أن أيقنوا أن الجماعة التى

داعبت مشاعرهم غدرت بهم ، ولك أن تتخيل كم الإحباط الذى أصاب هؤلاء  
كان الله فى عونهم .

( هو بين الرجال كالماس بين الجواهر ) لن يكون هذا الوصف إلا من  
نصيب الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح فهو رجل بمعنى الكلمة .. لم ألتق بعبد  
المنعم بعد خروجى من الإخوان إلا مرات تعد على أصابع اليدين وكان يحتفى  
بى احتفاءً كبيراً فى كل مرة يرانى فيها .. وعبد المنعم هو من ذلك الصنف  
الذى يمارس قناعاته حتى ولو كانت على حساب طموحاته ، لذلك فهو  
مضطهد من الحكومة وغير مرضى عنه من قيادات بعينها فى الإخوان .. وفى  
غضون عام ٢٠٠٩ تم القبض على عبد المنعم أبو الفتوح على ذمة قضية من  
قضايا الإخوان وظل محبوساً معظم العام وبعد خروجه من محبسه أجريت  
انتخابات مكتب الإرشاد وأطيح به من عضوية المكتب ، فلا تدرى هل نال أبو  
الفتوح حريته حين خرج من السجن أم حين خرج من عضوية مكتب الإرشاد .  
أما قلبى فهو مع أحمد ربيع الذى ظل عمره يسعى ما وسعه الجهد لكى  
يتحول الإخوان إلى جماعة راشدة .. وكان من أمره أن ظل زمناً بعد هذه  
الأحداث واقفاً على إحدى ضفتى الجماعة بعيداً عن قلبها الذى أن له أن يئن  
.. وبعد أن اعتراه اليأس ورأى جماعته تتنكر له وتعامله بصلف حتى أنها  
حاربتة فى انتخابات نقابة المحامين الفرعية بـ ٦ أكتوبر والتى رشح نفسه  
نقيباً لها وارتكبت فى تلك الحرب جرائم أخلاقية - قد يتحدث عنها هو ذات  
يوم - فكان أن خلع رداء التنظيم وأخذ يبحر بسفينته فى بحر الدعوة ...  
وحالياً أوشك أحمد على مناقشة رسالة الدكتوراه فى فرع من فروع القانون  
.. كما أنه على وشك الانتهاء من كتابه الأول الذى سيكون فريداً فى مبحثه  
ويدور حول أن اللغة العربية هى أصل اللغات الحية كلها وأن كل اللغات  
مشتقة منها .

عاطف عواد هو الآن أحد قيادات حزب الوسط تحت التأسيس وقد  
استطاع فى خلال عدة أعوام أن يتوسد مكانة مرموقة فى عالم الكتابة وقد  
نشرت له عدة صحف العديد من مقالاته كما أنه استطاع إقامة علاقات وثيقة  
مع عدد من المفكرين والكتاب من جميع الأطياف فى مصر وفى لبنان وتركيا  
والإمارات وسوريا ... وهو أحد الناشطين فيما يتعلق بالمؤتمرات السياسية  
والندوات الفكرية .

انقطع عنى معظم الإخوان فى منطقة مدينة نصر أولئك الذين كانت تربطنى بهم صلات وثيقة حتى أننى أكاد لا أعرف شيئا عن كل الذين كانوا معى فى أسرتى الإخوانية اللهم إلا المشاهير منهم ، فقد تم حبس حسن مالك فى قضيته الشهيرة مع خيرت الشاطر كما تم حبس أحمد شوشة أيضا فى ذات القضية .. أدعو الله أن يخرج الاثنان - وباقى سجناء الإخوان - من سجونهم الكئيبة تلك السجون التى ضمت بين جدرانها الصلبة رجالا تم سجنهم بسبب الخلاف السياسى حيناً وبسبب الغباء السياسى حيناً آخر ، مما لا شك فيه أن حسن مالك وأحمد شوشة من الشخصيات التى تتميز بطيب الأصل وكرم المحتد ودمائة الخلق ولكن التواصل بيننا انقطع بعد تركى الجماعة .

غنى عن البيان أن المستشار مأمون الهضيبي رحمه الله وغفر لنا وله توفى فى باكورة عام ٢٠٠٤ وأصبح المرشد الذى يليه هو الأستاذ محمد مهدي عاكف أما الأستاذ عاكف فقد سأل أحد الأخوة فى مدينة نصر لماذا سكنت عندما تعرض ثروت الخرباوى لما تعرض له فقال لم أكن راضيا ولكن لم يكن بيدى حيلة !! .

لابد أن نذكر محمد طوسون ولجنة الشريعة الإسلامية .. أما عن محمد طوسون فما زال إلى حين هذه الخاتمة مسئولاً عن قسم المحامين وقد تسلم مكانه هذا بالتعيين دون انتخاب بالمخالفة لللائحة .. ولأنه قليل الإمكانات فقد هبط بلجنة الشريعة الإسلامية فى النقابة هبوطا كبيرا .. فتأخرت اللجنة ولم تقم بأداء دورها النقابى وتراجعت تراجعا ملحوظا ودخلت فى خلافات طاحنة مع النقيب السابق سامح عاشور فضاعت النقابة فى خضم هذه الخلافات وأدرك الإخوان على كل المستويات أن طوسون لم يكن من حيث الأداء على المستوى المطلوب فحاولوا البحث عن آخر يتولى هذا القسم ولكنهم لم يجدوا أحدا يقوم بهذا الدور وما ذلك إلا بسبب الخلافات التى نشبت بين محامى لجنة الشريعة وبسبب كم الكفاءات التى تركت الإخوان من المحامين ( تركها قبلى أو بعدى قيادات موهوبة فريدة مثل محمود أبو العينين من الإسماعيلية وعلاء موسى من الشرقية وعلى شعلان من المنوفية وأحمد الحمراوى من الإسكندرية ومحمد عبد الفتاح من القاهرة .. إلخ ) ، وانقسمت لجنة الشريعة إلى شيع وجماعات .. فهذه مجموعة طوسون وتلك مجموعة جمال تاج وأولئك

يرغبون فى عودة مختار نوح لرئاسة القسم .. وهكذا وسبحان من له الدوام .  
جاء وقت الحديث عن آخر إذ لابد أن نتحدث عن الأخ فلاح سرور الذى كان مسئولا فى وقت ما عن الشعبة الإخوانية التى كنت أنتمى إليها .. وللأخ فلاح سرور بعد تركى للجماعة قصة طريفة .. إذ كان هناك أخ من الإخوان اسمه عبد العزيز وكانت قد نشبت بينه وبين أحد الإخوة خلافات بشأن شركة تجارية جمعتهم ، وكان الأخ الآخر قد استطاع الحصول على عدة ملايين من الجنيهات من جمعية دينية سورية الأصل اسمها ( القبيسيات ) وقد أخذ هذا الأخ هذه الملايين بزعم أنه سيعطيها للإخوان لتوصيلها إلى فلسطين وبالطبع لم يعطها لأحد واغترفها لنفسه ، وبقدر الله علمت جمعية " القبيسيات " هذه من خلال مصادرهم فى الإخوان أن هذا الأخ أخذ هذا المال لنفسه وأنه هرب خارج البلاد ، ولم تجد القبيسيات أمامهن إلا عبد العزيز والشركة التى يديرها والتى كان الأخ اللص شريكا له فيها فذهب من يمثلهم إلى عبد العزيز بغية الحصول على حقهم من خلال أصول الشركة فلجأ لى عبد العزيز كى أنقذه من هذه " الورطة " الكبيرة ، وبدأت بالفعل متطوعا دون مقابل فى مساعدة عبد العزيز من الناحية القانونية ، وبعد شهر من مقابلتى للمستشار الهضيبى رحمه الله هاتفتنى فلاح سرور حيث طلب منى أن أتوقف عن مساعدة عبد العزيز وأن أسلمه ملف القضية لأن هذه القضية تخص الجماعة وتخص التبرعات التى تتسلمها وأن المرشد أسند لجمال تاج متابعة هذه القضية .. فسلمت عبد العزيز ملفه وكان يبدى أسفه الشديد وشكره أن وقفت معه دون مقابل ودون أتعاب ولكن كما قال ( حكم القوى على الضعيف ) .. ولم يحدث أن تقابلت مع فلاح سرور فيما بعد اللهم إلا مرة واحدة وكانت بعد استقالتي من جماعة الإخوان بخمس سنوات وكان ذلك أمام نيابة أمن الدولة أثناء التحقيق مع عدد من الإخوان المقبوض عليهم فى إحدى القضايا واكتفينا وقتها بتبادل السلام وتبادل أرقام الهواتف إلا أنه لم يتصل بى ولم أتصل به .

نأتى إلى ممدوح الحسينى الذى كان مسئولا عن منطقة مدينة نصر وقت احتدام الأحداث والذى كان أحد القضاة الذين حاكمونى .. غفر الله لنا وله ولهم جميعا .. أدعو الله أن يطلق سراح ممدوح وأن يعود إلى حريته فقد تم القبض عليه عام ٢٠٠٥ فى قضية خيرت الشاطر وصدر ضده حكم بالحبس

من محكمة عسكرية .

لا نستطيع أن نقرب من الخاتمة دون أن نتحدث عن الدكتور محمد حبيب والدكتور محمود عزت .. الدكتور محمد حبيب نائب المرشد حاليا - وقد يكون مرشدا في المستقبل - صرح لجريدة الأحرار بعد استقالتي من الجماعة بخمسة أعوام أنه لا يعرف شيئا عن قرار المرشد بمنع ثروت من الخروج من بيته !! مع أنه كان أحد الذين أشاروا على المرشد بإصدار هذا القرار !! . أما محمود عزت فهو يقود الجماعة ناحية الفكر القطبي الذي هو بعيد الصلة عن جماعة الإخوان تماما وأصبح الآن - خاصة بعد حبس خيرت الشاطر - رجل التنظيم القوي الذي يجب أن يضع بصمته على كل كبيرة وصغيرة في الجماعة .

الآن اقترينا من الخاتمة لذلك يجب أن نتحدث عن الدكتور محمد بديع والدكتور محمد بشر .. أما عن الدكتور محمد بديع فقد كان أكثر الناس ودا معي عندما كان في سجنه إلا أنه قاطعني تماما بعد أن خرج إلى الحرية .. وبعد أيام من خروجه وجه في إحدى صحف الإخوان شكره لمن كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في خروجه من محبسه تنفيذاً للحكم الصادر بالإفراج عنه لمرور ثلاثة أرباع المدة ، وعندما قال له الصحفي ومن هو صاحب الفضل في إقامة هذه القضية والمرافعة فيها قال : هو مصطفى عمر المحامي الذي يعمل في مكتب مختار نوح !! .

كنت أقرأ حديثاً له منذ فترة وجيزة في صحيفة أسبوعية وهو يتحدث عنى فقال إن ثروت ارتكب في حق الإخوان أخطاء فوجب إبعاده من الجماعة فعادت ذاكرتي القهقرى لسنوات مضت حينما قال لى وهو فى السجن : سترى منى العجب عندما أخرج !! وقد رأيت العجب فعلا ... ومن بعد أصبح الدكتور محمد بديع مرشدا لجماعة الإخوان بعد فترة جدل وتخطيط واتهامات بعدم شرعية انتخابات مكتب الإرشاد وتزويرها .. ولكن الآن محمد بديع هو المرشد .

أما عن الدكتور محمد بشر فقد كان أفضل حالا من الدكتور محمد بديع .. صحيح أنه خرج من السجن فلم يفعل شيئا ولم يصحح الأوضاع ويبدو أن طاقته لا تسمح له بذلك ورحم الله امرأاً عرف قدر نفسه .. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .. غاية ما فعله الدكتور بشر عقب خروجه هو قيامه بتقبيل

رأسى على ملأ من الناس - هو والمهندس مدحت الحداد - وذلك حين كنت حاضرا معهما ندوة من فعاليات لجنة سجناء الرأى .. وبعد سنوات من خروج بشر من سجنه عاد مرة أخرى إليه فى قضية خيرت الشاطر وكان معه فى القضية أيضا المهندس مدحت الحداد .. وبعد أن خرج محمد بشر من محبسه تسلم ملفات مهمة داخل الإخوان حيث ظل محتفظا بعضوية مكتب الإرشاد بل وأصبح مسئولا عن قسم المهنيين فيها وقد قابلنى أخيراً فى فرج ابنة الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح واحتفى بى ووجه بشر ينطلق بشرا ولكن الله أعلم بما فى القلوب .

والى رحمة الله توفى الدكتور توفيق الشاوى وكان الشاوى رحمه الله حكمة صيغت فى رجل إن تفرقت على أمة وسعتها .

وتوفى أيضا إلى رحمة الله الرجل الطيب الخلق محمد هلال .. وكان قد تم تنصيبه مرشدا مؤقتا عقب وفاة المستشار مأمون الهضيبى إلى أن تم اختيار الأستاذ مهدى عاكف ... وسبحان من له الدوام .. سبحان الحى الذى لا يموت .





## وثائق الكتاب



احتوى هذا الكتاب على العديد من الوثائق رأينا أن نضع بعضها  
بتفصيلاتها تعميماً للفائدة وهذه الوثائق بعضها خطابات شخصية مرسلة من  
مختار نوح لى وقت أن كان فى سجنه والبعض الآخر هو خطة «تصدير  
القلق» التى وضعها د. محمد بديع فى السجن وأكلوا لى تنفيذها.  
وأخيراً بعض أوراق إخوانية تلقى الضوء على المحاكمات الإخوانية تلك  
المحاكمات التى أنكرها الإخوان حيناً من الدهر.



بسم الله الرحمن الرحيم  
حضرة الأستاذ العلامة والفارس النبيل / جاني بك عطية  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

بعد حكم ظالم - احسنه الله العكرية - ليقبض

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

الذي ابقاه الله لعلنا نلقاه

فما لبث أن هذه الأسباب قد تغيرت بحسب طهره أيام القادة السيامية العليا في البلاد برجالهم  
بكمية يراهم أجد من قبل الجزاء الموزنة لفرصتي .. ففرضه عليك عسى أنه يجد  
فيه ظمنا يرفع أو رادعا يجمع .

~~ولكن أليس الله تعالى قد جعل في قلبه ما يشاء من الحكمة والقدرة على ما يشاء من الخلق والخلق~~

~~بالقول والكتاب والسمعة والبرهان~~

~~فما لبث أن هذه الأسباب قد تغيرت بحسب طهره أيام القادة السيامية العليا في البلاد برجالهم~~

~~بكمية يراهم أجد من قبل الجزاء الموزنة لفرصتي .. ففرضه عليك عسى أنه يجد~~

~~فيه ظمنا يرفع أو رادعا يجمع .~~

~~ولكن أليس الله تعالى قد جعل في قلبه ما يشاء من الحكمة والقدرة على ما يشاء من الخلق والخلق~~

~~بالقول والكتاب والسمعة والبرهان~~

~~فما لبث أن هذه الأسباب قد تغيرت بحسب طهره أيام القادة السيامية العليا في البلاد برجالهم~~

~~بكمية يراهم أجد من قبل الجزاء الموزنة لفرصتي .. ففرضه عليك عسى أنه يجد~~

~~فيه ظمنا يرفع أو رادعا يجمع .~~

~~ولكن أليس الله تعالى قد جعل في قلبه ما يشاء من الحكمة والقدرة على ما يشاء من الخلق والخلق~~

~~بالقول والكتاب والسمعة والبرهان~~

~~فما لبث أن هذه الأسباب قد تغيرت بحسب طهره أيام القادة السيامية العليا في البلاد برجالهم~~

~~بكمية يراهم أجد من قبل الجزاء الموزنة لفرصتي .. ففرضه عليك عسى أنه يجد~~

~~فيه ظمنا يرفع أو رادعا يجمع .~~

~~ولكن أليس الله تعالى قد جعل في قلبه ما يشاء من الحكمة والقدرة على ما يشاء من الخلق والخلق~~

~~بالقول والكتاب والسمعة والبرهان~~

~~فما لبث أن هذه الأسباب قد تغيرت بحسب طهره أيام القادة السيامية العليا في البلاد برجالهم~~

~~بكمية يراهم أجد من قبل الجزاء الموزنة لفرصتي .. ففرضه عليك عسى أنه يجد~~

~~فيه ظمنا يرفع أو رادعا يجمع .~~

~~ولكن أليس الله تعالى قد جعل في قلبه ما يشاء من الحكمة والقدرة على ما يشاء من الخلق والخلق~~

~~بالقول والكتاب والسمعة والبرهان~~

~~فما لبث أن هذه الأسباب قد تغيرت بحسب طهره أيام القادة السيامية العليا في البلاد برجالهم~~

~~بكمية يراهم أجد من قبل الجزاء الموزنة لفرصتي .. ففرضه عليك عسى أنه يجد~~

~~فيه ظمنا يرفع أو رادعا يجمع .~~

~~ولكن أليس الله تعالى قد جعل في قلبه ما يشاء من الحكمة والقدرة على ما يشاء من الخلق والخلق~~



والحسين حجة ولو غلبت بأسفارها البعيدة انكر العداله - فقص لتقار بطرد الرئاسة  
والرئيس من نهاية المصلحة لئلا يهدأ به جديد الا استعداد للزعميات .

وكانه من الاستعداد انه يقف معنا كل من يؤمنه بقيمة العمل النقابي - بل وانه يقف  
معكم كل من له صلة بالذعر النقابي ذلك انكم يا اسيادنا الجليل العلانية كنتم تملكون  
وقد شئت راية التجميع الكامل بما لكم من رصيد على العمل وما لكم من معلومات طيبة بصانغ  
القرار من بلدنا الحبيب .

ونظرا لما قد مر من تكرار - يحدث في المثلثات المرات غلظا واشتد به العلق  
من من قرر التجميع على شباب حده من انظارهم انهم كانوا يعيدونه انفسهم لفرصهم  
الاختنايات والراسم حريه ١١٢ النقابيين ..

واذا كان من افقر منجى النقا بيبين من اللقار العلق جدا عند حضورهم الى احدى المؤسسات  
العلنية الرسمية المعترف بذكر المسئلة لدى الجهات الحكومية لم يكنه نزيلا به تسهل رابعة  
الضبط الا بقرار من رررر النقابات المرضية . ذلك انهم رفضوا الضوابط لقانونية لثبته  
كانوا يجتمعون تحت صمم الهيئة وقومهم ذلك لتجميع ذلك لشرع الراعي الذي وافقت عليه  
مؤسسات الدولة وبرحمتي .. انما كانه الغريب جدا انه تمزيقا من جرائهم مذكورة معلومة  
لا يقبلون حدها من الدعا كما كان يعلم تام بالقرار المزوم ولم لا وهو يتم من ررضي الزكرا انما  
أعنيهم من الدور الرسمية . وانما كانه الغريب ايضا انه يتم انتظار قوة الضبط متداولة  
الثالثة صلا لا .. فنجيشه من الضما لم يهتد به الى حيث يقدر يبرأ ولها المحاميه لوقوفه الى  
هذا الخطاب ، وانما كانه الغريب انه يمسس الجميع ارجيا طيا على ذمة مذكورة معلومات  
تحدثت سوادكم على تدانها فقلنا ما نرضه :

" انه التحويلات الداعول على اذنه النيابة انه الدولة العليا صر دليل براءة الطائفة  
وتلتم كنزكم " يبين مما تقدم انه دفاع الطائفة نفع على الجزايات تقابل حقيقة  
وتأنيته تشييل لعدم الجدي بل بالانعدام والضرورة . "

ثم لقد كانه الغريب جدا انه تم الإحالة لهذه القضية بصيركي الى القضاء دون اسرع  
دفعت الا انه الاخرى من ذلك كله الا يتم اظهر سبيل واحد من التجميع اشارة  
نظر الدعون لا سيما كانه منهم بعيدا عن مذكورة المعلومات .

ولكن جاءت انزبا الزايب باستقرار المسألة لدة فاخت انما ذكر سعة اسير كالة  
مضيقه كنتم .. وكانت الحاجة انه تسلم كلانا القصة الذي توقعنا لصينا  
الطيب من مائدة منلعه المزديج من المقعد المظلم ، كان ~~الشيء~~ ~~مستتر~~ ~~مستتر~~

~~كافة فقلنا اننا في حرج الشك في اصل مسودة الطائفة فترسبنا ..~~





ورود الأفعال وقت أنه كان سموها لهم بزيارتنا قبل صدور الإخطار وقد وصل الأمر بنا إلى طلب  
 منهم بزيارتنا ، وهذه دلائل ما يستمرها معنا ليست من حاجة إلى دليل أو برهان .  
 وكلما كنت أفتش أفتش داخل تلك الزنازيم الخائفة وحرمان نور الشمس وحرمان صورة الجملة .  
 كلما زاد ذلك انقلبت نفسي من عظامهم بيننا الترتيب حركة الإخوان المسلمين حروف .  
 عمود قطعت على قسط . ثم أقبلت الإتيان . ليزداد الإختصاص داخل بيتنا الكتيب  
 مع منع الإرسال رسالة لنا كانت من أشد الرسائل غموضا . . . وكنا نردد على سائرهم هاراج  
 تلك القضية المصنوعة والإختصاصه انعكاس على نفوس الحاميه فلم ترحم تلك العبارات  
 من جميع معناها . ولا نكتفهم حديثا فيه الذي علمه السراج أهل علينا كنهيت من مبعثا .  
 وأمر الثقة أنه تملأ قلبنا . . ثم إنه سبحانه وقابل بصدقه قدر الأولادنا . وانفتحت الأبواب  
 لأضواء البهين بغيره . . ولم يزعج . . ولم يساورنا شك من أمانك على الدرب لجميع قبلة  
 من مملكتنا رسالة جديدة توجعنا إلى كل من بهمة الأمر بشرح سطرها أهدانا إلى استقرار صورة  
 الحوار والفتاح وأنه قوتنا دائما فنحن من تلك الكائنات ثم فزاد الإصرار على الإصرار بوضوحنا  
 والإختيار للغير من طريقه من مسانئنا الوطنية . فتجلت ذلك من المسالك ومن ماضينا الجليل  
 وقد أضربنا سائرنا ريشا الرجاء الدفاع رسالة إلى من بهمة الأمر والزنازيم أباه أشهر  
 المسألة ومنه صدورهم بل وبعد بصدوره ليل ما كنت تنفع به من توجعنا من الدفاع أو من  
 السائل مع القضية لم تخرم منك حرمانا . !

أنظر استنادنا العلامة الجليل  
 أنه ظهر لنا لم تكن لتلك الصفات الساليات والتي لم نردنا إلا أصرارا على استقرار حوار  
 وإزالة ما يصفه الظاهر أمانا من غير - ولله الحمد والمه - فدينا القدرة لفعله أنه قناعتنا  
 قد اختلفت بما انتهت إليه نتيجة التصوير وأنا أخلصنا وأتم حلقات القدرة المشابه من  
 سلسلة قبحه لأنه من نيكه آخرها .

الأمر بغيرنا سيما أنه قد نشر هذه الحقائق لكن يعلم الناس أنه ما بيننا  
 فضلا لم يلم بصفته وإيمانهم عهد وميثاقه ، ورؤيا خبر لا تعرف نديا قناعتنا ويلك  
 ربه من زرتنا الصلة فينا من مجال حركة الإخوان المسلمين كإضافة لأصغرهم بحكم بختنا .

والآن : أصبح المسعى من الأمان واليقين والقدرة على العمل على المسعى  
 التي قد كان لها أثر في كنهنا من عدم بفتح الأبواب من ماضينا الجليل  
 لا تخفى دواينا من ماضينا الجليل والقدرة على العمل على المسعى  
 أو وقع القلم من أنفسنا فكما : أفتش على مسانئنا الجليل والقدرة على العمل على المسعى  
 منهم بغيرنا العقل والاعتدال والحب النقي الخالص

هل لنا ان نلوم كذلك من يثار لرسوليه الشاذية حين يرمز العمل الثاقب من اقطار  
ربطه بينه وبينه سيرة وتجاريم تقوله الشاذية بازوالها رضى الجسد لسنوات فليس  
يدفعونك ثمن الامانة تتلقوا على يوم غرة الامانة ولو غدا فاعزوه عموما امكم من الوفاء  
واذا يثارونه فمن يكفونه بقله رضى له اعد وليمة السم للكل للثاقب من عصر الرابع  
لستر منه التوبير ~~عقلية~~

انه الحسارة بعد الانقاذ الجليل ليس حبا نك بل حبا شائنا جميعا ودعنا نذكر  
بما دار بيننا لمرات عديدة اننا نفضلكم بزيارتنا من حبنا .. لقد قلنا لسادتكم ان  
المنافع لا يصلح ان تكون للثقات فاصوات المصارف الاسلامية ومدها لم تكن لتزخر صفينة  
تكاثر الكثرة من الزاخر .. لم يسار لنا قلعه بل انما فرشح يستند له رضى انبل  
المنتخب من عام ١٩٩٤ .. لانه يراه قولا معه .. وانما يسار لنا القلعه بل انما يتخذ منه  
قدرته لفضله من رضى انقلع له المامية والمانا رضى انتم لا تستمع عنه على انقاذ نفسه حبا  
بهم اخذ به ارجوه على شركاره معه من ملحة كانت لو دامت سكونه اودع ملحة من تاريخ  
الوصافه الوثنية .. ذلك ان لكل قدره يراه .

اننا بالقطع اخذكم .. ونفد انكم قد نبهتم الجهد .. ولكن من سبانا يعرف ذلك ؟ انما  
المانية لا تعرف الا لغة الشائخ .. فهم يبدلون من رعاياهم انفسهم بمانية ولكنهم دائما  
يحلونه بالاربع الشائخ .

اننا يا سيدنا نراهم وهم يسألونه انفسهم قبل الانتخابات .. من هل على قيب التمثيل  
المرتبقة حفيظة تلك القضية ان يسؤليه ؟ واذا كانه تدعوا لفضل واقترا على هذا العلم الجيد  
وان لم يحلوا من الذرة انجره ؟

اننا يا سيدنا نراهم سائلين تدعوا ان اجابه واحدة مؤداها انه الذي خاننا  
نحب التوفيق عنده من قلنا ثم حبا عندنا من رضى واحد ثم حكم بملكنا وملكنا  
بالفضل والضعف والعجز فقه حبيب صفتنا الا نعلم بجميل اقلنا لمرات سنوات من انفقنا  
من فضل وحسن سنوات لمه كان الفضل اكثر انفقنا - الانصبة طامحة كاترنا ..  
انه من خاننا من من يدنا من السجدة وعذيك معنا بكرة الرجاير الذي لا يستجاب له  
ثم هو الذي يحرمنا صفتنا ليظهر للناس انه المانع من الحق من هم انجر الناس من  
اننا يا سيدنا بحقه لهم .

فلنكن صراطا يا سيدنا اننا نلومك لقلنا حبة رانتم بخير واحد ثم طاهوه  
طعنا بدى انه لم يبقكم دارنا وقصدا ومونا الى انه يذهب من حبا شائنا الى انفسه  
من ذلك فطالبا بالي من القائل . والحقيقة انه كان اسوا من ذلك كله فقله



بشأن المفقود مع  
الشيخ شريف عبد الباقى الخرباوى

- ١- الاتصال بمجموعة الوسيرة
  - ٢- صلاة بالكتاب السلام الشوا
  - ٣- الكونف ضد الحاشية ومناجاة سامح
  - ٤- مقالاة في الطهف ضد الإخوان
  - ٥- مؤامرة على المرشد وقائمه مع سامح الحشور
  - ٦- مخالفة قرار المرشد بسجنه في السجن
  - ٧- مستخرج من يوم الاربعاء في الحاشية
- صفاة الإخوان

الحمد لله  
الذي جعل في الدنيا  
منع  
وكتب

الأصل لدى محمد طوسون  
نشرت في مجلة الرسالة

يدور البحث حول عدة نقاط

أولاً - معنى النظم الانتخابية

ثانياً - لماذا يجب أن تضع خطة انتخابية في هذه المرحلة

ثالثاً - عناصر النظم الانتخابية من حيث النطاق والعدد واسلوب الدعاية واللوب

الأدوار في منبر المستويات العامة في تلك المرحلة

رابعاً - مقومات خاصة تختص الانتخابية

خامساً - نتائج على سبيل المثال تقرر من نصوص على الخطة كعناصر أساسية

المبحث الأول

معنى النظم الانتخابية

التخطيط ربيع العمل وأساس نجاحه . . . والاختيارات ليست مستوفى في ذاتها وإنما هي دائماً وسائل لتحقيق نتائج دعوية واسعة الاصلية والغايات وعلى هذا بناء لكل مرحلة فنيهاً التي تحققه مستوفى نتائجها وما كان يمكنه تحقيقه في وقت قد لا تحتاج ترجمة حقيقة في وقت آخر والمطلب هو جمع

رسد هنا بناء النظم الانتخابية هي التخطيط الذي يهدف للوصول إلى أهداف محددة لفترة في منبر بعضيات مرحلة ما

لماذا يجب أن تضع خطة انتخابية في هذه المرحلة

لم يكن من المستبعد أنه بآفاق المضاد إلى واقع العمل المخطط بالصورة التي تمسك به نظام السنوات السابقة والعمود إلى الحلول والبطورجات الفاسدة المناسبة أدت إلى انكسار قواه واضطراب شأنه.

كانه ذلك منذ ١٩٩ وما يتبعها - فاء الفالوية . . . ثم الفالوية . . . ثم أمكان المراساة . ولذا فإنه يجب النظر إلى الثانية المتطورة على كونها علامة ما يهيئ محيطات واقعية معين أرفع على أنها منبر من خطة المخطط لتوفير منافع ملائم لتحقيق أهدافه . رسد هنا بناء قبول ذلك الواقع يعني الاستسلام الكامل للنقطة القاتلة .

وإذا كان قد تلاحظ على بعضه النقص ذلك الاستمرار فإنه قد تلاحظ أيضاً توره في بعضه النقص الأخرى ورغم أنها في تنوعها مختلفة إلا أنها تنوع كلها خاطئة - فردود الرضا لا تواجه مثل هذه المخططات وذلك لأنه الشاعر لا تواجه مخططات . وإنما تدره هي الراجع للتخطيط العلمي السليم .

ويلاحظ أنه المخطط وهو يضع خطة لتجميع تغييرات الحركة النقابية بإمضاءه ويعتمد

محمد توفيق محمد  
خطة الإخوان التي وضعها د. محمد توفيق محمد وأهل  
النسب

هنا مع الوضع في الاعتبار أنه يحتاج الأمانة هو الوحيد الذي يلزم بتطبيقات  
دستوريات المرحلة الحالية - وأنه ما ذكرناه على سبيل المثال وأنه يجب  
التدعيم على ذلك بالارتباطات السياسية والحركة الاجتماعية والاتصالات  
بمركز الدراسات القانونية والسياسية الدولية .

مردود ذلك المنافع على دفع الأحداث

منهضة القضية

الخاصة التي لم تتوزع بعد للرد على هيئة الخصم هي

- ١ - تصدير شعور القلعة إلى الخصم منة إتمام الانتخابات في ظل هذا المنافع
- ٢ - تصدير شعور حاضرين لم يسمي الخصم وعلى أسهم ١٢ حواف عطية بأنه بحاجة  
مصره بانتها ذلك المنافع مع الوضع في الاعتبار عدم الخلط بين هذه النقطة  
وسية هواري الوعد أو التلويح - لأنه الوعد والافتقار هو أنه تم الحقة استمكة  
بين الطرفين في ظل منافع صحيح وأنه فساد المنافع ليعني إلا أنه جعل التيار  
الاسلامي ما يمكنه في ظل الشئ الجديد - فقد جعلت التيار أصواته إلا أنه في  
ظل السياسات الجديدة قد لا يمكنه من التخطي أو عما السطوة على مجموع  
الحامية أو غالبيةهم - وهو ما ينبغي تصديحه إلى الأخرى المتخالفين
- ٣ - تصدير القلعة إلى الجميع وعدم الانصياع عنه حيلة ناشئة لاسيما أنه هذه  
الحقة له عليه عنيا حتى بين صفوف التيار الإقرب الانتخابات بوقت قليل  
والتي هي هنا مع الإطالة وليس مع الأعداد
- ٤ - تصدير الخوف إلى الغير واستخدام أسلوب التصور والحائث فيها لا تقطع مخالفة  
الوعد أو الأمور المتفق عليها
- ٥ - التحاور مع النقابات الأخرى التي - تظهر من استقرار هذا المنافع على الصعيد

الخاص بالخاص

\* إنه ولما ذكر أنه تراعى حواف عطية من التدخل بصورة فاعلة في إجراء  
هذا الموقف سياسياً لا يرجع إلى أنه لا يمكن ذلك - ولكنه يرجع بالمقام الأول إلى  
علية موازناته الشخصية حيناً لم يحدد دافعاً يدفعه إلى ذلك - أو على الأقل  
ويتعبد أدبه لم يجد ما يدفعه إلى المعزوم الموازي لتدخله الشئ به أهل انظر الموقف  
ولم يترك على صعيد الخاتمة وطوره الأبواب مفتحة إلا إذا استمر الموقف به صانع  
معاولة وسه هنا بغير الإشارة إلى صيغة السياسات التي وقع فيها الحامو به على صعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

ثروته محمد الباسط الخرباوي  
المحامى  
بالتفويض والدستورية العليا

المختار  
خبري الدين محمد يوسف  
المحامى بالتفويض  
رئيس محكمة الاستئناف العالي سابقا

## المحكمة العسكرية العليا

### مذكرة بدفاع الاساتذة

مختار محمد محب الدين نوح  
خالد محمد احمد بدوى  
ابراهيم رشيدى ابراهيم  
متهم رابع  
متهم سابع  
متهم حادى عشر

فى القضية ١٨ لسنة ١٩٩٩ جنبايات عسكرية

### اولا: مقدمة

شاعت ارادة الله ومقاييره أن يبتلى المحامون الثلاثة مختار وخالد و ابراهيم بسجن استمر  
شهورا عديدة اقتربت من العام او كادت فانت على اخضرهم ويابسهم وخلف هذا الابتلاء  
زوجات وابناء قدوا آباء على قيد الحياة اختوتهم زفانة مقرورة موحشة احسب أن لسان  
حالهم فى سجنهم يقول :-

والذكريات تمرّ فى وجداني	••	الليل من حولى عنوّ كاتلّ
عينت بين اصابع السجان	••	والصمت يقطع رنين سلاسل
فى بضع آيات من القرآن	••	ويهدنى المي فانشد راحتي
إلا اخيرا لذة الايمان	••	قد عشيت اومن بالاله ولم اذق
أم سوف يعرفها دجى النسيان	••	أنا لست أدري هل ستذكر قصتي
متأمرا ام هادم الاوثان	••	أو أننى ساكون فى تاريخنا
وأضاء نور الشمس كل مكان	••	ابناء ان طلع الصباح على الدنيا
تبكى شهابا ضاع فى الريعان	••	والدا سمعت نشيج امى فى النجى
ألما توارية عن الجيران	••	وتكتم الحسرات فى أعماقها
ساكوه نحو الحبس غير مدان	••	فاطلب اليها الصبر يوما قل لها

### ثانيا: قصة هذه الدعوى

أقبل يناير من سنة ١٩٩٦ والقاهرة تصطك من برودة الجو وزمهرير الشتاء وإذا بحدث غير  
متوقع ونازلة غير مسبوقه تنهاوى على نقابة المحامين فتهاوى بها من السماء وتبعل النار فى  
الأجواء وكانت هذه النازلة - والتي قضت مضاجع المحامين حراسة على أموالها اتشحت  
بحكم مستعجل صدر فى دعوى أكاها بعض الراسيين فى انتخابات سابقة للقبالة اسقطهم

جانب من مذكرة دفاع مقدمها المحولف  
للى المحكمة العسكرية أثار دعا عنه نوح وحالهم

هـ هـ  
مـ م  
مـ م  
مـ م



### ملاحظات عامة على المناق

مناخ العملية الانتخابية هو ذلك الموضع الذي تربى فيه القنات العملية فإذا عاكاه  
الموضع طبيعياً ومناساً امتزجت القنات نتائجها .  
ومناخ الانتخابات بصفة عامة هو مناخ حماسي متعل بموضع الأذكار والبارزة .  
فيه ولكنه هل هذا هو المناخ المطلوب ؟  
- إنه المناخ الهادي للانتخابات . يعني بساطة مناخ خطة المصنعة عالية . إنه المنبه  
بصفة كافية وذلك ليحفظهم حتى أقبل تقدير على أنه يصمم التجربة في النقابات الأخرى  
تليق به تقسيم قضية أو إقرار اعتقال عند كل انتخابات في كل نقابة .  
رسم هنا بناء المناخ الذي يجب أنه ليود هو مناخ الأمانة وليس مناخ الانتخابات  
الهادي المعتاد .

وتقريب مناخ الأمانة - هو ذلك المناخ الذي يضطر فيه كل مخرج إلى الدوام  
في بعض الحد [ اعتقال النقابيين ] لتشكل مع مجموعة انتخابية  
المرشحة دوائر مجموعها على الدوام دائرة والتفاح في خلقه هذا المناخ تدريجاً  
بالأثر إلى استحداث ملحة [ المقاطعة أو الإضراب أو محاولة وقف الانتخابات  
أو على أقل تقدير الديث الدائم مع عدم شرعية كل ذلك يتوقف على نجاح  
مجموعة العمل في خلقه مناخ الأمانة وإتقانه استخدام الوسائل المؤدية لذلك .  
ويأتي على رأس هذه الوسائل - ما سئله مع الوضع في الاعتبار أنه التذخر  
في استخدام هذه الوسائل لأقصى عدم الغمالي :

- ١- المياه النقاب - وهو رسالة غاطية المرشحة والناخبية على السواء واستعمالهم  
الحزم لصوتهم مع تلك الحرية ( اعتقال النقابيين ) وهدف كل من ساهم فيها  
الإضراب والتدفق - وأنه على المرشحة عند اتخاذ إجراءات تكون كفيلاً  
لإنهاء الأزمة - ويكون السؤال الدائم على رأس كل سياسة فإذا انقطع مدخل النقابيين  
التفليسي [ بيانات من فناء متعددة جمولة يتم الرد عليها من المنابر أيضاً ]
- ٢- تحريك الجماهير مع طريقتهم الندوة والمؤتمر .

٣- إصدار عدد من الممرسة تحت عنوانه " دوائر التغطية كمرسة " يتحدث  
عنه الاعتقال ويكون من هجعة واحدة .

- ٤- استخدام أساليب خطابات الكاذب .
- ٥- عمل ندوات للمرشحة لمنصب الشيب يكون موضوعها ماذا سنفعل مع -
- ٦- أجل النقابيين . الاعتقاليه .

أيضاً وفي ذات الوقت على بعضه المميزات والمكثبات التي تحقق منه قوة جبرته .  
ولكن يوضح هذه النقطة بنبيه ما يلي منه وجهة نظر المحقق - وهي عليه يسمى بالوجه (الغرض)

- الهدف - ضرب تفصيلات وحركات الحركة المقاييس  
الاسلوب - تمضية نظم بعض الاسماء قوية التأثير -  
التوقيت - قبل الانتقالات بوقت كاف للتفرض رد الفعل  
المعاملة - ما منه وتوابعه يجرى تحت الحكم [محاكمة عسكرياً]

المميزات وعناصر الحكم :- ١- ترك بعض النقايات في عملها (الصياغة) - (الأصناف)  
٢- عدم شمولية الحركة لتجنب كل العناصر  
٣- الاعتبار على قنات الترطيب (برضاى عليه) - (مدى إسهام)  
والسماح لهم بحركة محدودة أو غير محدودة حسب الأحوال مع هذه المعاملة بصفة عامة  
للموسمية .

٤- إصرار انتقالات محدودة في بعض النقايات [العنصرية] وهي تحت السيطرة  
ومنه هنا يأتي مصوب التحول داخل إطار الحصة الانتقائية والتي تطلقه منه يوم  
الواقع والتعامل معه وتنتهي إلى ما بعد انتهاء العمل الانتقائية وتحقيقه  
المستهدفات كلها أو بعضها

ثالثاً - عناصر لفظ الانتقائية منه حيث المتابع والعدد والاسلوب الدعائية واسلوب الإدارة  
في ضوء المستهدفات العامة في تلك المرحلة -

نبدأ بالملاحظات والمتابعة عليه فيه أصول عامة للمبتدئين :

- ١- العمل التقائى وسبيله وليس غايته في ذاته - ولكن تكون الوسيلة ناهية  
تعليقاً أنه تنصيرها في تلك الحدود - ولا يجب أنه تسرع الحزم بعرضه مكانها عليها  
٢- أنه لم تكن تلك الوسيلة ناهية لتخصيص الهدف بالاستغناء عنها أولاً  
٣- أنه العمل التقائى صوره من صوره العمل الجماعى وهو عظيم للبيان الاسلوبى  
ما يتجلى منه نظام وطاعة

ثامناً أنه يتحقق ذلك غاية الاستغناء عنه إلى دفع الأضرار مقدم على جلب  
المنافع - وهذا المستهدف يجب أنه يتحقق في كل طور من أصوار العملية الانتقائية

٤- أنه العناصر المتعارضة يجب أنه تستقى على أساس الالتزام والمفارقة ذات  
الوقت ويجب هو عليه طريقة الكثرة العددية والتي حاربت على حساب الكيف والتنوع

الحركة - دورها الحق في أساسها مع الاعتراض الكامل بأنه عهدهم الراجع سيظل علامة  
في تاريخ الأزمات. إلا أنه يجدر الإشارة إلى السليبات التالية:  
١- لقد كاد منه الإيجاب اشتراكه ١٠، وحان عصيته في الدعوى منذ أول يوم ولكنه  
كاد منه السلب أنه يكون هو الحامي الأبعد في مصروف الدعوى.  
٢- كاد منه الإيجاب أنه يكون له الرأي منه الناحية العنيفة .. ولكنه كاد منه السلب  
أنه تعيب الآراء الأخرى ولو ما بار الرأي أو المساوره.  
٣- لقد كاد منه الإيجاب اختيار هذه النخبة من نجوم الدفاع. والمحاط. ولكنه كاد منه  
السلب أنه توشى أدوارهم حتى يستندوا الشعور بالرفقة في التصرف والناحية.  
٤- لقد كاد منه الإيجاب أنه يجيد القيادة الدارية وهي في أيدينا. ولكنه كاد منه السلب  
أنه كاد منه القيادة اختيار الحاميه الأخرى أو الاحتفاظ بأوراده للعبة والحركة  
في أيديها فإذا ما غاب الفارس الأوفر ظهرت هي على الأقل سببر محدود وليس  
بدور التعظيم على عيبته.

✳ هذا لا يفتح في عام منه ادارته مخالفة وموتورات مصفيه ... رابعة وللإيضاح  
بأنه السليبات لدى بقية الهند كانت أسوأ وأكثر. وكيف الحاميه شرقاً  
أدتمتوا عبث الدفاع والحركة في ظل هذه المتغيرات.

#### لذلك

يجب أنه يرفع حجاب دفعاً لانتهاء الأزمة خلال هذا الزمزم الوجيز وأنه يبدو  
أما الصف الإسلامي أنه يقبل أنه تتم الانتخابات والمصحية على هذا النحو  
أنه المطامعات والمهمة القانونية قد كُتبت إلى الامتثال وللحق أنه تقف حائل  
دوره صف الصف الإسلامي في اتخاذ موقف مصداق. وأنه الأموز على هذا النحو  
تمتجه إلى مصنفه مرجح - هذا ما يصل إليه والطبع دوره المساهم بجهته في  
أصولنا، اتفاقاً أو غيرتناً - دوره الحركة الانتخابية الفاعلة.  
كل هذا يجب أنه يصل في صراحة ووضوح. ولكنه بالطريقة التي يتم اختيارها وبالاشخاص  
الذين يجسد هذه الاقتراحات ويقرنها ونرى.

١- أنه حال (نعم) أقل حرجاً عند العزيمة منه طوموره لأنه لم يستغل من الآلة  
٢- أنه تقدم تروت الخباري للعمل وأنه جاز قاضياً إلا أنه إيجابيه يجب أنه كلف  
خارجها على الأقل في التعاضد.  
٣- أنه صوب أحد ربيع يسعى أنه يدخل ضمنه منظومه الإلزام الأدنى دوره أنه  
يلوده لا تقابل مباشر مع حجابي ولكنه عمله استخدام كصغر لا يخالف الأدبيات  
المتعد عليها ولتة يجمع التعاضد مع القيادات الأخرى.

- وأما كونه في إطار الوثائق الرسمية -
- ٥- إنه إعمال رأي أهل الذكوة في المسألة واجب شرعي يجب الالتزام به دائماً
  - ٦- إنه ضمنه الانتخابية هو سر لا ينبغي أنه يبرهنه خصمه
  - ٧- أنه فيه تقاضيه معه من الغير تحاول الاستوطون وعود الإلزام حدود المصلحة به
  - ٨- تلك في المناورة وتقسيم الأدوار مندرجة
  - ٩- التصريحات والتحالقات وتغيير الأدوار والتكتيل واستثمار الأحداث والسميات
  - ١٠- والمخبرات ينبغي أنه يكون في التلتم وله تحليله عنها الإلزام آخر لحظة -
  - ١١- يجب اتباع اللوائح والشروط في اعتماد المرسية والتحالقات -
  - ١٢- يجب معرفة الواقع جيداً ومعرفة كيفية استثمار مزاياه المتوفرة وتحاسن توظيفها
  - ١٣- الالتزام بالشورى ولجوء المناقشات في قرارات أو توصيات والعبء
  - ١٤- المهمة والقبال
  - ١٥- أهمية وجود كترارية والتابعة البنية اللامعية وتوزيع الأدوار

#### الأمثلة العامة -

- ١- نشر التلتم
- ٢- إظهار صورة
- ٣- التماس سبائل دفع السميات والخبرية والعفالة لخدمة المهنة
- ٤- تطبيق النموذج العمل

- ٥- سرية هذه الأمور - ومحدودية تداولها
- ٦- أنه انضمام على شعلانه سبيليه له بالغ الأثر إنه شار الله
- ٧- كبريته التنافسية وذلك بعد المواصفات اللازمة -
- ٨- إنه الانضمام بوجوه الصفت بوجوه القرار هو الأفضل الذي ينبغي أنه يظل
- ٩- هنا مع استحضار الفينة -
- ١٠- انتهى الوزير الأول
- ١١- الوزير الثاني بسبل الحديث عنه مزيد من التفاصيل ومناقشة ما تم

## وثائق أخرى

الوثائق التالية هي خطابات مرسلة لى من مختار نوح من محبسه فى سجن طرة فضلاً عن وثيقة أعتبرها من أخطر الوثائق الإخوانية وهى خطة انتخابية أطلق عليها الإخوان خطة تصدير القلق وقد شارك فى وضع هذه الخطة الدكتور محمد بديع المرشد الحالى والدكتور محمد بشر مسئول قسم المهنيين الحالى فى الجماعة ونظراً لخطورة وأهمية هذه الوثائق رأيت أن أقوم بجمعها على الجهاز الطابع ونشرها بشكل يفهم منه مضمونها وقد وضعت جانباً من صور من أصول هذه الوثائق فى الكتاب ومازالت هذه الوثائق بأكملها فى حيازتى حيث سيكون لها فى قادم الأيام موضعاً تحليلياً فى كتاب آخر.



## الخطاب الأول

### أخي الحبيب ثروت الخرباوى

السلام عليكم ورحمة الله

كنت أراك حتى الأمس القريب فاهماً لما أقصده، أما الآن وبعد مقالك الأخير أراك قد أصبحت قاصداً لما أفهمه، تحقق بكلماتك ما أتمناه وتعبّر عما لم أرد البوح به لأحد... ولا أعرف هل هي مشاعرك التي حركتني أم مشاعري التي حركتك أم جمعتنا مشاعر واحدة.. وأراني مدفوعاً إلى أن أكتب لك رغم ثقل الرسائل هل تصدق مثلاً أنني لم أكتب خطاباً في عمري لصديق.. ولكنني أراني مدفوعاً إلى أن أشكرك.. ثم أسأل نفسي وأسألك كيف تعرفت على ما كنت أتمنى قوله.. ألا يفسح لنا ذلك باب العذر للجميع إن لم يصدقوا أنها كلماتك فما زال الكل يردد أنني أقول ما أريده ولكن مع توقيع ثروت الخرباوى- وهذه مقولة مديح لا إهانة.. فحينما يصل الصدق والإخلاص بإنسان إلى درجة أن يعبر عن الآخرين كما يعبر الآخرون عن أنفسهم.. فقد أحسن في الإخلاص واتفق معك على أن الأمر يعبر عن الاتفاق الروحي كما ورد في خطابك وأزيد عليك أنني أصبحت لا أدري يقيناً هل أنت الذي كتب المقال.. أم أنا...!!

كما أنقل لك شكر أخي الحبيب خالد بدوي - وكل ما أثق به أنني لم أتحدث معك بشأن المقال ولا بشأن الأحداث وما تم فيها.. ولكن قراءة المقال أكدت غير ذلك.. فيبدو أنني تحدثت معك حديثاً طويلاً.. وتناقشنا.. وانتهينا إلى رأي واحد وكلمات واحدة.. ثم نشرنا هذا المقال.. أنظر كم يختصر الحب من مسافات وأوقات!! صحيح أنك كتبت.. وما كنت أحب أن تكتب هذا الأمر.. هذا قبل أن تكتب ولكن بعد أن كتبت.. ما كتبت.. رأيتني أصفك بأنك تعرف ما نريد أكثر مما نعرفه..

يصلك سلام خاص من أخي بدوي وشكر عظيم.. ويصلك سلامي أيضاً ثم السلام على من ذكرتهم في خطابي السابق ومن ترى أن تذكرهم.. ولا تنس وصيتي الدائمة.. لك بالسلام مع النفس.. والارتفاع فوق الصغائر.. والاهتمام بنفسك

سلام إلى أهلك وأبنائك.. وأرجو أن تكون الرؤى قد وصلت إليك مع ما حاولت أن أشرح وأرسل لي بالرؤى دائماً فهو أمر محبوب إلى نفسي.. أوصيك خيراً بنفسك وبمن تحب والسلام عليكم ورحمة الله

## الخطاب الثاني

الأخ الحبيب ثروت/ أخي إلى الأبد إن شاء الله.. بحكم الأخوة وحكم الفضل..

السلام عليكم ورحمة الله

وصلني خطابك الغاضب في قراره.. العاقل في لفظه..

ولقد أحسست فيه بأنفاسك وهي تتصاعد ويوجهك وهو عابس.. ولا أرى داعياً لذلك أبداً.. فالأمر لا يخلو من فرضين.. إما أن يكون ما تفعله في مجال خدمة الدعوة وهو صميم اعتقادك وخالص نيتك.. أو/ لا..

وأنا اعتقد أنه صميم اعتقادك.. وخالص نيتك.. واثق في ذلك.. والقرار الذي ستتخذه فأنا به أولى أو خالد.. لأن ما تعرضت له من إيذاء لا يساوي واحداً على مليون.. مما تعرضت له.. أو مما تعرض له خالد

ويصعب أن أحكي لك الآن شيئاً مما تعرضت له في السجن وما تم مواجهتك به بشأني هو نعمة وفضل من الله أن سخر لي من يبرىء ساحتي.. ناهيك عما تم معي خارج السجن.. ولكن من جهة أخرى.. لا يمنحك أحد من أن تخدم فكرتك داخل مجتمعك سواء أكان مجتمع المحامين أو مجتمع غير المحامين.. واللجنة الطبية التي تتولى التحقيق.. سيكون لها بصيرة بإذن الله.. المهم.. لا تنظر إلى الحياة على أنها شهر واحد.. ولكن انظر إليها على أنها سنوات وأجيال قادمة.. ووفر انفعالك.. واجعل الأمور وكأنها لم تحدث.. وسر في طريقك/ ولكن/ بثلاث نقاط أرجو الالتزام بها التزاماً شديداً..

١- أن توثق صلتك.. جداً جداً.. بمدينة نصر.. جداً جداً.. فهو الأساس.  
٢- أن توثق صلتك.. جداً جداً.. بجميع رموز التيارات السياسية الأخرى في النقابة وأن تعمل معها جاهداً كداعية وأعتقد أن هذا مجال لن تصطدم فيه بأحد.

٣- وقبل كل شيء.. أن توثق صلتك بالله وتخلص نيتك.. ولو أن السطور تملك أن تشرح لك مكنون صدري لشرحت ولكنها خرساء وحتى الكلمات التي تكتب عليها.. ما هي إلا محاولة لتوضيح المعاني..

واعلم أن نصيحتي لك خالصة.. فلقد اتهمت يوماً بالسرقة وقدموا الأوراق للنياية ثم بالذاتية والتمرد والانفراد.. وحتى الرشوة لم يتركوها.. وكنت أعلم دائماً أن الله هو المدافع الذي يجب أن نتق به.. فتركت له الأمر



ولم يخذلني ربي أبداً ولن يخذلني..  
ألا ترى معي يا ثروت أن الموكل ينام في بيته آمناً مطمئناً علي قضيته إذا  
وكل بها محامياً كبيراً قوياً ويعود إلى أطفاله قائلاً لقد وكلت فلاناً فاطمئنوا..

يقولها في فخر وثقة ذلك أنه يثق في قدرة وكيله.. المحامي  
وأنا يا أخي وأنت وكل مظلوم قد وكلنا الله في قضيتنا.. وهو حسبنا ونعم  
الوكيل

وإني لأثق في قدرته سبحانه وتعالى.. ثقة اليقين..  
وقد عرضت هذا الأمر على أخين أولهما خالد.. فطلب أن أضع توقعه على  
الخطاب منضماً لي في كل كلامي.. أما الآخر الثاني فهو أخ فاضل.. أثق في  
رأيه.. أقلت من السنوات الخمس وهو معنا في قسم السنوات الثلاث.. أما  
الثالث فالدكتور بديع والثاني منهما له وضعه في الدعوى.. وقد أفادني بما  
نصه:

"إن تقييم الموقف من ثلاث زوايا - فأما الأولى فهي تحليل ما يحدث وهذا  
أكد لي أن سبب ما يحدث هو أن ما فعله ثروت أظهر قصور الآخرين لا سيما  
وأن العمل النقابي لا يدور على ما يرام.. فسامح هو الشخصية الطاهرة ولم  
نسمع عن مشروع طوال السبعة أشهر الماضية.. وعلى المستوى الأخوي لم  
يقدم لك أحد - أي مختار أو خالد شيئاً يستقيم ومعنى الأخوة فثروت  
كالعداد السريع الذي أظهر عجز الآخرين.. والغيرة هي الأساس.. في إثارة..  
وأما الثانية فهي أن معالجة ثروت للأمر جاءت على خير ما يرام فتمسكه  
بمدينة نصر والتوثيق معها إجابة في التصرف.. لكن عليه ألا يقرر هو أي  
شيء.. لا تقاعد ولا بعد ولا كسل وإنما يمضي في طريقه مباشرة وعليه أن  
يستشهد بالدكتور بديع أو الدكتور بشر وبالذات الدكتور بشر لأن خطة  
تصدير القلق هي خطة المسجونين وقد نقلناها إلى طوسون وأرسلناها في  
خطاب بعد أن علمنا بشأن اتفاق سري مع كمال الشاذلي حضره رجائي  
عطية واتفق فيه على التزوير والذي أخبرنا بذلك حي يرزق وحضر اللقاء  
بنفسه وقد أخبرنا طوسون وطلبنا منه التمسك بالخطة حتى يلتزم رجائي  
بالاتفاق معنا ولا يلجأ للتزوير.. ومع ذلك لم تنفذ الخطة ولجأ رجائي للتزوير  
واستطاع أحمد ناصر أن يوقف الانتخابات بحكم محكمة والدكتور بشر على  
استعداد أن يرسل شهادته كاملة في هذا الشأن في طلب منه ذلك وتستطيع

أن تستشهد بهما أو بأحدهما عما قدمته لنا بينما عجز الآخرون عن طواعية.. وعلى ثروت أيضاً أن يتمسك بمدينة نصر ويقدم مذكرة مهذبة جداً بدفاعه وبشهوده.. ويطلب مقابلة أعلى مستوى معلناً تمسكه بالجماعة جداً جداً وأنه في خدمتها ولا يعيش بدونها ولا يوقف نفسه أو يعطلها حتى لا يثير قراره غضب الآخرين وهذا قول من خبير كبير

أما الدكتور بديع فقال لي "يجب أن تعيش مع الحق بغير خلق/ وأن تعيش مع الخلق بغير نفس.. وأن تعيش مع النفس بغير الهوى وعلى ثروت أن يتمسك بالصبر والهدوء وسيجني ثمار عمله الطيب ولا يثار ولا يثير الآخرين.."

ومني أنا أقول - إنك نشرت تصحيحاً لما ورد بالمجلة وعليك طلب شهادة الدكتور بديع والدكتور بشر عن دورك الإعلامي والقانوني الذي وفقك الله فيه.. وقد استبعدت شهادتي أنا وخالد لأن الكل يعلم من أنت بالنسبة لنا.. ذلك أن تستشهد تحديداً بالدكتور بشر في أم خطة تصدير القلق الذي وفقنا فيه طوسون وغيره.. كل هذا تعرضه في مذكرة في أحسن أسلوب وأروع ألفاظ.. ولا تجعل الموقف يسوء ولا تصدر قراراً.. وإن صدر أي قرار أخطرني به ولا تنفعل.. ولن يتخلى الله عنك وأطلب منك في النهاية أمرين: أولهما: زيارة سريعة جداً.. جداً ولو عن طريق حمدي خليفة وأنا أعرف مدى صعوبة ذلك.

ثانيها: سرية هذا الخطاب بيني وبينك ولو أنك لا تحتاج إلى توصية.. وأرسل لي رداً تفصيلياً مع زوجتي في زيارتها القادمة أو عند حضورك.. وإلى هذا الحين اعلم أننا جميعاً نحبك في الله وأنا وخالد بصفة خاصة.

مختار نوح

خالد

## الخطاب الثالث

الأخ الحبيب ثروت وسعدت بحسن تعاملك مع الآخرين والهدوء الذي أخبرتني به.. والآن أستمع

زارنا أطوسون الدكتورين وخالد وأنا.. وجلسنا نحن الأربعة معه في حجرة المأمور وأخبرته أنني سأرسل لك خلاصة الزيارة..

وخلاصتها.. أنني أغبطك.. أغبطك على ما قيل في حقك من الدكتورين ومن خالد ومني.. وإن كنت أنا وخالد أقل الأربعة كلاماً..

وعاتبنا طوسون عتاباً واضحاً ومحددًا وطبعاً كان هدفنا قتل الشيطان وتدمير أسلحته "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت"..

وكان الأمر سهلاً بفضل الله.. فقد استعمل معه الشيطان سلاحين لا ثالث لهما أولهما سوء الظن وثانيهما.. سوء النقل..

وكان من حديثهما أي الدكتورين أن الإنسان لا بد وأن يوزن بفعله كله.. وأن ما رأيناه من ثروت أكد تفرداً وعطاء وتفانياً في وقفته معنا.. وقد فعل..... وفعل..... وفعل.....

وأكدنا له أن من أدخل إليه أننا لا نريد له الحضور في الدعوى قد أساء له وقبل كل شيء.. وأن اسمه في التوكيل وأن ثروت وضعه في عريضة الدعوى الأولى وأننا حينما نستبعد اسماً نذكره بصراحة كما فعلنا مع محمد غريب.. وأنه... وأنه..

ساعة كاملة يا مولانا نحاول أن نعطيك حقل فيها.. ونحاول فيها أن نعيد قلب طوسون إلى نبضاته الأولى.. ثمانون نبضة في الدقيقة.. ونعيد حرارة المجد بيننا إلى طبيعتها ٣٧ درجة مئوية.. وكان جسرننا في ذلك بيان ما فقد من حقوقنا عنده.. وأولها حق ثروت في التكريم والتعامل معه بصورة لائقة.. تناسب ما قدمه من تضحيات.. وإخاء..

وعاد نبضه إلى معدله الطبيعي في مثل هذه السن وعادت حرارته.. وإن كنا نعلم أن الشيطان سيعاود معه الكرة بمجرد خروجه من الباب.. وهذا دورك أنت..

فسيصل بك إن شاء الله حسب الاتفاق وعليك أن تجلس معه منفرداً.. وعليك أن تسلمه صورة ضوئية مع شرح القضايا له بأنواعها.. وطبعاً لا يهمننا علمه القانوني الكامل.. ولكن مجرد حضوره بنفسه.. ومعك في جلسة واحدة.. سيضرب الشيطان على أم رأسه فيرديه صريعاً

ولا اعتقد أنك تجهل قدر معرفتي بالشيطان وأساليبه.. بل إنني أعرف أصحابه وبالأسم.. من الذين يعيشون معنا على الأرض ولكني لم أكن أعرف الأسماء الثلاثية لبعضهم إلا بعد دخولي السجن..

أخي ثروت.. ساعد طوسون على أن يحضر أي جلسة من الجلسات وأفسح له صدرك.. فإن هذا لا يعني ضياع حقوقك في حكم عادل.. ولكنه يعني أنك تسد باب النصر على أصحاب إبليس وجنوده ولو بدرجة قليلة جداً لك فيها الأجر.. ولنا فيها النصر إن شاء الله..

أنا لم أحدثك بكل ما أعلم.. ولكنك عليك أن تعلم أنني أعلم.. وأني أؤخر علمي لوقت أصلاح به..

والقضية عندي ليست العمل بين المحامين أو البعد عنهم.. فهذا أمر نقرره سوياً إن شاء الله.. وسنتفق بشأنه.. ولكن الأمر عندي أن أحمي دعوتنا من الذين يتسلقون أكتافها ويفرقون بين أخوتها.. واجعل ما بينك وبين طوسون محصوراً فقط بينكما..

اسمع يا ثروت.. أنا لم أجاملك في شيء.. ولم أطرحك أو أفرضك على إخواني هنا.. وأنت تعلم نقاء نفوسهم وسعة أفقهم.. ولكنهم..

فتحوا المذيع في لندن فوجدوك تتحدث عنا.. قرأوا المقالات فوجدوا توقيعك أسفلها.. فكروا في خدمة دعوتهم بابتكار أنواع شتى من القضايا فوجدوا أكتافك تحملها جميعاً بلا ضجر..

ونحن هنا نتشارك في الرأي وحتى زيادة على اللزوم.. حتى خطاباتك التي تكتبها لي عن القضايا جميعاً.. أقرأها عليهم.. عدا ما يخصني وحدي من خطابات..

ولا أرسل لك كلمة أو أكلفك بشيء إلا بموافقتهم لا سيما الأستاذ الجليل الدكتور ..... وكذلك صاحبه.....

وقد قرأت في أعينهم.. وفي مواقفهم تقديراً لك يشجعني أن أقول لك أنك الآن في درجة مقاتل.. وهم يعتبرونك كذلك..

وأتمنى أن تكون وقفهم معك أمام طوسون لها ما يكملها لديك.. من خطة وذكاء.. من ذكاء المقاتلين ومن خطط المحاربين..

وأخيراً فأنا أشكرك وهم يشكرونك على دعوى الـ ولا تنس أن الدكتور بشر والدكتور هشام تكتمل مدة الـ بعدنا بيوم واحد فقد قبض عليهم بعدنا بيوم.. وأرجو أن تعد شهادات من واقع الملفات العسكرية بهذا المعنى لنا

جميعاً لأن المستندات التي قدمتها الداخلية بشأن المدد في دعوى المادة ٨٦  
بها أخطاء..

فالدكتور بشر مكتوب أمامه تاريخ الخروج ١٠/١٩ والدكتور أحمد عماشة  
مكتوب أمامه الحكم ٥ سنوات.. والصحيح ٣ وغير ذلك كثير..  
والصحيح أننا قد قبض علينا جميعاً في ١٠/١٤ عدا دكتور بشر والدكتور  
هشام من الذين سيردون في المدة.. فهي في ١٠/١٥ وكلنا ٣ سنوات بما  
فيها الدكتور عماشة..

وأخيراً.. هل تعرف لماذا نجد أمثالكم من الأوفياء؟

وهل تعرف لماذا هم قليل؟

يا صديقي.. هذا سؤال شرحه يطول.. وأنا الليلة مشغول وتصبح على  
أحلى أخبار.. وكفاية كده علشان أنا.. والسلام عليكم ورحمة الله،

مختار نوح

ملحوظة.. تصدق بالله

أنا عمري ما كتبت ست صفحات.. حتى لمراتي..! خليها في شرك

وعجبي!!

## خطة تصدير القلق

يدور البحث حول عدة نقاط

أولاً: معنى الخطة الانتخابية

ثانياً: لماذا يجب أن نضع خطة انتخابية في هذه المرحلة

ثالثاً: عناصر الخطة الانتخابية من حيث المناخ والعدد وأسلوب الدعاية

وأسلوب الأداء في ضوء المستهدفات العامة في تلك المرحلة

رابعاً: مقدمات خاصة بخطينا الانتخابية

خامساً: نتائج على سبيل المثال تفرض نفسها على الخطة كعناصر

أساسية.

أولاً: معنى الخطة الانتخابية

التخطيط روح العمل وأساس نجاحه.. والانتخابات ليست مستهدفاً في ذاتها وإنما هي دائماً وسائل لتحقيق نتائج دعوية واسعة الإصابة والمعاني وعلى هذا فإن لكل مرحلة خطتها التي تحقق مستهدفاتها وما كان يمكن تحقيقه في وقت قد لا تتاح فرصة تحقيقه في وقت آخر والعكس صحيح.

ومن هنا، فإن الخطة الانتخابية هي التخطيط الدقيق للوصول إلى أهداف محددة سلفاً في ضوء معطيات مرحلة ما.

ثانياً: لماذا يجب أن نضع خطة انتخابية في هذه المرحلة؟

لم يكن من المستبعد أن يلجأ المضاد إلى مواجهة العمل المهني بالصورة التي تمت فإن عناء السنوات السابقة واللجوء إلى الطول والأطروحات الفاشلة المتتابة أدت إلى إنهاك قواه واقتضاح شأنه.

كان ذلك منذ ١٩٩٠ وما يتبناها - فجاء القانون ١٠٠ ثم القانون ٥ ثم أحكام الحراسة. ولذا فإنه يجب النظر إلى الجناية المنظورة على كونها علاقة ما بين معطيات واقعية وبمعنى أوضح على أنها جزء من أهدافه - ومن هنا فإن قبول ذلك الواقع يعني الاستسلام الكامل للخطة المقابلة.

وإذا كان قد تلاحظ على بعض النفوس ذلك الاستسلام فإنه قد تلاحظ أيضاً ثورة في بعض النفوس الأخرى ورغم أنها في مجموعها مخلصه إلا أنها تكون كلها خاطئة - فردود الأفعال لا تواجه مثل هذه المخططات وذلك لأن المشاعر لا تواجه مخططات وإنما تكون هي الدافع للتخطيط العملي السليم. ويلاحظ أن الخصم وهو يضع خطة لتحجيم تفاعلات الحركة النقابية فإنما

هو يعتمد أيضاً وفي ذات الوقت على بعض المهدئات والمسكنات التي تمتص من قوة ضربته ولكي نوضح هذه النقطة نبين ما يلي من وجهة نظر الخصم - وهي عملية تسمى "بالونة الاختبار"

الهدف- ضرب تفعيلات ومحركات الحركة النقابية  
الأسلوب- قضية تضم بعض الأسماء قوية التأثير  
التوقيت- قبل الانتخابات بوقت كاف للنظر في رد الفعل  
المعاملة- حاسمة وقوية وسريعة تحت التحكم (محاكمة عسكرية)  
المهدئات وعناصر التحكم:

١- ترك بعض النقابات في عملها (الصيدالة- الأطباء).

٢- عدم شمولية الحركة لتجنب كل العناصر.

٣- الإبقاء على قنوات الترطيب -رجائي عطية- حمدي السيد- والسماح لهم بحركة محدودة أو غير محدودة حسب الأحوال مع حسن المعاملة بصفة عامة للمحبوسين.

٤- إجراء انتخابات محدودة في بعض النقابات (المعلمين) وهي تحت السيطرة. ومن هنا يأتي وجوب التحرك داخل إطار الخطة الانتخابية والتي تنطلق من فهم الواقع والتعامل معه وتنتهي إلى ما بعد انتهاء العملية الانتخابية وتحقيق المستهدفات كلها أو بعضها.

ثالثاً: عناصر الخطة الانتخابية من حيث المناخ والعدد وأسلوب الدعاية وأسلوب الأداء في ضوء المستهدفات العامة في تلك المرحلة.

نبدأ بالمسلمات والمتفق عليه من أصول عامة للذاكرة

١- العمل النقابي وسيلة وليس غاية في ذاته -ولكي تكون الوسيلة ناجعة فعلياً أن نتصورها في تلك الحدود- ولا يجب أن نسمح للخصم بفرض شكلها علينا.

٢- إن لم تكن تلك الوسيلة ناجعة لتحقيق الهدف فالاستغناء عنها أولى.

٣- أن العمل النقابي صورة من صور العمل الجماعي وهو مظهر للتيار الإسلامي بما يمثله من نظام واطاعة.

رابعاً: مقدمات خاصة بخططنا الانتخابية: فإن لم يتحقق ذلك فإن الاستغناء عنه أولى ودفع الأضرار مقدم على جلب المنافع - وهذا المستهدف يجب أن يتحقق في كل طور من أطوار العملية الانتخابية.

١- إن العناصر المختارة يجب أن تتفق على أساس الالتزام والكفاءة في

ذات الوقت ويجب هجران طريقة الكثرة العددية والتي جاءت على حساب الكيف والنوع- وأن يكون في إطار لائحي شرعي.

٢- إن إعمال رأى أهل الذكر في المسألة واجب شرعي يجب الالتزام به دائماً.

٣- إن خطتك الانتخابية هي سر لا ينبغي أن يعرفه خصمك.

٤- أن من تتعاون معه من تغيير تحاول ألا تتورط في وعود إلا في حدود المقطوع به ولك في المناورة وتقسيم الأدوار مندوحة.

٥- التصريحات والتحالفات وتغيير الأدوار والتكتيك واستثمار الأحداث والشخصيات والمتغيرات ينبغي أن تكون في التكتم ولن يعلن عنها إلا في آخر لحظة.

٦- يجب اتباع اللوائح والشرعية ١٠٠ فى المائة فى اعتماد المرشحين والتحالفات.

٧- يجب معرفة الوقع جيداً ومعرفة كيفية استثمار مواطن القوة وتحاشي نقاط الضعف.

٨- الالتزام بالشورى وبلورة المناقشات في قرارات أو توصيات والبعد عن السفسطة والجدال.

٩- أهمية وجود سكرتارية والمتابعة الجيدة للصيقة وتوزيع الأدوار.  
الأهداف العامة:

١- نشر الفكرة.

٢- إظهار رموز.

٣- التدافع من أجل دفع الشخصيات المحترمة والفعالة لخدمة المهنة.

٤- تطبيق النموذج للعمل.

ملاحظات عامة على المناخ

مناخ العملية الانتخابية هو ذلك المحضن الذي تربى فيه الخطوات العملية فإذا ما كان المحضن طبيعياً ومناسباً أفرزت الخطوات نتائجها.

ومناخ الانتخابات بصفة عامة هو مناخ حماس مشتعل بعروض الأفكار والمبارزة فيه ولكن هل هذا هو المناخ المطلوب؟

إن المناخ الهادئ للانتخابات يعني ببساطة نجاح خطة الخصم بنسبة عالية إن لم تكن بنسبة كاملة وذلك يشجعهم حتى أقل تقدير على أن يعمم التجربة في النقابات الأخرى فيكفيه تقديم قضية أو إجراء اعتقال عند كل انتخابات



في كل نقابة.

ومن هنا فإن المناخ الذي يجب أن يسود هو مناخ الأزمة وليس مناخ الانتخابات الهادي المعتاد.

وتعريف مناخ الأزمة: هو ذلك المناخ الذي يضطر فيه كل مرشح إلى الدوران في داخل الحدث (اعتقال النقابيين) ليشكل مع مجموعة النقابيين المرشحين دوائر هجومية على الحدث ذاته والنجاح في خلق هذا المناخ قد يصل بالأفراد إلى استحداث فكرة المقاطعة أو الإضراب أو محاولة وقف الانتخابات أو على أقل تقدير الحديث الدائم عن عدم شرعيتها كل ذلك يتوقف على نجاح مجموعة العمل في خلق مناخ الأزمة وإتقان استخدام الوسائل المؤدية لذلك - ويأتي على رأس هذه الوسائل - ما سنذكره مع الوضع في الاعتبار أن التأخر في استخدام هذه الوسائل لا يعني عدم إعمالها:

١- البيان النقابي - وهو وسيلة مخاطبة المرشحين والناخبين على السواء وإشعارهم بالجرم لصمتهم عن تلك الجريمة (اعتقال النقابيين) ووصف كل من يساهم فيها بالإجرام والتدني - وأن على المرشحين عن اتخاذ إجراءات تكون كفيلة لإنهاء الأزمة - ويكون السؤال الدائم على رأس كل بيان ماذا فعلتم من أجل النقابيين المعتقلين (بيانات من لجان متعددة مجهولة ويتم الرد عليها من التيار أيضاً).

٢- تحريك الجماهير عن طريق الندوة والمؤتمر.

٣- إصدار عدد من «المحروسة» تحت عنوان «وما زالت النقابة محروسة» يتحدث عن الاعتقال ويكون من صفة واحدة.

٤- استخدام أسلوب خطابات المكاتب.

٥- عمل ندوات للمرشحين لمنصب النقيب يكون موضوعها ماذا سنفعل من أجل النقابيين المعتقلين.

هذا مع الوضع في الاعتبار أن مناخ الأزمة هو الوحيد الذي يلأم متطلبات ومستهدفات المرحلة حالياً - وأن ما ذكر كان على سبيل المثال وأنه يجب التخديم على ذلك بالاتصالات السياسية والحركة الإعلامية والاتصالات بمركز الدراسات القانونية والمنظمات الدولية.

مربود ذلك المناخ على دفع الأحداث وخدمة القضية

العناصر التي لم تستخدم بعد للرد على خطة الخصم هي:

١- تصدير شعور القلق إلى الخصم من إتمام الانتخابات في ظل هذا

المناخ.

٢- تصدير شعور حازم لمرشحي القسم وعلى رأسهم أ/رجائي عطية بأن نجاحه مرهون بانتهاء ذلك المناخ مع الوضع في الاعتبار عدم الخلط بين هذه النقطة وبين هجران الوعد أو النكول- لأن الوعد والاتفاق هو أن تتم الخطة المشتركة بين الطرفين في ظل مناخ صحيح وأن فساد المناخ لا يعني إلا أن يعمل التيار الإسلامي ما يمكنه في ظل المعطى الجديد فقد يملك التيار أصواته إلا أنه في ظل المعطيات الجديدة قد لا يملك حسن التخطيط أو تمام السيطرة على مجموع المحامين أو غالبيتهم- وهو ما ينبغي تصديره إلى الآخرين المتحالفين.

٣- تصدير القلق إلى الجميع وعدم الإفصاح عن خطة ثابتة لا سيما وأن هذه الخطة لن يعلن عنها حتى بين صفوف التيار إلا قبل الانتخابات بوقت قليل والحديث هنا عن الإعلان وليس عن الإعداد.

٤- تصدير المخاوف إلى الغير واستخدام أسلوب الصقور والحمائم فيما لا يتعلق بمخالفة الوعد أو الأمور المتفق عليها.

٥- التعاون مع النقابات الأخرى التي ستضار من استمرار هذا المناخ على الصعيد العام والخاص.

إنه ولن الجدير بالذكر أن تراخى رجائي عطية عن التدخل بصورة فاعلة في إنهاء هذا الموقف سياسياً لا يرجع إلى أنه لا يمكن ذلك- ولكن يرجع بالمقام الأول إلى غلبة موازناته الشخصية حينما لم يحدد دافعاً يدفعه إلى ذلك- أو على الأقل وبتعبير أدق لم يجد ما يدفعه إلى العزم الموازي لتدخله الثقيل من أجل إنهاء الموقف. ولن يتحرك على صعيد المغامرة وطرق الأبواب بعنف إلا إذا استشعر الخوف من ضياع مصالحه ومن هنا تجدر الإشارة إلى بعض السلبيات التي وقع فيها المحامون على صعيد الحركة - دونما البحث في أسبابها مع الاعتراف الكامل بأن جهدهم الرائع سيظل علامة في تاريخ الأزمات إلا أنه تجدر الإشارة إلى السلبيات التالية:

١- لقد كان من الإيجابي إشراك أ. رجائي عطية في الدعوى منذ أول يوم ولكن كان من السلبي أن يكون هو المحامي الأوحى في صفوف الدعوى.

٢- كان من الإيجابي أن يكون له الرأي من الناحية الفنية.. ولكن كان من السلبي أن تغيب الآراء الأخرى ولو بإبداء الرأي أو المشاورة.

٣- لقد كان من الإيجابي اختيار هذه النخبة من نجوم الدفاع والمحاماة

ولكن كان من السلبي أن تهمش أدوارهم حتى يفقدوا الشعور بالرغبة في الحضور والمتابعة.

٤- لقد كان من الإيجابي أن تجيد القيادة الإدارية وهي في أيدينا ولكن كان من السلبي ألا تحسن هذه القيادة إظهار المحامين الآخرين أو الاحتفاظ بأوراق اللعبة والحركة في أيديها فإذا ما غاب الفارس الأوحـد ظهرت هي على الأقل بدور محدود وليس بدور التخديم على غيبته.

هذا لا يقدح فيما تم من إدارة فعالة ومؤتمرات صحفية.. رائعة وللإنصاف فإن السلبيات لدى بقية المهن كانت أسوأ وأكثر. ويكفي المحامين شرفاً أن تحملوا عبء الدفاع والحركة في ظل هذه المتغيرات.

لذلك

يجب أن يدفع رجائي دفعاً لإنهاء الأزمة خلال هذا الزمن الوجيز وأن يبدو أمامه الصف الإسلامي لن يقبل أن تتم الانتخابات والقضية على هذا النحو وأن المرافعات والخدمة القانونية قد تؤدي إلى الامتنان ولكنها لن تقف حائلاً دون حق الصف الإسلامي في اتخاذ موقف مضاد- وأن الأمور على هذا النحو تتجه إلى مضيق حرج- هذا ما يصل إليه وبالطبع دون المساس بحقه في أصواتنا اتفاقاً أو عرفاناً- دون الحركة الانتخابية الفاعلة.

كل هذا يجب أن يصل في صراحة ووضوح - ولكن بالطريقة التي يتم اختيارها وبالأشخاص الذين يجيدون هذه الاقتراحات وعرضها ونرى:

١- أن جمال برعي أقل حرجاً عند العرض من طوسون وأنه لم يستغل حتى الآن.

٢- إن تقديم ثروت الخرباوي للعمل وإن جاء متأخراً إلا أنه إيجابية يجب أن تظهر ثمارها على الأقل في التفاوض.

٣- أن جموح أحمد ربيع ينبغي أن يدخل ضمن منظومة الإلزام الأدبي دون أن يكون له تعامل مباشر مع رجائي ولكن يمكن استخدامه كصقر لا يخالف الأدبيات المتفق عليها ولكنه يجيد التعاون مع التيارات الأخرى.

٤ - سرية هذه الأمور- ومحدودية تداولها.

٥- أن انضمام علي شعلان سيكون له بالغ الأثر إن شاء الله لحرفيته النقابية وذلك بعد الموافقات اللازمة.

٦- أن الاهتمام بوحدة الصف ووحدة القرار هو الأصل الذي ينبغي أن يظل كل هذا مع استحضار النية.



# صور الكتاب





صورة تجمع مختار نوح بعدد من المحامين المنتمين بلجنة الشريعة الإسلامية والذين أصبحوا من الإخوان المسلمين وقد قمت بالتقاط هذه الصورة أثناء معسكر إسلامي في العين السخنة.



مختار نوح والنقيب أحمد الخواجة في أحد اجتماعات مجلس النقابة عام ١٩٨٦.

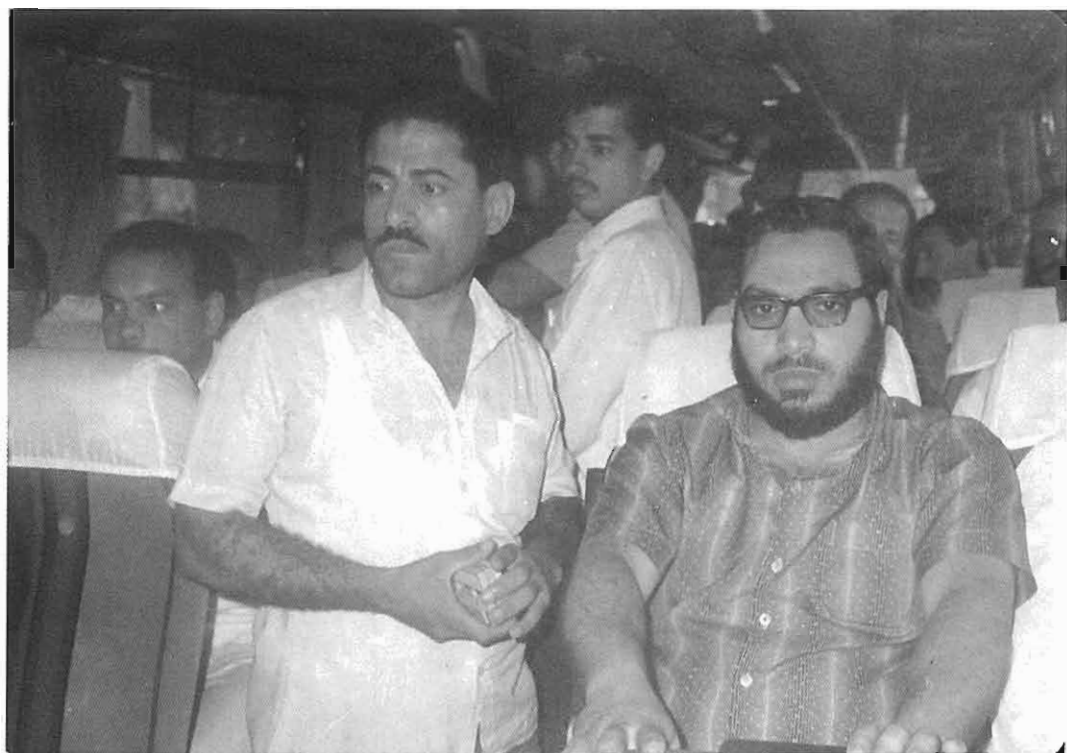




مختار نوح وصبحى صالح عضو مجلس الشعب الحالى ومعهم بعض الإخوان  
من المحامين فى اجتماع للجنة الشريعة الإسلامية عام ١٩٨٧ . ---



التقطت هذه الصورة لخالد بدوي ومجموعة من المحامين المنتمين للإخوان  
في معسكر إسلامي بالعين السخنة.



المرحوم فوزى الجزار -واقفاً - فى إحدى الحافلات التى كانت تنقلنا لمعسكر  
إسلامى فى رأس سدر وفوزى الجزار هو الذى فصله الإخوان لأن زوجته  
انتقدت المرشد وبعدها مات بحسرتة بمرض السرطان.



على مسرح نقابة الأطباء وكنا نمثل مسرحية إسلامية من تأليف مختار نوح وإخراجى ويقف معى على المسرح مجموعة من محامى الإخوان منهم عاطف عواد وخالد بدوى فى الخلف.



بعض قيادات من الإخوان في معسكر



جلسة نقاشية جمعت بين بعض أقطاب الإخوان وبعض النقابيين من قوى  
سياسية أخرى ويرى في الصورة سامح عاشور ود. محمد بدیع المرشد الحالي  
والدكتور سليم العوا



أثناء تمثيلي على مسرح نقابة الأطباء لمسرحية «المحاكمة» وهي مسرحية  
تحكى عن محاكمة أحد الإخوان والغريب أنه بعدها بسبع سنوات تمت محاكمة  
مختار نوح عسكرياً ومحاكمته إخوانياً.



صورة تجمعي ومنتار نوح مع منتصر الزيات أثناء انتخابات نقابة القاهرة الفرعية للمحامين عام ٢٠٠٥ تلك الانتخابات التي وقف فيها الإخوان ضد نوح



## الفهرس

٣	تقديم .....
٥	إهداء .....
٧	الفصل الأول : فى البدء كانت كلمة .....
١٧	الفصل الثانى : أسامة الغزاوى يتحدث .....
٣١	الفصل الثالث : سفر التكوين .....
٥٥	الفصل الرابع : بوابة الأحزان .....
٧٩	الفصل الخامس : وراء الأكمة .....
٩٣	الفصل السادس : إعلام الأحكام العرفية الإخوانية .....
١٠٩	الفصل السابع : مسجون فى قلعة الإخوان .....
١٣٥	الفصل الثامن : الطير والمصيدة .....
١٥٥	الفصل التاسع : الرحيل .....
١٧٥	الفصل العاشر : وداعا شاوشانك .....
١٩٤	خاتمة الكتاب .....
٢٠٣	وثائق الكتاب .....
٢٣٧	صور الكتاب .....

## المؤلف ثروت عبدالباسط الخرباوى



- ينتمى إلى جيل السبعينيات حيث كان أحد القيادات الطلابية بجامعة عين شمس .
- تخرج فى كلية الحقوق عام ١٩٨٠ .
- يعمل بالمحاماة منذ تخرجه .
- كان أحد القيادات الإخوانية بقسم المهنيين بالجماعة .
- له العديد من المقالات فى الصحف القومية والمستقلة وله مقال أسبوعى فى مجلة «المصور» وكتب العشرات من الأبحاث عن جماعة الإخوان وتاريخ الحركة الإسلامية فى مصر .
- له تحت الطبع كتاب «الدية والتعويض .. دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون» وكتاب فى الأدب الساخر بعنوان «شيفرة شاهين شى حا»